التسجيل الدولي ISSN 2305-591X

مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية

٥٥

Yanabee'a
ينابيع

مَجلّةٌ ثَقافيّةٌ تُعنى بِنَشرِ فِكرِ أَهْلِ البَيْت عليهم السلام/ السَّنة ١١/ العَدَد ٥٥ ربيع ١ ـ ربيع ٢

١٤٣٥هـ/ كانون٢ ـ شباط ٢٠١٤م

لقب (الخلفاء الراشدون) بين السرقة والضياع

مرقد الصحابي أبي أيوب.. تحقيق مصور

ينابيع Yanabee'a

مجلة ثقافية تعنى بنشر فكر أهل البيت عليهم السلام

تصدر كل شهرين عن

موسسة الحكمة للثقافة الإسلامية
1Z30959

المشرف العام
السيد عبد الحسين القاضي

رئيس التحرير
فلاح حسن العلي

مدير التحرير
حيدر الجد

التدقيق ومراجعة النصوص
ضياء حسن

التصميم والإخراج الفني
وسام مسلم المظفر

التنضيد الإلكتروني
ميثم عبد علي الزاملي
أمير محمد العنكوشي

تحقيق مصور:
مرقد الصحابي أبي أيوب الأنصاري

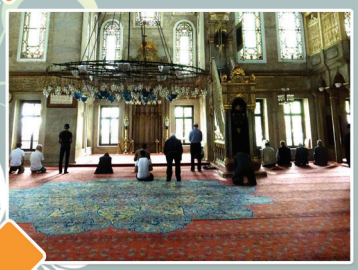

العراق ـ النجف الأشرف ـ حي السعد
العنوان الإلكتروني: www.Yanabee.org
البريد الإلكتروني: Yanabee_Mag@Ymail.com
ص.ب (٥٥٠) موبايل: ٠٧٨٠٣١٧١٥٠٥

الرائد للطباعة ـ النجف الأشرف

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٨٨٠ لسنة ٢٠٠٦
مسجلة في نقابة الصحفيين العراقيين برقم ١٣٩ في ١٦/ ١١/ ٢٠٠٥م
مسجلة في المركز الدولي للمطبوعات برقم ISSN 2305-591X

- المقالات تعبّر عن رأي أصحابها.
- يخضع ترتيب المقالات إلى ضوابط فنية.
- لا تعاد المقالات إلى أصحابها سواءً أُنشرت أم لم تنشر.

قصيدة:

ذكرى النبوة*

الشهيد الشيخ محمد آل حيدر •

صوت من الحق رفاف به الغلب ... تزاحمت حوله الأفكار والحُقَبُ
من قبل ألف على ميلاده احتضنا ... رواية الخلد ـ منا العلم والأدبُ
ألقى على الشفق الدامي ظلال هدى ... وقبلة بالشفاه البلّه تنكسبُ
تكشف الليل عن فجر ابن آمنة ... وافْترّ بالوحي منه منطق عذب
والسادة الغر من فهرٍ ومن مضرٍ ... لها على الشمس كفٌّ واضحٌ خضبُ
نهرٌ من النور ـ والقرآنُ مصدره ... يكاد يورق منه الرمل والحصبُ
غالى بمولده الكُهّان من عجبٍ ... إنَّ العقيدةَ في ميلادها العجبُ

* * * * * * * *

(*) نشرت هذه القصيدة في مجلة التضامن الإسلامي العددان ٧و٨ السنة الثالثة ربيع الأول وربيع الثاني ١٣٨٦هـ، حزيران وتموز١٩٦٦م.

ذكـرى النبوة في ميلاد حاضنها ... تاج تلاقت عليه العجم والعُربُ
هـذا الـذي دَوَّخَ الأفـكـارَ منطقهُ ... وراح يمتلك الدنيا بما يهبُ
هــذا اليتيم قـرأنـا فـي نـواظـره ... ما خطّه الغيبُ سِـرًا كله عجبُ
هذا الـذي سكب الأنفاسَ حائرةً ... على جراح اليتامى وهي تصطخبُ
هذا الـذي فَجَّرَ الفُصْحى لأُمَّتِهِ ... ما ينثر العلم أو ما ينظم الأدبُ
ما قيمةُ الَمدْفعِ الهدّارِ إن حكمت ... على العقول سـدادًا تكلم الخطبُ
محابر الفكر ما جفت ولا نضبت ... كلا ولا دبَّ في أقلامنا السغبُ
وكـيـف تظمأ والـقـرآن مـوردنـا ... وفي المشاعر منه جـدول سكبُ

* * * ... * * *

أم القرى ـ مولد الإسـلام ـ قبلتنا ... جبينها مـن سـرايـا مجدنا تـربُ
وتلكم الربوات الحمر مابرحت ... عروقها السمر لماعًا بها لهبُ
ومطلع النور ـ والأجيال مظلمة ... ـ غـارـ إليه جميع الناس تنتسبُ
ولليتيم ثـــراءٌ لـيـس يفضله ... من بات يضحك في أكياسه الذهبُ
والـعَـبْـقـريـةُ كـنـزٌ راح يحضنه ... مـن السماءِ لنا فـي راحتيه أبُ
هذا هو المجد في أبوابه عِظَمًا ... ألقت أكاليلها وارْفضّت الشهبُ

* * * ... * * *

تَـبـاركـتْ أُمّــةُ الـقـرآن تجمعها ... على النبوةِ قُرْبى دونها النسبُ
وبوركت دقـة في الـرأي محكمة ... إن الكتاب إلـى تاريخها سببُ
الناسُ في شرعة الهادي سواسية ... أسنان مشطٍ فلا رأسٌ ولا ذنبُ
رعـيــة ورعـــاة كـلـنـا شَـــرَعٌ ... على الصعيدِ تلاقينا فلا رُتَـب
وإنما الناس في تقوى ضمائرنا ... فها هو النسب الوضاح والحسبُ
جنايةُ الـعُـرب الأقـحـاح أنهُمُ ... على الجهالة خيلا عُجفا ركبوا
وإنهم خبطوا في ليلةٍ عَقُمَتْ ... فليس للعدلِ مـيـلادٌ فيُرتقبُ

حتى تبدى مع الإشعاع منطلقًا ... من النبوةِ صوتٌ وادعٌ حدبُ
صوتُ النبوةِ قرآنٌ نقدسه ... إذا تصارعت الأقلامُ والكتبُ

* * * * * * * *

يا مولدَ النورِ والأحداثُ ما برحتْ ... تنساب منها على آفاقنا سحبُ
عادت لشرعتك الغراء غربتها ... في أرضنا وعليها أسدلت حجبُ
كالجاهلية عدنا في متاهتنا ... مُرّ ـ ينبثق فصباح العدل محتجبُ
كالعيسِ إنّا عطاشى في مسيرتنا ... وفوق أكتافنا من مائنا قِرَبُ
سِر يا شباب على اسم الله متئدًا ... فأنت أنت الكيان الضخم والأدبُ
في مهرجانك ـ والإسلام دعوته ـ ... قد التقينا على البلوى بما يجبُ
أرضُ البطولاتِ للتاريخِ منطلقٌ ... وللجهادِ هُنا ساح ومكتسبُ
سر يا شباب على وعيٍ وفي ثقةٍ ... وإن أقام عليك الليلُ والتعبُ
هنا الكفاح هنا ثوارُ معركةٍ ... هذا الفداءُ نمته سادةٌ نُجُبُ
هنا الحسين نداء الحق جدده ... من نحره وهو دام منطقٌ ذربُ
على رفيف جناحٍ من روايته ... تَطلع الفتحُ والهاماتُ تضطربُ
إن العقيدة في تاريخ نهضتنا ... بالسيف أو باليراع الحر تنتخبُ

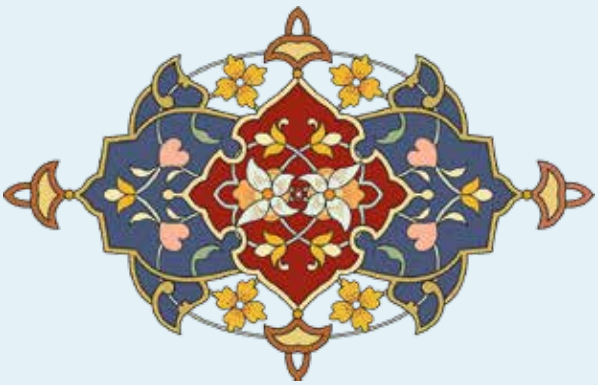

مُحتَوياتُ العَدَد

كلمة العدد

المناصب.. وغياب المسؤولية

المشرف العـــام ٨

قرآنيات

الاستدلال القرآني.. منهج آل محمد صلى الله عليه وآله

د. محمد محمود زويـــن ١٠

قراءة نقدية في تفسير آية تزويج (الذكران)

د. ســـيروان عبد الزهرة الجنابي ١٤

الاقتباس القرآني في دعاء الإمام الصادق عليه السلام يوم الغدير

م. م. أحمد جاسم الركابي ٢٠

آمن الرسول

نشأة علم الكلام

د. الشيخ صاحب نصار ٢٤

لقب (الخلفاء الراشدون) بين السرقة والضياع

هيئـــة التحريـــر ٣٠

تحقيق مصور

مرقد الصحابي أبي أيوب الأنصاري

حيـــدر الجـــد ٣٤

مع الفقيه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى

سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله) ٤٦

واحة الأدب

دلالة النصب في نصوص نهج البلاغة

د. هاشم جعفر الموسوي ٥٢

قصيدة: عن ألق الكوكب السادس

السيد محمد محمد الحاضري ٥٨

(لا جرم) بين الاستعمال القرآني والاستعمال العربي

م. م. أحمد كاظم عماش ٦٠

جمالية الكلام النبوي الشريف

د. حســـين لفتة حافظ ٦٦

ص٦٦

ص٢٤

ص١١٦

ص١٠٠

ص٤٦

ص١٤

ص٩٦

ص٧٨

إضاءات السيرة

الدعاء عند السيدة الزهراء عليها السلام

د. خليل خلف بشير ٧٨

الزهراء عليها السلام.. الصبر وسمو المقامات

م. رشا حميد الساعدي ٨٣

للفضيلة نجومها

مالك الأشتر.. شاعر من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام

فارس رزاق الحريزي ٨٨

الشيخ خضر الجناجي

الشيخ حميد البغدادي ٩٢

الشيخ محمد الطرفي.. صرح المعارف في الهندية

أحمد الكعبي ٩٦

في النفس والمجتمع

المنهج التربوي عند الإمام الصادق عليه السلام

د. نجم عبد الله الموسوي ١٠٠

الحجاب في الإسلام وبعض من آثاره

د. شيرين سالم ١٠٥

طروحات عامة

المشهد الحسيني في العهد البويهي

د. سلمان هادي آل طعمة ١١٠

حقوق الإنسان في عهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لمالك

د. أحمد علي الخفاجي ١١٦

مفهوم الإدارة في المنظور الإسلامي

حامد عادل النصراوي ١٢٢

حكاية مستبصر ٥٠

في الذاكرة ٧٢

وقفة مع الذكرى ٧٥

أجوبة مسابقة العدد (٥٣) وأسماء الفائزين ١٢٨

مسابقة العدد (٥٥) ١٢٩

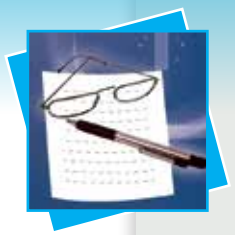

المناصب.. وغياب المسؤولية

بسم الله الرحمن الرحيم

في خضم الأحداث المريعة والتعدي السافر على المؤمنين، وفي شدة المعترك الطائفي الذي تمّر به البلدان الإسلامية اليوم نرى الاستئثار المشين بالمناصب، والاستحواذ على القرارات غير المسؤول، والتفرد بالسلطة مع إبعاد كل الكوادر الأخرى وإيقاف كل الأنشطة التي تصب في مصلحة البلاد وشعبه. ولم ندر إلى أين نريد أن نصل وكيف سنصل؟! فما من مناسبة دينية تمرّ إلا وتكون موشحة بدماء أبناء هذا البلد، وبمختلف الكيفيات، حتى وصل الحال بإعلان دولة في كيان دولة، وحكم في وسط الحكم القائم، ولا نرى أي مخطط معاكس يعمل على السيطرة على الوضع، وكأن المعني بذلك أبناء الشعب المتعب، لا القيادات وأصحاب السلطة، وبالفعل... فدافع الثمن هو هذا الشعب المسكين.. على جميع الأصعدة من نتائج الخلافات السياسية.. إلى نتائج الفساد الإداري والمالي.. ولا ندري كيف يتم حساب المسؤولية الشرعية والدولية؟! وأي مبرر يعتمده أصحاب السياسة والمنصب؟! وعلى أية قاعدة تسير المخططات التي تساهم في الاستيلاء على الحكم؟! وما هي المعايير التي يعتمدها المتقاتلون من أجل الوصول إلى السيطرة على مقدرات الشعوب؟! أليست هي إرضاء القواعد الشعبية العامة بتهيئة البنى التحتية والعيش بسلام؟! أليست هي العمل على رفع مستوى الوضع المتدني؟!.. أليست هي العمل على حفظ الممتلكات العامة والخاصة فضلاً عن حفظ الأنفس والدماء؟!.. ليت شعري بماذا تواجه هذه المسؤوليات الكبيرة؟! وكيف يمكن التخلص من محاسبتها على الصعيد التاريخي فضلاً عن الديني وأمام الله سبحانه.

ثم نسمع بين الحين والآخر وصول العتاب المرير، والتحفيز على العمل بشكل يحفظ التوازن، ومشاركة الآخرين في القرارات المصيرية التي تحدد مصير أمة كاملة على الصعيد الاجتماعي والطائفي، بل السياسي لكن نجد الأجوبة الغريبة حاضرة بأن النصر محقق، والتقدم على جميع الأصعدة تقدم ملموس، والبلد مستقر استقراراً يحلم به طوال عقود من الزمن، والرفاهية عامة على جميع الشعب، ونظير ذلك من الأحاديث التي إن صحت فهي حلم، وإلا فلا ترى حتى في الحلم، ولم يسمع بها أي فرد من أفراد هذه الطائفة الممتحنة، وكأنه

ضحك على الذقون، واستهوان بمقدرات الشعوب ومصيرها الذي زمامه بأيديهم.

ولا ندري كيف تغيب هذه الحقائق عن وجدان العاملين؟! بل كيف يبقى الهم الشاغل لهم هو السلطة المجردة عن كل مقوماتها التي حث عليها المشرع الأقدس، ولو لم تكن إلا كالأمانة التي صاحبها مسؤول عنها لكفى بها داعية إلى التحلي بالخدمة، وحلّ معضلات الأمور.

وما عسى المتولي لأمر الأمة المبتلى بمنصب من المناصب إلا أن ينظر إلى ما جاء في تاريخنا المجيد من الصورة المشرقة المتجسدة في وزارة ابن يقطين، الرجل الذي كان والده على صلة بالعباسيين مع موالاته لأهل البيت عليهم السلام، فقد تقلد علي بن يقطين منصب (أزمة الأزمة) أي: إدارة الأمور في أيام المهدي العباسي وعينه الرشيد وزيراً له وقد استأذن الإمام الكاظم عليه السلام في ترك منصبه فأجابه الإمام عليه السلام: «لا تفعل فإن لنا بك أنساً، ولإخوانك بك عزاً، عسى الله أن يجبر بك كسيراً، أو يكسر بك نائرة المخالفين عن أوليائه، يا علي كفارة أعمالكم الإحسان إلى إخوانكم. اضمن لي واحدة أضمن لك ثلاثاً: اضمن لي أن لا تلقى أحداً من أوليائنا إلا قضيت حاجته وأكرمته. وأضمن لك أن لا يُظلك سجن أبداً، ولا ينالك حد السيف أبداً، ولا يدخل الفقر بيتك أبداً. يا علي من سرّ مؤمناً فبالله بدأ وبالنبي ثنّى وبنا ثلّث».

فكيف بعد ذلك يهدأ بال مَن الملايين من الأمة تنتظر عطاءه وترجو فضله؟! وكيف يصفو ذهنه وهو بهذه المسؤولية العظيمة وبهذا المستوى من الاستئمان، وخلفه حساب عسير وإحصاء دقيق (**في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً**).

وليت شعري كيف يوقع الإنسان نفسه في هذه المسؤولية العظيمة ويمشي لها بقدمه وهو يعلم بأنه لا يقوى على حفظ أقل ما يمكن من حقوق الآخرين فضلاً عن التناحر والتكالب على تحصيل أدنى المناصب، ولو تجرّد عن المقاييس الدينية والثوابت الشرعية لكفى وهناً أن يحاسبه التاريخ ومن يأتي بعده، فإن الدنيا لو خلدت لشخص لخلدت للملك العادل سليمان بن داود عليه السلام، بل لما وصلت إليه. ألم يجد المتنفذون والمتسلطون عبرة من الماضين الذين بذلوا الغالي والنفيس من أجل الوصول إلى أقل مراتب المسؤولية كيف بدت عورتهم بعد ذلك وانكشفوا على حقيقة مرة أشد من طعم العلقم؟! حتى أصبحوا سبة تلوكهم الألسن في كل حين. لكن قيل قديماً: ما عشت أراك الدهر عجباً، ولله في خلقه شؤون يختار لأحد خيراً فيبعده عن الساحة والمعترك، ويبتلي آخرين فيزجهم في متاهات المناصب، فيتحملون العبء الكبير ويلبسون ثياب المسؤولية، والمحاسب هو الله سبحانه والرقيب رسوله صلى الله عليه وآله (**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**). ولله أمر هو بالغه، والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه ■

المشرف العام

الاستدلال القرآني
منهج آل محمد صلى الله عليه وآله

أ. م. د. محمد محمود زوين •
كلية الفقه/جامعة الكوفة

ينابيع

الأصل في المصطلح (دَلَلَ) الثلاثي، ومنه الدليل[*] : ما يستدلُّ به، والدليل الدالُّ، وقد دَلّه على الطريق، يَدُلُّه دلالةَ، ودُلولة، والفتح أعلى[1] ولا يخفى معنى دلّه على الطريق تعني الهداية والإرشاد إليه.

وليس من وكد البحث الخوض في ذلك، بقدر ما يريد أن يبين مفهوم هذا المصطلح وغاياته ومراميه وأهم البيّنات التي أغنته بحثًا وتنظيراً.

فالاستدلال في الاصطلاح بحدٍ يكاد يكون جامعاً مانعاً ولاسيما عند المُناطقة هو: (استنتاج قضية مجهولة من قضية أو عدة قضايا معلومة أو هو: التوصل إلى حكم تصديقي مجهول بواسطة حكم تصديقي معلوم أو بملاحظة حكمين فأكثر من الأحكام التصديقية المعلومة)[2]، أو هو(تقرير ثبوت الأثر لإثبات المؤثر)[3]

وأرى أن بيئة الأصوليين والمناطقة أوفر البيئات العلمية تناولاً للمصطلح وتطويراً لحدوده، وتطبيقاً لممارساته، ولاسيما عند أهل الأصول حيث يعتمد على آلياته في استنباط الحكم الشرعي من أصول النصوص الشرعية[4]

ومن لازم القول والبيان هنا أن الاستدلال عملية عقلية تجنح إلى القياس، والمفارقة بين القضايا التي هي مناط البحث الاستدلالي، للوصول إلى إثبات دلالة بدليل بديهي واضح لا يكاد ينفصل عن قضيته بل هو الجزء الواضح المبين لها.

أهل البيت والقرآن

ليس من الغريب أن ينهج أهل القرآن مسلك القرآن الكريم في الاستدلال

والاحتجاج ، فهم أخص الناس به وبرسوله، وهم عدل القرآن، وهم شفعاؤه بنص حديث الثقلين، وهم امتداد لعليٍ عليه السلام القائل: (أنا القرآن الناطق).

فإذا اعتقدنا بمقام أهل البيت عليهم السلام من القرآن، مقام المبيّن له الدال عليه، فإننا نتيقن أنهم (صلوات الله عليهم) ينهجون أقرب الطرق لبيانه وأفضل الوسائل في تفسيره.

لقد كان منهج الاستدلال عند أهل البيت عليهم السلام بمنزلة قطب الرحى في جميع وسائلهم وطرائقهم العلمية التي كانوا يؤسسون لها في بيت علومهم، وتنشئة أصحابهم وتلامذتهم وشيعتهم كذلك، ولا مبالغة إذا ذهبت إلى القول إن مسلكهم الاستدلالي طريق لأهل العلوم والمعارف أينما كانوا، وكيفما اعتقدوا.

وحسبنا فخراً أن نقول بمقالتهم، وأن نتصف بمسلكهم إذ (نحن أصحاب الدليل أين ما مال نميل).

وللاستدلال في تراثهم عليهم السلام مكانة كبيرة، وأهم ما يشار إليه أنك تشهده في مناظراتهم واحتجاجهم، فله في هذه البيئة شواهد كثيرة وموارد أصيلة، فضلاً عن ذلك، فإن أصول تأسيهم عليهم السلام بمناهج فهم القرآن ومبادئ التعامل معه فهماً وتفسيراً وتأويلاً كان بالاعتماد على طرائق الاستدلال.

من هنا فإن أغنى البيّنات العلمية الاستدلالية في تراث أئمة أهل البيت عليهم السلام هي المناظرات والاحتجاجات، فضلاً عن التفسير وبيان النص القرآني والكشف في الدلالات القرآنية التي هي مراد الله تعالى من كتابه، وسيوقفنا البحث على نماذج من كلامهم الشريف وكيف استدلوا على ألطف

المعاني وأغنى الدلالات وأروع الإشارات في سبيل الاستفادة منها والتحلي بها. واعتمادها منهجاً تفسيريًا رائداً ما يزال إلى اليوم أرقى آليات التفسير وأكثرها انسجاماً وتناسباً مع دلالات النص القرآني، وهو أفضل طرائق تحليل النصوص وأعلاها مرتبةً.

ومن جملة الأمثلة من تراث آل محمد ﷺ استدلال الإمام علي عليه السلام عندما أُريد رجم امرأة ولدت لستة أشهر، فأبطل حكم رجمها مستدلاً بقوله تعالى: ﴿**وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً...**﴾ وقال:﴿**وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ**﴾ فكان أقل الحمل بعد اقتطاع مدة رضاعته عامين ستة أشهر(٥)، وهو استدلال قائم على جمع الآية مقابل الآية وتفسير الآية بالآية بناءً على أن القرآن يفسر بعضه بعضًا.

وفي استدلال آخر للإمام علي عليه السلام وهو يرد مقولة بعض من احتج على المسلمين بعدم تماثل أخبار القرآن الكريم مع واقع المسلمين حيث أن القرآن أخبر نصه ﴿... **وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ** ..﴾ وقد تلا النبي ﷺ من عبد الأصنام برهة من الزمن، وهو خلاف نص القرآن بقوله (منه)، حيث أوضح الإمام عليه السلام أن هذه الآية حجة إلهية أقامها على خلقه من حيث عرفهم أنه لا يستحق مجلس النبي ﷺ إلا من يقوم مقامه ولا يتلوه إلا من يكون في الطهارة مثله بمنزلته، لئلا يتسع لمن ماسّه رجس الكفر في وقت من الأوقات ، حيث حظر الله تعالى على من ماسّه الكفر تقلُّد ما فرضه تعالى إلى أنبيائه وأوليائه ، وهو استدلال منتزع من قوله تعالى لإبراهيم عليه السلام: ﴿**لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾ [البقرة/ ١٢٤] أي المشركين، لأنه سمّى الشرك ظلمًا بقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ [لقمان/ ١٣] فلما عَلِم إبراهيم عليه السلام عهد الله تعالى بالإمامة لا ينال عبدة الأصنام قال: ﴿**وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ**﴾ [إبراهيم/ ٣٥].

لقد أكد عليه السلام أن من آثر المنافقين على الصادقين والكفار على الأبرار فقد افترى على الله إثمًا عظيمًا، إذ كان قد تبيّن في كتابه الفرق بين المُحق والمُبطل، والطاهر والنجس، والمؤمن والكافر، وإنه لا يتلو النبي ﷺ عند فقده إلا من حل محله صدقًا وعدلًا وطهارةً وفضلًا .

ولا يغيب عن اللبيب دقة الاستدلال على الموضوع مع اختلاف الشواهد في سياقاتها وموضوعاتها. ومن لطيف الإشارة أنه عليه السلام جمع بين استدلالين، **الأول** : استدلاله على معنى الظلم بالشرك، والآخر: استحقاق من يخلف النبي ﷺ أن يكون منه، مع لحاظ أن العهد المنسوب لله تعالى(عهدي)كان بمنزلة الفاعل والعامل فيمن يختارهم وينتجبهم لهذا المنصب الإلهي وليس العكس وهي دلالة ثالثة ولا ريب.

ومن روائع استدلالات أهل البيت عليهم السلام ما جاء على لسان الإمام أبي الحسن موسى بن جعفر الكاظم (صلوات الله عليه) عندما سأله الرشيد العباسي بعد أن قبض عليه، عدة أسئلة نقلها ابن شعبة الحراني(٦) قال الرشيد للإمام عليه السلام: (أريد أن أسألك عن العباس وعلي بم صار علي أولى بميراث رسول الله ﷺ من العباس، والعباس عم رسول الله ﷺ، وصنو أبيه؟

فقال له موسى عليه السلام اعفني.

قال: والله لا أعفيك، فأجبني.

قال: فإن لم تعفني فآمني.

قال: آمنتك.

قال موسى عليه السلام: إن النبي ﷺ لم يورث من قدر على الهجرة ما لم يهاجر، إن أباك

العباس آمن ولم يهاجر، وإن علياً عليه السلام آمن وهاجر، وقال الله تعالى:﴿**وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ**﴾ فالتمع لون الرشيد وتغير لونه وقال: ما لكم لا تُنسبون إلى علي وهو أبوكم وتُنسبون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو جدكم؟

فقال موسى عليه السلام: إن الله نسب المسيح عيسى بن مريم عليه السلام إلى خليله إبراهيم عليه السلام بأمه مريم البكر البتول التي لم يمسها بشر في قوله: ﴿**وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ**﴾ [الأنعام/ ٨٤، ٨٥] فنسبه بأمه وحدها إلى خليله إبراهيم عليه السلام كما نسب داود وسليمان وأيوب وموسى وهارون عليهم السلام بآبائهم وأمهاتهم فضيلة لعيسى عليه السلام ومنزلة رفيعة بأمه وحدها، وذلك قوله في قصة مريم عليها السلام ﴿**إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ**﴾ [آل عمران/ ٤٢] بالمسيح من غير بشر وكذلك اصطفى ربنا فاطمة عليها السلام وطهرها وفضلها على نساء العالمين بالحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة(٧).

بيان الإمام عليه السلام واستدلاله المتتابع بالنص القرآني أبطل افتخار الرشيد العباسي بعمه العباس، فضلاً عن ذلك فإن الإمام عليه السلام أجابه بناءً على مبدأ أو قاعدة التسليم الجدلي في فهمه للوراثة، حيث قصد الرشيد من السؤال الوراثة (الخلافة) ولعله لم يقصد غيرها ليساق النص في محاولة إبعاد آل البيت عليهم السلام عن انتسابهم للنبي صلى الله عليه وآله، فهو لم يرد بأي حال من الأحوال وراثة المتعلقات المادية أو ما شاكل ذلك بحسب الظاهر، لذا كان الإمام أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام مبطلاً لاستدلال الرشيد بقرب العباس من النبي صلى الله عليه وآله بنص القرآن الذي ليس من حجة أبلغ منه وبرهان القرآن ودليله لايقارن بغيره مهما كان هذا الغير.

والحال عينه ينطبق على نسبة أهل البيت إلى النبي الأعظم صلى الله عليه وآله حيث واجه الإمام ادعاء الرشيد، باستدلال قرآني فسقط دليله وانقطعت صلته ولم يجد مناصاً من الخضوع والتسليم لهذه الحجة وهذا الاستدلال الذي لا يُعادَل ويُماثَل بغيره في القوة والبداهة.

ولمن أراد الاستزادة من استدلالات أهل البيت عليهم السلام ومنهجهم في نقض ادعاءات أهل الضلال في قضايا مختلفة وموضوعات متعددة فليراجع احتجاجاتهم ومناظراتهم التي حوت على قضايا في الفكر والعقيدة والتفسير والأحكام وغيرها الشيء الكثير(٨).

(*) الدليل لغة: المرشد والموصل إلى المطلوب.

(١)لسان العرب/مادة (دلل)، كذلك: تاج العروس/مادة (دلل)، الصحاح/ مادة (دلل) وغيرها.

(٢) الاستدلال البلاغي / شكري المبخوت/ ١٧.

(٣) ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة/ ١٤٩ / طرق الاستدلال ومقدماتها عند المناطقة والأصوليين/الاستدلال عند الأصوليين/ ٢٢، وانظر مصادره. ظ كذلك مناهج الاستدلال/ علي الرباني الكلبايكاني.

(٤)الكليات /٢ /٣٢٢. كذلك، منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل والحجة/مجاهد محمود وأحمد ناصر/ ١٣٦.

(٥) مسلك القرآن الكريم في الاستدلال على وجود الله/ د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي

(٦) تحف العقول عن آل الرسول /ابن شعبة الحراني ص٤٠٤.

(٧) أنظر/على سبيل المثال، المؤلفات التالية:كتاب الاحتجاج/للطبرسي، مناظرات أهل البيت/ المناظرات والاحتجاجات العجيبة للأئمة المعصومين /السيد محسن النوري الموسوي).

قراءة نقدية..

في تفسير آية تزويج (الذُكران)

من منظور الإمام علي الهادي عليه السلام

• أ. م. د. سيروان عبد الزهرة الجنابي
كلية الفقه/جامعة الكوفة

ينابيع

إذا كان التفسير هو الإجراء الأدائي الذي يُمارَس بلحاظ مجموعة من الضوابط التأسيسية وجملة من الأسس الضابطة لاستحصال المبتغى الدلالي الأوفى للنص القرآني؛ فإنَّه يمكن أنْ يقال إنَّ المسار الأدائي الذي يسعى مُقاربةً إلى فهم مَكمنِ الإعجاز المضموني في النص المقدس؛ لايسير – وإنْ كان مُقيَّداً بمنظومات تنظيرية- على خُطىً واحدة لينتهي إلى نتيجة مُوحَّدة بالمحصلة النهائية؛ ذلك بأنَّ المنطلقات التفسيرية للنص الواحد قد تتباين من قارئ للنص إلى آخر يقرأ النصَّ نفسَهُ فقد تتقاربُ المحصلة الدلالية لهما وقد تتباعدُ ويحدثُ أحياناً أنْ تتباينَ تناقضاً وتقاطعاً؛ من هنا كان لابدَّ من وجود مَخرج توثيقي يُستَندُ إليه ويُركَنُ له من أجل استظهار المنطق المضموني الأصح من النص الذي هو موضع النظر والاختلاف أو الخلاف أحياناً.

من هنا ظهرَ ما يسمى بـ (النقد التفسيري) وهو عملية قراءة المعطيات التفسيرية للنص الواحد بحيثية (التضعيف والترجيح) أو (المناقضة والتأسيس)؛ وذلك على وفق قوة المنطق ورجاحة المنطلق ومتانة الدليل وصلابة السند؛

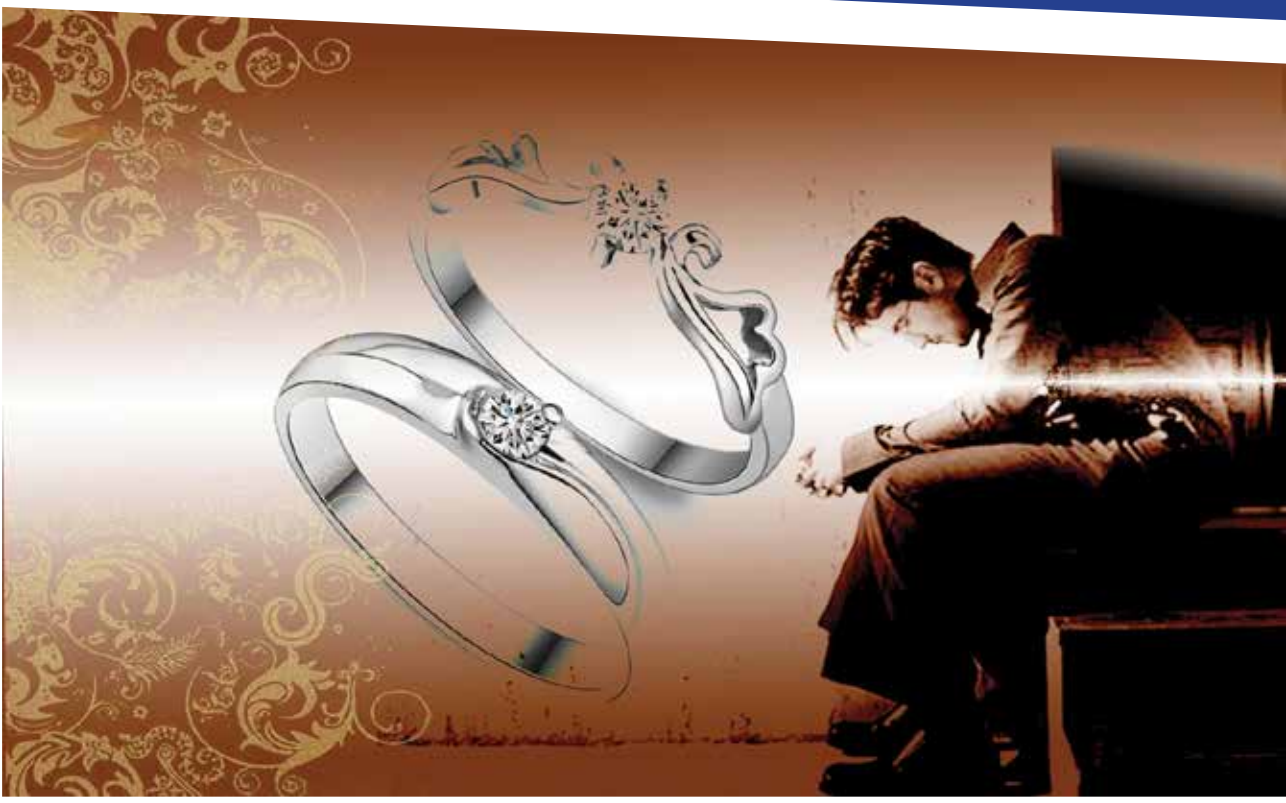

ذلك بأنَّ التراث التفسيري بلحاظ الوافد والمتراكم لا يسلم من مؤاخذات أو منافذ تسمح للقارئ أو المتلقي بالولوج منها إليه لإغلاقها أو لإحالتها على نطاق الصواب والرؤيا الأوفق أو بتعبير أدق إحالتها على ميدان الأوفق رؤيةً والأجود إداءً.

وتأسيساً على هذا المنطلق شاعت في بطون المدونات التفسيرية جملةٌ من الممارسات الدلالية على المتون التفسيرية؛ فتارةً يحدثُ الأمرُ عرضاً، وأخرى يجري تلميحاً، وتارةً ثالثةً يقعُ صراحةً وتشخيصاً؛ إذ لا نحسبُ أنَّ ثمة مدوناً تفسيرياً يخلو من نقدٍ سواء أكان النقدُ له أم عليه؛ نقول إذا كان هذا المنظور التمحيصي والنقدي لدلالة النص أمراً لا غرابة فيه لشيوعه في نتاجات العقل التفسيري؛ فإنَّه يمكن أنْ نقول أيضاً إنَّ هذا النمط من الممارسة لقراءة النص القرآني لم تكن وليدة المعرفة المعاصرة مطلقاً ولم يكن نمطاً حديثاً من أنماط النظر إلى النص قط؛ بل كان هذا المنحى الأدائي في التفسير أو للتفسير موجوداً عند الأئمة عليهم السلام إذ مارسه تطبيقاً بيانياً غيرُ إمام منهم إيماناً منهم بأنَّ استظهار مكنوناتَ النص المعجز لا تتوقف على بيان دلالاته اللغوية أو ما يسمى بـ (ظاهر) معناه على مستوى النص أو محدودية النص الواحد فحسب؛ بل إنَّ الأمر يتعدى هذا لديهم إلى الحد الذي يوظفون فيه أحياناً أكثر من نصٍّ لا لبيان المضامين الخطابية أو الدلالات اللسانية للنص الأول فحسب؛ بل لاستظهار معالج موضوعي

وإيجاد حل منطقي لمشكل خارجي ما زالت له حاجة ملحة إلى القطع بمضمونه؛ لأنَّ ذلك المشكل يمثل مُنطلقاً اجتماعياً أو حكمياً أو عقائدياً أحياناً، ولكل هذه المناحي والاتجاهات ارتباطات وثيقة بالمنطق العقلي والعملي للإنسان في وقت معاً، ولما كان داعي المساس لهذا المسار القرائي – النقدي- على هذه الدرجة العالية من التوصيف والاهتمام كان من الواجب بمكان أنْ يولي الأئمة عليهم السلام لهذا المنحى في التفسير (النقد التفسيري) ولمحصلته الغائية عناية متفردة؛ ذلك بأنَّ مَهَمَّتهم الأصل وتكليفهم الأمثل هو ما يُملي عليهم أنْ يؤولوا إلى هذه الخصوصية الإجرائية من منافذ البيان التفسيري لا محالة؛ وكان من بين الأئمة الذي برعوا في هذا النطاق هو الإمام الهادي عليه السلام وذلك في مسألة حل الإشكال التفسيري في القول بجواز تزويج الذكر من الذكر في النص القرآني.

وتأسيسًا على توظيف منطق الإمام النقدي لهذه الرؤيا التفسيرية يمكن القول بأنَّ الفهم البشري لدلالات النص القرآني قد تعتوره انزلاقة هنا أو تعتليه هفوة تفسيرية هناك، فقد يحدث أنْ يشطَّ المتلقي -أحيانًا- بذهنية بعيداً عن جادة الصواب في فهم نص ما؛ إذ قد يعمدُ إلى السطح الخارجي للنص فيقرأه على وفق الظاهر من دون أن يكلف نفسه عناء قراءة ما بعد دلالة هذا الظاهر الذي قد يوقعُهُ في إشكال معرفي في نطاق بيان المنطق الدلالي للآية الكريمة، وكان من بين هذا النمط من الفهم غير المتوافق مع مضمون النص المعجز هو ما نقله موسى بن محمد من سؤاله أخيه الإمام الهادي عليه السلام عن دلالة قوله تعالى ﴿**أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ**﴾ حيث سُئِلَ موسى نفسُهُ عن هذه الآية فلم يُحر جواباً؛ ولهذا هرع إلى الإمام ليفسر له النص على وفق منطقه الصحيح؛ إذ يُنقَلُ أنَّ موسى سُئِلَ عن هذا النص الكريم حيث قال: ((لقيتُ يحيى بن أكثم في دار العامة فسألني عن مسائل، فجئتُ إلى أخي علي بن محمد، فدار بيني وبينه من المواعظ ما حملني وبصرني طاعته، فقلت له: جعلت فداك إنَّ ابن أكثم كتب يسألني عن مسائل لأفتيه فيها، فضحك، ثم قال: فهل أفتيته؟ قلتُ: لا، قال: ولِمَ؟ قلت: لم أعرفْها، قال: وما هي؟ قلت: كتب يسألني ... عن قوله: ﴿**أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً**﴾؛ أيزوج الله عباده الذكران وقد عاقب قومًا فعلوا ذلك؟ .... {فأجاب الإمام}: أما قوله ﴿**أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً**﴾؛ أي يولد له ذكور، ويولد له إناث، ومعاذ الله أنْ يكونَ الجليل عَنِيَ ما لبست على نفسك تطلباً للرخصة لارتكاب المآثم، قال: فمن يفعل ذلك يلق آثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة، ويخلد فيه مهاناً إن لم يتب))، فعند النظر في نص الإمام نجد أنَّ الإمام قد عَلِمَ بأنَّ المتلقي قد وقع في نطاق الوهم في تفسير التزويج ههنا وذلك بدليل قوله عليه السلام: (ومعاذ الله أنْ يكونَ الجليل عني ما لبست على نفسك تطلباً للرخصة لارتكاب المآثم)؛ إذ حَسِبَ المتلقي أنَّ المعنى المبتغى من النص هو إجازة زواج الذكور بعضهم من بعض وجواز زواج الإناث بعضهن من بعض، وهو محرم في كل الشرائع السماوية التي أنزلها الله سبحانه وتعالى، وقد عوقب قوم لوط بعلة هذا الفعل المحرم، حيث يقول سبحانه على لسان لوط عليه السلام

﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِه إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾؛ لذا أدركه الإمام بالإيضاح الصائب فأبعد عن نفس المتلقي مدار الشطط في فهمه لمضمون دلالة التزويج في الآية.

والأظهر أنَّ الإمام الهادي عليه السلام قد اعتمد في نقده للفهم التفسيري للسائل منهج تفسير النص بالنص؛ ذلك بأنَّه قد نظر إلى الدلالة العامة للسياق الذي وردت فيه هذه الآية الكريمة وهو تحديداً في قوله تعالى﴿لِلَّه مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾إذ نفهم من دلالة الآية السابقة على آية تزويج (الذكران) أنَّ السياق ههنا منصب على بيان سعة قدرته سبحانه بدلالة قوله ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ حيث أرجع سبحانه مسألة الخلق إليه حصرًا بدلالة استعماله (ما) الموصولة في قوله (ما يشاء)؛ ذلك بأنَّ (ما) ههنا تفيد دلالة العموم بمعنى أنَّ كل ما هو مخلوق إنما خالقه الله سبحانه وتعالى ثم خصص سبحانه بعد ذلك بقوله﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ليبين مدى قدرته في تنويع الخلق ومدى سلطته في أن يهب الإناث أو الذكور لمن يشاء، ثم انتقل بعد ذلك إلى بيان مديات قدرته العليا وذلك في قوله تعالى﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً﴾؛ إذ المراد يهب لمن يشاء ذكراً وأنثى معاً زوجين زوجين، ولا يعني ذلك بالضرورة أنَّ المراد هو عقد الزواج ليُفهَمَ بأنَّ المضمون هو إباحة زواج الذكر من الذكر والأنثى من الأنثى؛ ذلك بأنَّ

الله سبحانه قد استعمل الفعل (يزوجهم) في الآية الكريمة بالمعطى المعجمي لها وهو الاقتران زوجين زوجين لا بالمفهوم الاصطلاحي الشرعي لها مطلقاً، فهو سبحانه يريد المزاوجة أي ((يقرن بين الإناث والذكور ويجعلهم أزواجاً فيهبهما جميعاً)) لمن يشاء ذرية له، فهو تارةً يهب الذكور فقط وأُخرى يهب الإناث فحسب؛ أي (يهب لمن يشاء إناثاً لا ذكور معهن، ويهب لمن يشاء ذكوراً لا إناث معهم) وتارةً ثالثة يهب الذكور والإناث مزاوجة، ويبدو أنَّ البيضاوي قد استشعر أنَّ المراد من التزويج هو معنى خلق الذرية على هيئة الأزواج اثنين اثنين؛ ولهذا قال ما نصه: إنَّ قوله تعالى﴿**أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً**﴾ بدل من {يخلق} بدل البعض، والمعنى يجعل أحوال العباد في الأولاد مختلفة على مقتضى المشيئة فيهب لبعض إما صنفاً واحداً من ذكر أو أنثى أو الصنفين جميعاً ويعقم آخرين))

وما يعضد مقولة نقد الإمام عليه السلام أيضاً هي خاتمة الآية الكريمة وهي قوله سبحانه ﴿**وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ**﴾بهذا نستدل على أنَّ محور الحديث في الآية إنما هو مسلط على منح الذرية؛ فقد يمنحها الله ذكوراً أو إناثاً أو ذكوراً وإناثاً معًا على حد سواء أو يجعل المرء عقيماً لا ذرية لديه، وهذا يدل على مدى قدرته سبحانه وهيمنته على عباده مطلقاً؛ من هنا فسَّرَ الإمام (يزوجهم) بالمعنى المعجمي لها هو المراد تحديدًا في الآية الكريمة لا غير، يقول الرازي: ((التزوج والتَّزاوُجُ والمُزَاوَجَةُ والازْدِواجُ بمعنى، والزَّوْجُ ضد الفرد وكل واحد منهما يسمى زوجاً أيضا، يقال للاثنين هما زوجان وهما زوج، كما يقال هما سيان وهما (سواء))ويرى ابن منظور أنَّ ((الأصل في الزَّوْج الصِّنْفُ والنَّوْعُ من كل شيء، وكل شيئَين مقترنين شكلين كانا أو نقيضين فهما زوجان، وكلُّ واحد منهما زوج))

بهذا نستدل على أنَّ نقد الإمام الهادي عليه السلام في توجيه دلالة فهم التزويج في الآية كان مبنياً على ثلاثة أسس لغوية هي: (الأساس المعجمي للفظ التزويج في التداول اللساني الأصلي عند العرب، وتوظيف وحدة السياق المؤيدة للمعنى الذي قدمه الإمام للسائل، وثالثها أنَّ هذا التوجيه المضموني مستندٌ إلى كيفية الاستعمال القرآني نفسه؛ إذ ورد توظيف مفردة الأزواج بمعنى القرناء دون الدلالة على عقد الزواج في التعبير القرآني، وذلك في قوله تعالى ﴿**احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ**﴾ فالمراد من لفظة (وأزواجهم) وقرناءهم من الذين اتبعوهم، وقيل: ﴿**أزواجهم قرناؤهم من الشياطين يحشر كل كافر من شيطانه**﴾ ولا يخرج كلا المعنيين من الدلالة على الاقتران، وهو ما أراده سبحانه من دلالة التزويج في الآية التي وجَّهها الإمام الهادي عليه السلام تحديداً.

مما تقدم يمكن أن نستنتج الآتي:

١- أنَّ النقد التفسيري يعدُّ وجهاً من وجوه استنباط الدلالة التفسيرية الأرجح فهو من أجلى أصول بيان النص القرآني على وجه الحقيقة الدلالية غير المشكوك فيها؛ وبهذا يمكن أنْ يعدُّ جزءاً من التفسير بالحتمية والضرورة التبعية.

٢- إنَّ استعمال الإمام الهادي عليه السلام لهذا النمط الأدائي من أنماط التفسير لهو

دليلٌ قطعيٌّ وسندٌ لا يحتمل احتمال على ضرورة ممارسة هذا المنحى التشخيصي للدلالة على النصوص القرآنية كافة؛ ذلك بأنَّ هذا الإجراء البياني الصادر من الإمام تباعاً والرسول ابتداءً يعدُّ من السنة الشريفة؛ والسنة واجبة الاتباع بلا نقاش ومفروضة الأداء بلا جدل.

٣- إن اعتماد هذا النمط من قراءات النصوص القرآنية له من الأهمية بمكان ما يدعو المُفسِّر إلى طول النظر والتأمُّل وإعادة القراءة المرة تلو الأخرى حتى يقفَ على المنجز الدلالي الأمثل من النص وذلك بحيثية تمحيصه الآراء التفسيرية التي قيلت في حق النص؛ وسبره لغور النتاجات البيانية التي أُدليت في الموضع المراد نقده تفسيراً؛ وبهذا ستُغربَل دلالة النص ويُمحَّصُ معناه وصولاً للجوهر المضموني الأصل من النص.

٤- إنَّ هذا الإجراء التفسيري المُمَنْهَجَ قد يُعدُّ حلاً للكثير من الإشكالات التي قد يقع في هوتها بعض علماء التفسير فتتسع مساحة الخلاف في النصوص التفسيرية بينهم؛ وقد ينتهي الأمر ببعضهم إلى تأسيس حكم شرعي يعتمد عليه الناس ويرْكَنُ إليه وهو في حقيقته وهم تفسيري لا أساس له من الصحة.

١- سورة الشورى: ٥٠.
٢- المجلسي: بحار الأنوار: ٣٨٩/١٠ و٦٩/٧٦، وابن شهر أشوب: مناقب آل أبي طالب: ٥٠٨/٣، وينظر: محمد حسين الصغير: الإمام الهادي (ع) الأنموذج الأرقى للتخطيط المستقبلي: ٢٢٠.
٣- سورة العنبكوت: ٢٨.
٤- سورة الشورى :٤٩- ٥٠.
٥-الشوكاني: فتح القدير: ٧٧٥/٤.
٦- م.ن : ٧٧٤/٤ ، وينظر: البغوي: تفسير البغوي: ٢٠٠/١.
٧- البيضاوي: تفسير البيضاوي: ١٣٥/١ ، وينظر: الآلوسي: روح المعاني: ٥٣/٢٥.
٨- الرازي: مختار الصحاح:٢٨٠.
٩- ابن منظور: لسان العرب: ٢٩١/٢.
١٠- سورة الصافات: ٢٢.
١١- ينظر: ابن منظور: لسان العرب:٢٩١/٢.
١٢-ينظر: الشوكاني: فتح القدير:٥٥٥/٤ ، والبغوي: تفسير البغوي: ٣٦٣/١.

الاقتباس القرآني

في دعاء الغدير للإمام الصادق عليه السلام

م. م. أحمد جاسم الركابي •
كلية الآداب/ جامعة البصرة

من دعاء الإمام الصادق عليه السلام يوم الغدير:

«اللّهُمَّ إِنِي أُشْهِدُكَ ، وَكَفى بِكَ شَهِيداً ، وَأُشْهِدُ مَلَائِكَتَكَ ، وَحَمَلَةَ عَرْشِكَ ، وَسُكَّانَ سَمواتِكَ ، وَأَرْضِكَ ، بِأَنَّكَ اللهُ الذي لا إِلهِ إِلاَّ أَنْتَ ، المَعْبُودُ الذي لَيْسَ مِنْ لَدُنْ عَرْشِكَ، إِلى قَرَارِ أَرْضِكَ مَعْبُودٌ سِـوَاكَ إِلاَّ بَاطِلٌ مُضْمَحِلٌّ غَـيْرَ وَجْهِكَ الكَرِيم ، لا إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ المَعْبُودُ ، لا مَعْبُودَ سِوَاكَ ، تَعَالَيْتَ عَمَّا يَقُولُ الظَالِمونَ عُلُواً كَبيراً ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَداً عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيّاً أَمِيرَ المُؤمِنِينَ ، وَلِيُّهُمْ وَمَوْلاهُمْ وَمَوْلايَ...».

الإقبال ص: ٤٧٧

ينابيع يحفل تراث الإمام الصادق عليه السلام بالنصوص الأدبية المختلفة التي حاكت لغة القرآن وضارعت الفصاحة النبوية وشاكلت البيان العلوي، ومن بين تلك النصوص الأدبية أدعيته المباركة التي جمعها الشيخ باقر شريف القرشي في كتاب (الصحيفة الصادقية)، وقد ضم هذا الكتاب مجموعة كبيرة من الأدعية الخاصة بمختلف الأوقات والمناسبات كأدعية الصباح والمساء، وأدعية الليالي والأيام المباركة، وأدعية شهر رمضان، وأدعية الحج، وغيرها.

ومن بين هذه المناسبات الإسلامية والأيام المباركة عيد الغدير الأغر، فهو من أهم الأعياد شأناً، ومن أسماها منزلة، ففيه كمل الدين، وتمت النعمة الكبرى على المسلمين، وقلّدت السماء الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قيادة روحية، ونصبته خليفة للنبي صلى الله عليه وآله من بعده، ولما كان هذا اليوم المبارك من أعظم الأعياد في الإسلام، فقد ندب الإمام الصادق عليه السلام إحياءه بذكر الله تعالى، وكان يدعو بهذا الدعاء، وحث شيعته على تلاوته ، والدعاء مذكور نصه كاملاً في

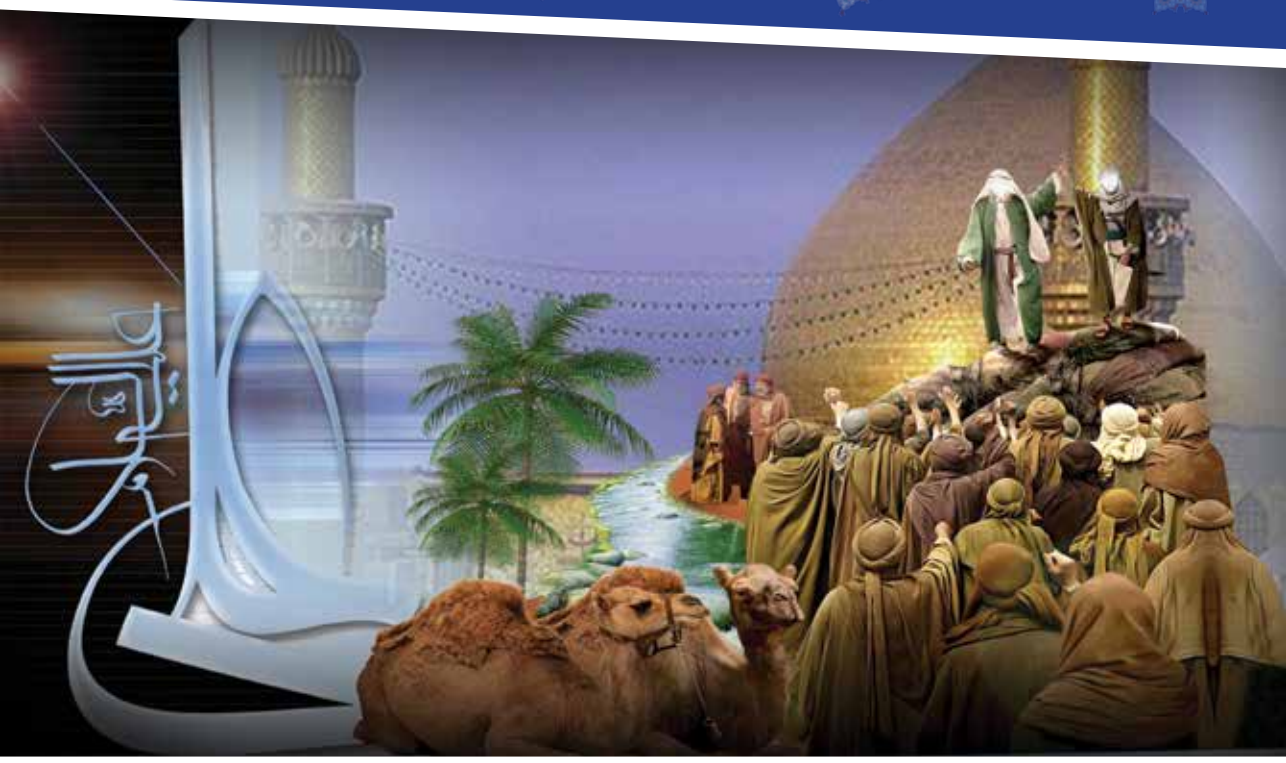

الصحيفة الصادقية[٢] .

الاقتباس القرآني:

الاقتباس: هو فن من فنون البلاغة، يقوم على تضمين النص الأدبي آيةً قرآنيةً أو حديثاً أو مثلاً، ويكون على نحوين :

١ـ الاقتباس بالمعنى واللفظ

وذلك بجعل النص المُقتبس متداخلاً مع دلالة النص المقتبس له .ومن الملاحظ أن الاقتباس القرآني يكثر بشكل لافت في هذا الدعاء، فأول ما يطالعنا فيه اقتباس قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ**﴾(آل عمران: ٤٩١)، مما يدل على أن أمر تنصيب الإمام علي عليه السلام أميراً للمؤمنين هو أمر إلهي قرآني، وكأن الإمام الصادق عليه السلام بصدد تأكيد هذه الفكرة في نفوس المتلقين، فضلاً عن ذلك فقد قدّم في هذا الدعاء تفسيراً غير مباشر لبعض المفاهيم القرآنية، فالمتلقي حينما يقرأ أو يسمع هذا الدعاء تتولد في مخيلته دلالات تفسيرية لهذه المفاهيم لم تكن لولا أنها اقتُبست في هذا النص.

فمفهوم (نداء الإيمان) الوارد في الآية الكريمة يُفسَّر في ضوء هذا النص بـ (نداء البيعة) لأمير المؤمنين عليه السلام، وأن المنادي هو رسول الله صلى الله عليه وآله.

والأمر نفسه يمكن ملاحظته في بقية أجزاء النص، ففي أكثر فقرات الدعاء ورد الاقتباس القرآني شاهداً حياً على هذه الحادثة التاريخية، وتأكيداً لفكرته، وإنارةً لموضوعه الذي حاول أعداء المذهب طمسه وإطفاء نوره، وذلك بالتركيز على صفات

أمير المؤمنين عليه السلام ومناقبه وفضائله في الإسلام، وهو ما يجعل النص أكثر تماسكاً وترابطاً دلالياً.

فمن صفات الإمام علي عليه السلام الواردة في القرآن الكريم، والمقتبسة في نص الدعاء:

١- (العلي الحكيم): ((فاشهد يا إلهي أن الإمام الهادي، المرشد، الرشيد علي بن أبي طالب، صلوات الله عليه، أمير المؤمنين الذي ذكرته في كتابك، فقلت: ﴿**وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾(الزخرف: ٤.).

٢- (النبأ العظيم): ((وأن علياً أمير المؤمنين ولينا ومولانا ... عبدك الذي أنعمت عليه، وجعلته في أم الكتاب لديك علياً حكيماً، وجعلته آية لنبيك، وآية من آياتك الكبرى، والنبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون))، وهو اقتباس لفظي غير نصي من قوله تعالى: ﴿**عَمَّ يَتَسَاءلُونَ * عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ * الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ**﴾(النبأ: ١-٣.).

٣- (ولي أمر المؤمنين)، ومن (الصادقين): ((ربنا إنك أمرتنا بطاعة ولاة أمرك، وأمرتنا أن نكون مع الصادقين، فقلت:﴿**أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾(النساء:٥٩)، وقلت: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾(التوبة:١١٩).

٤- بولايته (كَمُلَ الدين وتمَّت النعمة): ((وجعلت الإقرار بولايته تمام توحيدك، والإخلاص لك بوحدانيتك، وإكمال دينك، وتمام نعمتك على جميع خلقك، فقلت وقولك الحق: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا**﴾(المائدة: ٣).

٥- إن ولايته هي (النعيم)، وهو ما يُسأل عنه العباد يوم القيامة: ((اللهم فكما كان من شأنك يا صادق الوعد، يا من لا يخلف الميعاد، يا من هو كل يوم في شأن، أن أتممت علينا نعمتك بموالاة أوليائك، المسؤول عنهم عبادك، فإنك قلت: ﴿**لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ**﴾ (التكاثر: ٨)، وقلت: ﴿**وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ**﴾ (الصافات: ٢٤).

٦- وبيعته هي (العهد والميثاق): ((وذكَّرتنا ميثاقك المأخوذ منا في ابتداء خلقك إيانا، وجعلتنا من أهل الإجابة، وذكَّرتنا العهد والميثاق، ولم تنسنا ذكرك، فإنك قلت: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا**﴾(الأعراف: ٢٧١).

٢ـ اقتباس المعنى دون اللفظ

وفي كل ما تقدّم كان اقتباساً لفظياً من القرآن الكريم، وأما الاقتباس بالمعنى دون اللفظ، وهو أن يقتبس منشئ النص معنى قرآنياً ولكن بتغيير بعض الألفاظ أو تغيير بنائها، فتكاد لا تخلو فقرة من هذا الدعاء من المعاني القرآنية التي تُقدِّس الله تعالى وتوحّده وتنزهه سبحانه وتعالى، أو تذكر منزلة رسول الله صلى الله عليه وآله ومنزلة أمير المؤمنين عليه السلام، من ذلك مثلاً: (ربنا إننا سمعنا النداء، وصدّقنا المنادي، رسولك صلى الله عليه وآله، إذ نادى نداء عنك بالذي أمرته أن يبلّغ عنك ما أنزلت إليه من موالاة ولي المؤمنين، وحذّرته، وأنذرته إن لم يبلغ أن تسخط عليه، وأنه إذا بلّغ رسالتك عصمْته من الناس).

فهو اقتباس معنوي من قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾(المائدة: ٦٧).

((فلك الحمد على ما مننت به علينا من الإخلاص، والتصديق لعهدك وميثاقك، ومن أهل الوفاء بذلك، ولم تجعلنا من الناكثين

والمكذبين، الذين يكذبون بيوم الدين، ولم تجعلنا من المغيرين والمبدلين والمحرفين والمبتكين آذان الأنعام، والمغيرين خلق الله، ومن الذين استحوذ عليهم الشيطان، فأنساهم ذكر الله، وصدهم عن السبيل والصراط المستقيم)).

وهو اقتباس معنوي من قوله تعالى: ﴿**وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ**﴾ (المطففين: ١٠-١١)، وقوله تعالى: ﴿**وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ**﴾ (النساء: ١١٩)، وقوله تعالى: ﴿**اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ (المجادلة: ١٩).

(آمنا يا رب بسرهم وعلانيتهم، وشاهدهم وغائبهم، ورضينا بهم أئمة وسادة وقادة، لا نبتغي بهم بدلاً، ولا نتخذ من دونهم ولائج أبداً).

وهو اقتباس من قوله تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ اللهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً**﴾ (التوبة: ١٦).

يتضح مما سبق أن هناك نقاط التقاء وثيقة بين كلام الله تعالى وكلام المعصومين عليهم السلام، وهذا ليس بغريب إذ إن كلامهم هو كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وكلام رسول الله هو كلام الله تعالى، ونقصد بذلك أنه مطابق لتعاليم الله وتوجيهاته، وفصاحتهم وبلاغتهم وأدبهم من فصاحة القرآن وبلاغته وأدبه، ونخص من بين المعصومين الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام الذي إليه يعود هذا الدعاء.

تدعون فنؤمّن..

عن أبي الربيع الشامي قال:

قلت لأبي عبد الله عليه السلام: بلغني عن عمرو بن الحمق حديث، فقال: اعرضه.

قال: دخل على أمير المؤمنين عليه السلام فرأى صفرة في وجهه فقال: ما هذه الصفرة؟ فذكر وجعاً به.

فقال له علي عليه السلام: إنا لنفرح لفرحكم ونحزن لحزنكم ونمرض لمرضكم وندعو لكم وتدعون فنؤمن.

قال عمرو: قد عرفت ما قلت، ولكن كيف ندعو فتؤمّن؟ فقال: إنا سواء علينا البادي والحاضر.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: صدق عمرو .

البحار للمجلسي ج:٢٦ ص:١٤١

نشأة علم الكلام
مناقشة وترجيح

أ. د. الشيخ صاحب نصار
كلية الفقه/ جامعة الكوفة

ينابيع

علم الكلام..

من العلوم الرئيسة التي ينبغي الاهتمام بها ، ولو درسنا الحضارة الإسلامية في القرنين الأول والثاني لوجدنا أنها لم تكن كما كانت عليه بدون هذا العلم ، وأن ولادته كانت متزامنة مع الحفاظ والدفاع عن الإسلام ككل أصولا وعقيدةً وفكراً . ففي الوقت الذي كان الإسلام سبباً في نشوء هذا العلم نراه يؤثر تأثيره المقابل في تكوين الحضارة الإسلامية ،لقد كان هذا التأثير متمثلاً في الحفاظ على الطابع الإسلامي لهذه الحضارة .

(إن الإسلام يدعوها إلى عبادة الله والقضاء على الوثنية والشرك ويحثها على التفكير في خلق السماء والأرض والأفلاك والإنسان ، فآمن به الجاهليون ولم يهتموا بدرس آياته وشرحها ،لهاهم الإيمان عن التفكير مدة من الزمن ثم انصرفوا إلى نشر هذا الدين وفرضه على الوثنيين ، وقد استيقظت الأفكار رويداً رويدًا)[1] .

وقد تألف الدين الإسلامي من عنصرين متمايزين في الواقع : أصول وفروع، وبتعبير آخر : عقيدة وشريعة، أما العقيدة : فقد استوفى الله أصولها كلها في كتابه المجيد وبينها الرسول الكريم ﷺ بقوله وفعله ،وكان ﷺ يحاور أهل الكتاب ويجادل المشركين ، ويرد عن أسئلتهم حول القدر والروح والبعث والجنة والنار ، والنبوة وحقيقة الإيمان ، وعلاقة الإسلام بالأديان الأخرى[2] .

حيث كانت هناك عقائد وأفكار مضادة وجماعات حاقدة تحاول احتواء

الديـن والحضارة الإسـلامية . وإن رجال الفكر الإسـلامي المتكلمين بهـدي النبي الكريمﷺ قد بذلوا الجهد في سبيل صيانة العقيدة وتركيز مفاهيم أصول الدين بصد مثيري الشبهات ودرء الأقاويل الجوفاء . لذا كان من الضروريات نشر الدين الإسلامي وحماية الدين وأحكامه، حث المسـلمين الأوائـل علـى البحـث العقلـي الكلامـي والتفكير الديني لحاجتهم المرحلية لذلك. فالمتكلمـون صلة لأشـياء مختلفة ، كانوا صلـة بين الأديـان بعضها ببعـض ،وصلة بين الفلسـفة والدين ، وصلة بين الفلسفة والأدب ، فلـو قلنا إن المتكلمين كانوا من أظهـر القائمين بعملية المـزج لم نبعد عن الصواب[٣] .أما دور التطور والنمو والتبلور فهو الـدور الـذي بـرزت فيه المشـاكل وتبلورت بعض المشـكلات التي أصبحت مثاراً للجدل والنقاش والاسـتدلال، وذلك بعـد أن انتهى المسـلمون مـن الفتوحات واستتبوا بعد أن استقرت البلاد الإسلامية إثر حروب وحركات مسـتمرة .ولكن هذا التطور والتبلور في علم الكلام لم يكسـبه دور التكامـل والنضج ليصبـح بنية قائمة بذاتهـا لها اسـتقلالها ومنهجها الخاص ، ولها أصولها المتميزة الواضحة، والخطوة لذلك كانـت بعد حركة الترجمة الواسـعة التـي ظهرت فـي مطلع العصر العباسـي والتي فتحت آفاقاً جديـدة رحبة للمعنيين بهذا العلم وهذه البحوث . فأكسبتهم ذهنية ناجحة متحررة وسـلاحاً قويـاً للدفاع عن عقائدهم وأصولهـم ،وصيرت منهم كتلاً ومدارس فكريـة واعية .فقد بلغ هذا العلم ذروته وأوج رقيّـه فأصبح كياناً قائماً بذاته له ضوابطـه وأصولـه الخاصـة المتميزة .واليك أبـرز الآراء في نشـأة علم الكلام يـكاد يجمـع كل مـن كتـب وأرخ وناقش في نشـأة علم الكلام بأنـه ظهر إلى الأفق وعرف على حقيقته بعدما انتقل الرسـول

الكريم صلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى، فكانت مجمل الآراء المطروحة على النحو الآتي، حسب أهميتها وثقلها التاريخي :

أولاً مسألة الخلافة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله[٤] ومن جرائها ظهرت بوادر الاختلاف بعده بثلاثة آراء أهمها كما يقول الأشعري :

١- رأي الأنصار : وهم أول من آوى الرسول ونصره وقالوا نحن أحق الناس بالخلافة .

٢- رأي المهاجرين : وهم أول الناس إسلاماً وكانوا قرشيين في معظمهم قالوا نحن أحق بالخلافة من غيرنا .

٣- رأي بني هاشم:قالوا نحن أقرب القرشيين إلى الرسول، لأنهم كانوا يمثلون أهل بيته[٥] .

ثانيا الاعتزال : وإن أغلب آرائهم تطلب الخوض في مسائل كلامية منها القول بالمنزلة بين المنزلتين وقد اعتزل من جرائها واصل بن عطاء أستاذ الحسن البصري . (ثم طالع بعد ذلك شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة حيث نشرت أيام المأمون فخلطت مناهجها بمناهج الكلام، وأفردوها فناً من فنون العلم وسموها بعلم الكلام)[٦] . ومنهم نسب أن علم الكلام نشأ على أيدي المعتزلة وبلغوا فيه درجة بيّنة من النضج فأضافوا إلى اعتمادهم المنطق والفلسفة في مباحثهم الكلامية[٧] .

ثالثاً: مسألة الجبر والاختيار : ظهرت الجبرية والقدرية والطبقة التي تجمع بين الفكرتين ، وكان يمثل الجبرية فريق يؤمنون بأن الإنسان مجبر وليس حراً أو بهما معاً (وقد مال الأمويون إلى القول بالجبر لأنهم رأوه أكثر ملائمة لإسكات صوت معارضيهم وقمعهم ، محتجين بأن انتقال الخلافة إليهم قضاءً وقدراً)[٨] .

وأما الشيعة الإمامية فيمثلون الوسط في ذلك إذ لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين[٩] .

وأما الجهمية : أتباع معبد الجهمي وغيلان الدمشقي وغيرهم فقد ثبتوا في مسألة حرية الإرادة والاختيار[١٠] .

رابعاً قسم أرجعها إلى مقتل عثمان بن عفان وما حصل من جرائها من مشاحنات كلامية من اتهام به القتل ، وما كان من أسبابها قبل القتل من اعتراضات ونقد وإثارة الناس حوله والتي أدت إلى ما حصل .

خامساً وقسم أرجعها إلى نتائج التحكيم في معركة صفين وما حصل من جرائها من اختلافات واتهامات والتي كان من حصيلتها أن أفرزت فرقة خرجت على الإمام علي عليه السلام[١١] .

سادساً وهناك رأي بالنشأة وهي الخطوة التي تم بها إخضاع النقل للعقل، لا استخدام العقل وسيلة لإثبات النقل ، وهذه الخطوة لم تحدث إلا في مطلع الخلافة العباسية[١٢] .

سابعاً كما ظهرت إلى جانب ذلك مسائل أخرى أمثال القول بخلق القرآن وقدمه وما حصل من جرائها من مشاحنات كلامية ،وقد أدت إلى القتل والتشريد والنفي استمرت عصوراً فكان من نتيجتها أن تكونت طبقة من المتكلمين[١٣] .

ثامناً وكذلك مسألة صفات الله ونفيها وإثباتها وكذلك البعث والجنة والنار وعذاب القبر وفي الكون وخلق السماء والأرض والأفلاك[١٤] .

إضافة إلى ما تقدم وردت مسائل نستطيع أن نعتبرها داخلية وأخرى مسائل **خارجية وهي** :ـ

١- الديانات السماوية السابقة :

أ - اليهودية .

ب - المسيحية ، إضافة للديانات غير السماوية كالمجوسية وغيرها لأنها تمثل الديانات التي سبقت الإسلام والتي كانت تتطلب بالفعل النقاش والجدل والحوار .

٢- الفلسفات :

أ - اليونانية .

ب - الهندية .

جـ الفارسية ،والتي كان لها مدارسها ورجالها وآراؤها وكان لها أصولها ومناهجها ويدعون أنها ساعدت في نشوء علم الكلام الإسلامي .

٣- الحركة العلمية والترجمة ، حيث نقلت من الكتب الأولى العلوم والمعارف .

عرض وتوضيح

إن هذه الأقوال المتقدمة يمكن أن نعتبرها بمجموعها أدواراً لتطوره ولا يصح أن تعتبر واحداً بذاته نطاقاً لعلم الكلام وحده وسبباً لنشأته، وهذا مثال كل علم حيث يبدأ أول ما يبدأ في بحث بعض المسائل البسيطة المتعلقة ثم يأخذ في النمو والتطور حتى يتكامل فيصبح بنية أو كياناً قائماً بذاته متميزاً عن غيره .تعقيب ومناقشة وترجيح :

بالرغم من إجماع أغلب الكتاب والمؤلفين والمؤرخين وأصحاب الاختصاص من فلاسفة ومتكلمين على أن الآراء التي ذكرت آنفاً كانت تمثل بداية علم الكلام ونشوئه. والرأي المختار هو أن علم الكلام نشأ متزامناً مع الرسالة المحمدية حيث كانت بدايات الأسئلة والاستفسارات عن القرآن الكريم المعجزة الخالدة للرسول الكريم ﷺ والرسالة السماوية وتبليغها، وكذلك الأحاديث الروايات والأحداث تؤكد ذلك، (وذلك لأن مصير الدعوة الإسلامية وانتشارها كان مرتبطاً إلى حد كبير بهذا النقاش ومتوقفاً على إقناع الخصوم بسلامة موقف القرآن من تأويلاتهم وعباراتهم والحق الذي يقبله العقل ويتماشى مع المنطق أن نقول إذن إن المسلمين الأوائل كانوا يتناقشون في مثل هذه الأمور وكانوا يطيلون النظر والتأمل في آيات الله وبدائع صنعه[١٥] .

ومن المرجح أن المسلمين الأوائل لم يحاربوا النظر في العقائد ، وذلك لروح التساؤل المغروسة في قلوب معتنقي الدين الجديد وكان لابد لهم أن يتساءلوا وأن يبحثوا ،وقد وضع الإسلام أمامهم مشاكل متعددة لم يألفوها من قبل في حياتهم الجاهلية[١٦] .

وإن المسلمين قد قبلوا ما جاء في القرآن والحديث إن لله ذاتًا وله أسماء وأنه خلق هذا العالم من لا شيء ، سلموا بذلك واطمأنت نفوسهم ثم بعد ذلك أخذ جماعة منهم يتساءلون ما هي حقيقة الذات وحقيقة الصفة وحاولوا أن يجدوا الصلة بين الاثنين، ومن الله وصفاته اتجهوا إلى البحث في العالم . خلق هذا العالم من لا شيء وكان لابد أن يبحثوا في حدوث المادة . وكذلك بحث المتكلمون مسألة أفعال الإنسان[١٧] .

وقد أكد الدكتور الأهواني في معرض حديثه عن علم الكلام (إنه لا مشاحة في أن علم الكلام علم إسلامي أصيل)[١٨]. وإن لم يعر أهمية في تعليقته للسؤال الذي قد يثار حول الموضوع وهو هل إن علم الكلام إسلامي محض أو إنه نشأ بتأثير أجنبي وبخاصة المناقشات حول الله وصفاته في المسيحية .

وعليه وانطلاقًا من هذه الفكرة نستطيع أن نقـر بـأن الحق هو أن علـم الكلام قد بدأ ونشـأ في الصدر الأول من الإسـلام مـا دام تعريفـه لا يتعـدى كما يقـول ابن خلـدون في مقدمته (الحجـاج عن العقائد الدينية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة والمنحرفين)[١٩] . وما دام موضوعه :

هـو العقائـد الإيمانيـة بعـد فرضها صحيحـة من الشـرع من حيـث يمكن أن يسـتدل عليها بالأدلة العقليـة فتدفع البدع وتزول الشكوك والشـبه من تلك العقائد)[٢٠] .

وما دام الإسلام قد جند قواه في فترة ما بعد الهجرة على الملاحدة والمنحرفين لتجلية العقائد الدينية وعرضها والاستدلال عليها بالعقل قرآنـاً وحديثاً، أرجّح ما دام كل ذلك كان متوافراً صح لنا أن نعتبر هذا الدور دور نشأته وبداياته .

الهوامش:

١- عبده الشمالي :تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية ص٩٨ ، ط٤ ، مطبعـة دار صادر بيروت عام ١٩٦٥م.

٢- يحيـى هاشـم حسـين فرغـل : نشـأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية ص٢٦٧ .

٣- أحمد أمين : ضحى الإسلام جـ١ ص٤٠١ .

٤- حنـا فاخوري : تاريخ الفلسـفة الإسـلامية ج١ ص١٤٥ .

٥ - الأشعري : مقالات الإسلاميين ج١ ص٩٠ .

٦- الشهرستاني : الملل والنحل ج١ ص٣٦ .

٧- علي مصطفى العرابي : تاريخ الفرق الإسلامية ونشأة علم الكلام ص١٩ .

٨- د.يحيـى هويـدي : دراسـات في علـم الكلام والفلسفة الإسلامية ص٦٥ .

٩- محمد رضا المظفر : العقائد الكلامية ص٥٠ .

١٠ - علي العرابي : تاريخ الفرق الإسـلامية ونشأة علم الكلام ص١٩ .

١١- الشهرستاني : الملل والنحل ج١ ص٣٦ .

١٢- علي العرابي : تاريخ الفرق الإسـلامية ونشـأة علم الكلام ص١٨٦ .

١٣- د .يحيـى هويدي : دراسـات فـي علم الكلام والفلسفة الإسلامية ص٦٦ .

١٤- م . ن .

١٥- د .علـي هويـدي : دراسـات في علـم الكلام والفلسفة الإسلامية ص٨٠ .

١٦- د. علي سـامي النشار :نشـأة الفكر الفلسفي الإسلامي ص٥٤ .

١٧-د. علي سـامي النشـار وسـعاد عبـد الرزاق : التفكير الفلسفي في الإسلام ص١٦ .

١٨- أحمـد داود الأهواني : الفلسـفة الإسـلامية ص٢١ .

١٩- إبن خلدون : المقدمة ص٣٨٤ .

٢٠- م . ن : ص٣٩١ .

مواقف خالدة:

كان لمالك الأشتر دور بارز في الفتوحات الإسلامية، وإنه الذي قطف النصر للمسلمين في كل معركة شارك فيها، ويدل على ذلك ما قد تجده في مصادر الفتوحات من نصوص تكشف دوره الأساسي في فتح إيران في معركة القادسية وفتح أصفهان، وفي فتح الشام في اليرموك، وفتح مصر . فقد ذكر البلاذري أن الأشتر كان قائداً في فتح أنطاكية. وذكر كيف خطط مالك لفتح حلب.

كان الأشتر طويل القامة تام القناة ، مهيب الطلعة . إذا ركب الفرس المُطَهَّمَ خَطَّتْ إبهاما رجليه الأرض! وعرف بشدة البأس وبالجود والفصاحة . قال ابن أبي الحديد: (لو أقسم أحد بأن الله لم يخلق في العرب والعجم شخصاً أشجع من مالك إلا أمير المؤمنين علي عليه السلام، لم يأثم). (شرح النهج : ١٥ / ٩٨) .

وبكى يوماً عند علي عليه السلام فقال له : ما يبكيك لا أبكى الله عينك؟ فقال : أبكي يا أمير المؤمنين لأني أرى الناس يقتلون بين يديك وأنا لا أرزق الشهادة ! فقال عليه السلام: أبشر بالخير يا مالك . (الفتوح : ٣ / ١٧٩) .

وكان ساميَ الأخلاق حليماً، فقد رآه بعض السَّوَقة فسخر من زيه ورماه ببندقة ، فمضى ولم يلتفت ! فقيل للرجل: ويلك أتدري من رميت؟ فقال : لا ، فقيل له : هذا مالك الأشتر صاحب أمير المؤمنين عليه السلام ! فخاف الرجل ومضى إليه ليعتذر منه فرآه دخل مسجداً وهو قائم يصلي، فلما انتهى أكب على قدميه، فقال له : ما هذا؟! فقال: أعتذر إليك مما صنعت! فقال: لا بأس عليك ، فو الله ما دخلت المسجد إلا لأستغفرن لك.

(الكافي : ٢ / ٢٦٢)

لقب (الخلفاء الراشدون) بين السرقة والضياع

مقتبس من كتاب فاجعة الطف

هيئة التحرير •

إن التقديس المنقطع النظير الذي حظي به الخلفاء الذين تسنموا دست الحكم في العهد الإسلامي الأول ـ بعد رحيل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ـ لم يكن ذا طابع تشريعي، ولا لخصوصية امتازوا بها من بين الصحابة الذين خلّفهم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، لا في عشيرة ولا في المجتمع الإسلامي آنذاك، بل لمجرد المبادرة التي كانوا يمتلكونها، مع كثير من الجرأة والتحدي المنقطعي النظير لكل من يحاول مجابهتم والرد عليهم وتعنيفهم.

ينابيع

وبقيت هذه السمة فيهم حتى وصل الدور إلى عثمان بن عفان الذي امتاز عن سابقيه بالميول القبلية والاستئثار بفيء المسلمين بشكل فاضح، فوصلت الأمة في عصره إلى ما وصلت إليه من التشتت والضياع، فانفجر المسلمون في ذلك الوقت، وتحركوا لتغيير الموقف قبل فوات الأوان، بعد أن حاولوا التغيير سلماً لكن لم يفلحوا، فثارت الثائرة عليه وزيح من منصبه بالإجهاز عليه وإنهاء الأمر.

ثم ـ بعد الأحداث العصيبة التي مرت على الأمة في تلك الفترة وفي الفترات اللاحقة لها عبر العشرات من السنين ـ حاول الخط الآخر للأمة إضفاء الطابع التقديسي للأولين، فجعلوا يضعون الأحاديث المزيفة في فضلهم ورفعة

مقامهم حتى شاع ذلك في عهد معاوية بن أبي سفيان.

واستمر الأمر على هذا المنوال حتى العهد العباسي الأول ـ تقريباً ـ وبعده ظهر لقب (الخلفاء الراشدون) على الصعيد العام، بعد قوة الخط الآخر، وفي أوج سيطرة الخلافة العباسية واستحكامها على الحكم، مع الجهل الكبير من العامة بمقام أهل البيت عليهم السلام، حتى لم يظن أحد أنه من ألقابهم عليهم السلام، وقد حاول العلماء منهم التركيز على هذا اللقب، وكأنهم لم يجدوا أفضل منه لقباً يتسم بصبغة رسالية، وطابع تشريعي، حتى أخذ موقعه في أحاديثهم، وشاع بشكل كبير.

ولم نجد من حقق في هذا اللقب وأنه من ألقاب أهل البيت عليهم السلام وقد سرق منهم إلى يومنا هذا، حتى طبع كتاب (**فاجعة الطف**) **لسيدنا المرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيد الحكيم** (مدظله) الطبعة الخامسة، فرأينا أنه أسهب في تحقيقه، وبين أسباب اختفائه فترة من الزمن ثم ظهوره لقباً للأولين من الخلفاء، فارتأينا اقتباسه من الكتاب وإدراجه في المجلة ليعم النفع.

* * *

قال في صفحة: ١٥٧ من كتاب فاجعة الطف في معرض حديثه عن أن غلبة الباطل لا توجب ضياع الحق:

(روى الشيخ الجليل الحسن بن أبي الحسن الديلمي هذا الحديث كما يلي: (قال العرباض بن سارية: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وآله موعظة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقلنا: يا رسول الله إن هذه لموعظة مودع، فما تعهد إلينا؟ قال: لقد تركتكم على الحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ بعدها إلا هالك. ومن يعش منكم يرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بما عرفتم من سنتي بعدي، وسنة الخلفاء الراشدين من أهل بيتي، فعضوا عليهم بالنواجذ، وأطيعوا الحق ولو كان صاحبه عبداً حبشياً، فإن المؤمن كالجمل الألوف حيثما قيد استقاد)[1].

أما مصادر الجمهور فقد تضمنت الحديث المذكور بتمامه بألفاظ متقاربة. وفيه: (فعليكم بما عرفتم من سنتي بعدي وسنة الخلفاء الراشدين فعضوا عليها بالنواجذ...) وقد حذف منه: (من أهل بيتي).

ولا ينبغي الإشكال في حذف ذلك تحريفاً للحديث الشريف، أو أنه كان مستغنىً عنه لكون اختصاص الخلفاء الراشدين بأهل البيت (صلوات الله عليهم) كان معلوماً واضحاً في عهده صلى الله عليه وآله لآية التطهير وحديث الثقلين والغدير وغيرها من الآيات والنصوص الكثيرة الدالة على مرجعيتهم عليهم السلام للأمة في دينها.

فإن حديث العرباض هذا قد تضمن التنبيه لحدوث الاختلاف بعده صلى الله عليه وآله، وأن سنة الخلفاء الراشدين هي أحد المرجعين عند الاختلاف. فلابد من وضوح المرجعين معاً عند حصول الاختلاف، ليتضح الحق بسببهما، ويكونا أماناً من الضلال، وسبباً في هلاك الزائغ عن الحجة الواضحة.

ومن الظاهر أن الخلاف بدأ بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله مباشرة، وأول شيء وقع الخلاف فيه هو أمر الخلافة وتعيين الخليفة بعده صلى الله عليه وآله. فلو لم يكن الخلفاء الراشدون حينئذ معلومين لم يكن لهم أثر في وضوح الحق عند الاختلاف.

ولا مجال ـ بلحاظ ما ذكرنا ـ لحملهم على الخلفاء الراشدين بالاصطلاح الذي

استقر عليه أخيراً عامة الجمهور، لعدم وجودهم حين الاختلاف، بل وقع الخلاف بين المسلمين في معيار الخلافة الراشدة، كما بقي الخلاف بين الأمة في ذلك، ولم يكمل عددهم إلا بعد أن استحكم الخلاف وافترقت الأمة وأريقت الدماء بحد قد يبلغ التكفير، فلا يصلحوا لأن يكونوا معيارًا لإيضاح الحق عند حصول الاختلاف.

ويؤيد ما ذكرنا أمران:

الأول: ما رواه شيعة أهل البيت عن النبيﷺ من إطلاق الأئمة الراشدين على أئمة أهل البيت (صلوات الله عليهم)، كما رواه الخزاز القمي وابن عياش الجوهري عن أبي سعيد الخدري، قال: (صلى بنا رسول اللهﷺ الصلاة الأولى، ثم أقبل بوجهه الكريم علينا، فقال: يا معاشر أصحابي إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح وباب حطة في بني إسرائيل، فتمسكوا بأهل بيتي بعدي الأئمة الراشدين من ذريتي، فإنكم لن تضلوا أبداً. فقيل يا رسول الله كم الأئمة بعدك؟ قال: اثنا عشر من أهل بيتي، أو قال: من عترتي)[٢]، ونحوه في ذلك ما روي عن واثلة بن الأسفع وعمار[٣].

الثاني: أن وصف الأئمة بالراشدين قد شاع في تراث أئمة أهل البيت (صلوات الله عليهم) في الأدعية والزيارات وغيرها مما ورد عنهم[٤].

ولم يظهر في تراث الجمهور في العهود الأولى حتى ما ورد منه في مقام احترام الخلفاء الأولين والحث على الأخذ بسيرتهم، والاستنان بسنتهم. ففي الشورى اشترط في البيعة الأخذ بسيرة أبي بكر وعمر، من دون أن يشار لكونهما خليفتين راشدين.

وحاول معاوية التشنيع على أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بموقفه السلبي من الخلفاء الثلاثة الأولين من دون أن يشير لذلك[٥]. مع أنه أدعى في التشنيع عليهعليه السلام.

وكذلك عمرو بن العاص[٦]. وبويع عبد الله بن الزبير على كتاب الله وسنة نبيهﷺ وسيرة الخلفاء الصالحين[٧]. من دون إشارة لأنهم الراشدون.

وكذا لما قدم عبد الله بن مطيع الكوفة والياً من قبله خطب الناس، وقال في جملة ما قال: (وأمرني بجباية فيئكم، وأن لا أحمل فضل فيئكم عنكم إلا برضا منكم، ووصية عمر بن الخطاب التي أوصى بها عند وفاته، وبسيرة عثمان بن عفان التي سار بها في المسلمين)[٨].

وقد أنكر غير واحد على عبد الله بن عباس[٩] وعبد الله بن عمر[١٠] والإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقرعليه السلام[١١] في تحليل المتعة ومخالفة عمر، ولم يشيروا لكونه خليفة راشداً، مع أنه أدعى للإنكار المذكور وصالح للاحتجاج له.

وكذا لما كتب عمر بن عبد العزيز لعدي بن أرطاة ليسأل الحسن البصري عن الوجه في عدم أخذ الجزية من نصارى العرب، فسأله فقال له: (اكتب إليه: إنك متبع ولست بمبتدع. إن عمر رأى في ذلك صلاحاً)[١٢].

وقال عمر بن عبد العزيز في خطبة له في خلافته: (ألا إن ما سنّ رسول اللهﷺ وصاحباه فهو دين نأخذ به وننتهي إليه...)[١٣].

وقال في كلام له آخر: (سنّ رسول اللهﷺ وولاة الأمر من بعده سنناً الأخذ بها تصديق بكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله، ليس لأحد تغييرها وتبديلها ولا النظر فيما خالفها. من اقتدى بها مهتد، ومن استنصر بها منصور، ومن خالفها

اتبع غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى وصلاه جهنم وساءت مصيراً)[14]. ... إلى غير ذلك مما ورد في العهد الأموي وأغفل فيه التنبيه لأن خلافتهم راشدة مع شدة الحاجة له لو كان حديث العرباض هذا وارداً فيهم.

وآخر ذلك حينما تحرك أبو مسلم الخراساني داعية بني العباس، وطلب البيعة على كتاب الله وسنة نبيه، وإلى الرضا من آل رسول الله صلى الله عليه وآله، واحتك بنصر بن سيار عامل مروان آخر خلفاء بني أمية على خراسان، فقد جمع نصر بن سيار القرّاء، وقال في حديث له محرضاً على أبي مسلم وأهل دعوته: (فهلموا فلنتعاون على إطفاء نائرتهم، وقمع ضلالتهم. ولكم أن نعمل بما في كتاب الله وسنة نبيه وسنة العمرين بعده)[15]. ولم يشر إلى أنهما خليفتان راشدان.

بل لا يبعد أن يكون إغفال ذلك في هذه المدة الطويلة ـ واللجوء لافتعال عناوين أخرى في الثناء عليهم ـ في عصر الصحابة وما قاربه لمعلومية اختصاص العنوان المذكور بأئمة أهل البيت (صلوات الله عليهم)، في محاولة لتجاهلهم وعدم تنبيه جمهور المسلمين لمقامهم الرفيع.

حتى إذا تعاقبت الأجيال، واستحكم الجهل بمقامهم عليهم السلام، وقوي الجمهور المؤمن بمقام الخلفاء الأولين، وابتنى الدين عندهم على تقديسهم، توجه علماؤهم والمنظرون لهم دينياً ـ في أوج قوة الخلافة العباسية المعادية لأهل البيت (صلوات الله عليهم) ـ لهذا اللقب الرفيع فأطلقوه على الخلفاء الأولين على أنه حقيقة ثابتة، بحيث صار الخلفاء الراشدون خاصاً بهم.

وعلى ضوء ذلك فسروا حديث العرباض بن سارية المتقدم بهم في محاولة لإضفاء الشرعية على سنتهم وسيرتهم ولو في الجملة، محرفين للحديث، أو متجاهلين للقرائن الشاهدة بخلاف ذلك مما سبق التعرض له. والله سبحانه العالم بحقائق الأمور، والعاصم من الزلل في القول والعمل.

---

(١) إرشاد القلوب ج:١ ص:٣٧ الباب الخامس: في التخويف والترهيب.
(٢) كفاية الأثر ص:٤٧٥، مقتضب الأثر ص:٩ من المقدمة.
(٣) كفاية الأثر ص:١١٠، ١٢٠.
(٤) لاحظ الكافي ج:٣ ص:٤٧٦-٤٧٧، ومن لا يحضره الفقيه ج:١ ص:٣١٩، وكامل الزيارات ص:٣٢٦، ٣٢٨، ٤٧٥، وكفاية الأثر ص:٣٣-٣٤، ١١٠-١١١، ١٢٠-١٢١، وغيرها من المصادر الكثيرة.
(٥) شرح نهج البلاغة ج:٢ ص:٤٧، وقعة صفين ص:٨٧.
(٦) شرح نهج البلاغة ج:٦ ص:٢٨٧.
(٧) أنساب الأشراف ج:٥ ص:٣٧٣
(٨) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٤٩٠ أحداث سنة ست وستين من الهجرة.
(٩) مسند أحمد ج:١ ص:٣٣٧ مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب.
(١٠) البداية والنهاية ج:٥ ص:١٥٩ في فصل لم يسمه بعد ذكر حجة من ذهب إلى أنه A كان قارناً.
(١١) الكافي ج:٥ ص:٤٤٩ من أبواب المتعة حديث:٤.
(١٢) أنساب الأشراف ج:٨ ص:١٥٩ في ذكر عمر بن عبد العزيز.
(١٣) أنساب الأشراف ج:٦ ص:١٥٥ في ذكر عمر بن عبد العزيز.
(١٤) تفسير ابن أبي حاتم ج:٤ ص:١٠٦٧ واللفظ له. الدر المنثور ج:٢ ص:٢٢٢. البداية والنهاية ج:٩ ص:٢٤٢ فصل بلا عنوان بعد ذكر سبب وفاة عمر بن عبد العزيز. سير أعلام النبلاء ج:٨ ص:٩٨ في ترجمة مالك ولكنه نسبها إلى مالك
(١٥) أخبار الدولة العباسية ص:٢٩٠.

مرقد الصحابي أبي أيوب الأنصاري في إسطنبول..
ملاذ القاصدين

تحقيق: حيدر الجد •

أبو أيــوب الأنصاري صحابي جليل دخــل التاريخ من اللحظة التي بركت عند بابه ناقة رسول الله ﷺ حينما ورد المدينة المنورة لأول مرة..

أصبــح اليوم مرقده مقصداً لكل من يزور إســطنبول فعنده تتصاعد الدعوات وتذكر الأمنيات، وفيه تفوح رائحة البقيع وقبر المصطفى ﷺ

ينابيع

استطاع أصحاب رسول الله ﷺ ممن سار على هديه، واستن بسنته أن يتركوا بصمة واضحة على صفحات التاريخ الإسلامي، حيث أثروا في مجريات الأحداث تأثيراً بارزاً، فكانت مواقفهم مشهودة وحياتهم عبارة عن جهاد وتضحية، لم تغرهم الدنيا ولم يعبأوا بها فقد رأوا الآخرة بعين البصيرة فكانت غايتهم التي يتسابقون إليها متخذين درب الجهاد وغاية الشهادة جسراً للانتقال لجوار النبي الأكرم ﷺ وآله الأطهار.

وكان أبو أيّوب الأنصاري من هؤلاء، ذاع صيته وعلت شهرته عندما نزل داره رسول الله ﷺ، ثم انطلق من هذه الكرامة - التي حباه الله بها - نحو إنجازات ومشاريع جهادية مشرقة ولم يفتر حتى أدرك غزوة المسلمين للقسطنطينية - وهي يومذاك عاصمة الروم الكبرى ودارهم التي يفخرون - بها فمات رحمه الله مرابطاً مع الجيش ليمنح تلك العاصمة شرفاً أعظم من شرف الروم، تمثل باحتضانها جثمان صاحب رسول الله، ورفيق أمير المؤمنين عليه السلام في دربه الجهادي الطويل، في مرقد لم يخلُ يوماً من الوافدين والزائرين ممن يمموا قبره قاصدين بزيارته التقرب من رسول الله ﷺ والشوق إلى مدينته المنوّرة.

وقفنا على مرقد أبي أيوب المبارك وسجّلنا استطلاعنا لهذا العدد من مجلتنا

مسجد أبي أيوب الأنصاري (صورة من الداخل) ويظهر فيها المحراب والمنبر

(ينابيع)، متخذين شيئاً من سيرته العطرة مدخلاً للحديث عن مرقده في ماضيه وحاضره .

هو خالد بن زيد بن كعب (كليب) بن ثعلبة الخزرجي[1]، من بني النجار، كنيته أبو أيوب ولم يعقب ولداً أو بنتاً، ولم تذكر المصادر ولادته، بل ظهر ذكره عند نزول النبي الأكرم في بيته حيث تقول الرواية: (لما قدم النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينة تعلق الناس بزمام الناقة فقال النبي صلى الله عليه وآله: يا قوم دعوا الناقة فإنها مأمورة، فعلى باب من بركت فأنا عنده، فأطلقوا زمامها وهي تهف في السير حتى دخلت المدينة فبركت على باب أبي أيوب الأنصاري، ولم يكن في المدينة أفقر منه، فانطلقت قلوب الناس حسرة على مفارقة رسول الله صلى الله عليه وآله، فنادى أبو أيوب: أماه افتحي الباب فقد قدم سيد البشر وأكرم ربيعة ومضر محمد المصطفى والرسول المجتبى، فخرجت وفتحت الباب وكانت عمياء فقال: واحسراتا ليت كان لي عين أبصر بها وجه سيدي رسول الله ، فكان أول معجزة النبي صلى الله عليه وآله في المدينة أنه وضع كفه على وجه أم أبي أيوب فانفتحت عيناها)[2].

كان نزول النبي صلى الله عليه وآله على أبي أيوب في داره بداية لمشواره الجهادي حيث جنّد أبو أيوب نفسه لنصرة الدين والتضحية في سبيله، لقد خلصت نيته وحسن إسلامه

وقوت عزيمته في الدفاع عن الإسلام فكان المضحي البـاذل، والناصـر المدافع، لم يعبأ بزهرة الدنيا وزينتها مجتهداً في طاعة الله ورسوله، راغباً في نصرة دينه، سائراً على المحجة البيضـاء ولا يأخذه فيها لومة لائم، موطناً نفسـه على الشهادة، فلم يدع واقعة إلا اشـترك بها، ومـا ذلك إلا دليلاً على بصيرته ورجاحـة عقله وخلوص نيته.

لـم يزل رسـول الله في منزلـه مقيماً حتى بنا مسـجده ومسـاكنه فانتقـل إليها، وعندما أقر الرسول الأكرم عملية المؤاخاة بين الأنصـار والمهاجرين، آخى بينه وبين مصعب بن عمير فكانا خير أخوين متحابين في الله.

شهد العقبة وبدراً وسائر المشاهد ولم يتخلف عن غزوة من الغزوات[٣]، وبالرغم من فقره كما نقلـت الرواية، إلا إنه أصبح من سادات الأنصار بمواقفه الخالدة.

لازم أميـر المؤمنيـن الإمام علي عليه السلام، فـكان معه، وقـد حدث أبو أيـوب بفضل أمير المؤمنين الإمـام علي عليه السلام كثيراً حتى قيل فيه: (إن أبا أيوب من السـابقين الذين رجعـوا إلـى أميـر المؤمنيـن عليه السلام)[٤]، أما الرجاليون فقالوا عنه (مشكور)[٥].

ولما تقلد أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام زمام الخلافة، جعله عامـلاً على المدينة، ثـم لم يلبث حتـى جاء إلـى الكوفة ليكون بالقـرب مـن إمامه وسـيده، فقـد حدّث أحد الكوفيين قائـلاً: (قدم علينا أبو أيوب الأنصـاري العراق فأهدت له الأزد جزراً ـ مـا يذبح من الإبل ـ فبعثوها معي، فدخلت عليـه، فسـلمت وقلت له: يا أبـا أيوب قد كرّمك الله عزّ وجل بصحبة نبيه صلى الله عليه وآله ونزوله عليك، فمالي أراك تستقبل الناس بسيفك تقاتلهـم هؤلاء مرة وهؤلاء مـرة، قال: إن رسـول الله صلى الله عليه وآله عهد إلينا أن نقاتل مع علي الناكثيـن فقد قاتلناهم وعهد إلينا أن نقاتل معه القاسـطين فهذا وجهنـا إليهم -يعني معاوية وأصحابـه- وعهد إلينا أن نقاتل معه المارقيـن ولم أرهم بعد أو قال: وعهد إلينا أن نقاتل إن شاء الله بالسعفات بالطرفات بالنهروانات وما أدري أني هي)[٦].

وقد اخبر عن مغيّب بقوله: بالنهروانات وهي إشـارة لواقعة النهـروان وما ذلك إلا لما خصه به رسـول الله صلى الله عليه وآله، كما شـارك بتلـك الواقعة حيـث كان أول من قاتل من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، فقد حمل على زيد بن حصين وهو من الخوارج فقتله[٧].

لم يحدثنـا التاريخ عن وضع أبي أيوب الاجتماعي والسياسـي، ولا ندري هل بقى في الكوفة بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام، وهل رحل مع الإمام الحسن عليه السلام إلى المدينة أم بقي في الكوفة، فقد أغفلت المصادر ـ الشيعية منها والعامة ـ عن سيرته ولم تذكر شـيئاً عن مواقفه لحين وفاتـه في الحملة على عاصمة الروم (القسـطنطينية) ودفنه بالقرب من سورها.

أبو أيوب في الحملة العسكرية

لقد أثير جدلٌ في موضوع مشاركة أبي أيوب فـي الحملة التي بعثها معاوية بن أبي سـفيان لفتح القسطنطينية، حيث إن نصر الحاكم الظالم ومعونته تعد من الأمور التي تخدش في سـيرة هكذا صحابي جليل، ولا شـك أن معاوية كان ظالمـاً فكيف ارتضى أبـو أيوب الالتحاق بجيـش أميره يزيد بن معاوية، رأس الفجور؟

تقـول الرواية:(ولمـا أخـرج معاويـة يزيـداً علـى الصائفة ـ وهي غـزوة الروم بالصيـف لأن مكانهـم كان بـارداً ـ خـرج

محمد
الله

إلى اليمين: سبيل ماء يتبرك به الزائرون، إلى اليسار: المدخل الرئيس للمسجد

ملوكهم، حيث تنقل بعض المصادر: (ولما دفنوه ليلاً صعد من قبره نور إلى السماء ورأى ذلك من كان بالقرب من ذلك الموضع من المشركين، فجاء رسولهم من الغد فقال: من كان هذا الميت فيكم، قالوا: صاحب نبينا، فأسلموا لما رأوا ذلك. وكانوا يتعاهدون قبره ويزورونه ويستسقون به إذا أقحطوا)[١٢].

المرقد بين الأمس واليوم

في صيف عام ٨٥٩هـ/١٤٥٣م تمكن السلطان العثماني محمد الفاتح (ت٨٨٦هـ) من فتح القسطنطينية، منهياً بذلك عصراً بيزنطياً أمتد قرابة ١١قرن. طلب السلطان العثماني من رجاله أن يحددوا مكان دفن الصحابي، فاضطلع بهذه المهمة شيخ الإسلام آق شمس الدين حيث قام بالبحث بين القبور وجد ما يدل على قبره فأخبر السلطان بذلك، والظاهر إن قبر أبي أيوب بمرور الزمان ضاعت معالمه واندثرت بفعل تقادم الزمن وعدم اهتمام البيزنطيين المتأخرين بالمرقد[١٣]، ولكن الخطيب البغدادي حدّث قائلاً: (حدثني شيخ من أهل فلسطين أنه رأى بنية بيضاء دون حائط القسطنطينية فلما سأل عنه، قالوا: هذا قبر أبي أيوب الأنصاري، فرأيت قبره في تلك البنية، وعليه قنديل معلق بسلسلة)[١٤]، وبما إن الخطيب

مقبرة السلاطين والأعيان في الدولة العثمانية وتبدو وراءها قبة مرقد أبي أيوب

البغـدادي توفي سـنة ٤٦٣هـ، فلابد أن المرقـد قبل هذا التاريخ كان معروفاً بارزاً ثم ضاع أثره لحين فتح القسطنطينية.

قرر السـلطان بناء مجمع كبير باسـم أبـي أيوب حيث أضاف للمرقد ـ الذي بنى فوقه قبة كبيرة ـ أقسـاماً عديدة كالمسجد الكبير الذي لازالت معالمه بارزة، وقد زيّن جدرانه بالرخام الأبيض، ومدرسـة لطلبة العلـوم الدينيـة، وحمامٍ ومضيـف ملحق بمطبخ يقدم الطعام مجاناً للطلبة والفقراء. وقد أنجز هذا المجمع سنة ١٤٥٩م، وهكذا تكونت نواة لحي من أقدم أحياء إسطنبول اسـتمد اسـمه من أبي أيـوب، أطلق عليه حي أيوب حيث سـكنه النـاس وازدهرت فيـه العمارة ونشـطت التجـارة كما أصبح مرقد أبي أيوب مقبرة دفن فيها السلاطين وذرياتهم ورجـال الدولة، وهذا ما رأيناها لحد الآن حيـث تكتظ المنطقـة المحيطة بالمرقـد بالمراقـد لكبـار السياسـيين والتجار والعلماء والأمراء.

يحـدث الكثيـرون من أهل إسـطنبول بأن مسـجد أبي أيوب يعتبـر عندهم رابع الأماكن الإسـلامية قداسـة لدى الأتراك، يأتـي مقامـه عندهم بعـد مكـة المكرمة والمدينة المنورة والقدس الشريف، ورغم إن إسـطنبول تعتبر عاصمة المسـاجد فإن عدداً مـن المصلين يتدافعون إلى مسـجد أبي أيوب الأنصاري خصوصاً أيام الجمعة

لأداء الصلاة.

ولأجل أهمية مسجد أبي أيوب سرت العادة عند العثمانيين بان يكون تنصيب السلطان فيه، حيث يأتي في موكب حافل إلى هذا المسجد، ثم يدخل السلطان الجديد إلى الضريح ليتسلم سيف السلطان عثمان الأول من شيخ الطريقة المولوية.

أما اليوم فتجد المسجد والضريح يكتظان بالزائرين، وهناك عادة عند الأتراك، وهي جلب الأطفال ممن سوف يختتنون وهم يرتدون ملابساً بيضاء مزركشة للتبرك بهذا الضريح، كما يأتي العرسان الجدد ليتباركوا عند هذا الصحابي الجليل، وهناك الكثير من أصحاب الحوائج يقفون قبالة الضريح متضرعين إلى الله تعالى في قضاء حوائجهم مقدمين هذا الصحابي الجليل بين يدي حوائجهم، وقد رأيت الكثير منهم يكتب أسمه على بعض الحيطان ويطلب حاجته، وقد سألت عن ذلك فقالوا: لأن من كتب حاجته ستقضى له بإذن الله تعالى.

في سنة ١٧٦٦هـ ضرب زلزال مدمر مسجد أبي أيوب، فلحق به ضرر كبير فأوعز السلطان سليم الثالث إلى هدم ما تبقى منه وكان ذلك سنة ١٧٩٨م، وأنشأ مسجداً في محله، وقد تم افتتاح هذا المسجد سنة ١٨٠٠م في حفل بهيج، حضرة السلطان وكبار رجالات الدولة.

موقع المرقد ووصفه

يقع المرقد في حي سلطان أيوب، حيث يطلق الأتراك عليه لقب سلطان باعتباره صاحب رسول الله ﷺ، في إسطنبول في الجانب الأوربي من المدينة، بالقرب من خليج القرن الذهبي.

توسع هذا الحي خلال فترات زمنية متعاقبة، وأصبح اليوم بلدية من بلديات إسطنبول، تمتد من ساحل خليج القرن الذهبي وصولاً إلى شاطئ البحر الأسود، وتبلغ مساحتها حوالي ٢٢٣،٧٨ كم مربع، ويقدر عدد نفوسها حوالي ٣٤٥،٧٩ نسمة.

أما المجمع الذي يوجد فيه المرقد فيحتل مركز هذا الحي، تحيط به المحلات التجارية والمطاعم حيث تنشط المنطقة تجارياً في أغلب أيام الأسبوع، ويشهد يوم الجمعة حضوراً متميزاً من سكان إسطنبول والوافدين كذلك الحال طيلة شهر رمضان المبارك.

يحيط بالمجمع الذي يتكون من المسجد والمرقد سور من المرمر، تتخلله شبابيك عديدة، وهناك أبواب حديدية كبيرة تقع في مداخل هذا المجمع. ونلاحظ من الجهة الداخلية لهذا السور وجود بعض اللوحات الرخامية التي وضعها القائمون على خدمة المرقد تعرف الزائر بسيرة أبي أيوب باللغة التركية والعربية.

تقابل الداخل من الباب باحة كبيرة مرصوفة بالرخام الأبيض الطبيعي، ويتوسط هذه الباحة محل للوضوء عبارة عن هيكل دائري مسقف، تعلوه قبة صغيرة، وتحيط به حنفيات الماء، وتحمله ستة أعمدة رخامية، كما توجد نافورات رخامية ملتصقة بالجدار تزينها نقوش إسلامية ورومانية.

تقود هذه الباحة من خلال ممر عريض إلى باحة أكبر حيث يقع الضريح على يسار الداخل، والمسجد على يمينه.

أما في الباحة الثانية الواسع فيشتد الزحام فالمكان من جانبه الأيمن يقود إلى المصلى كما ذكرنا وفي المقابل يصطف

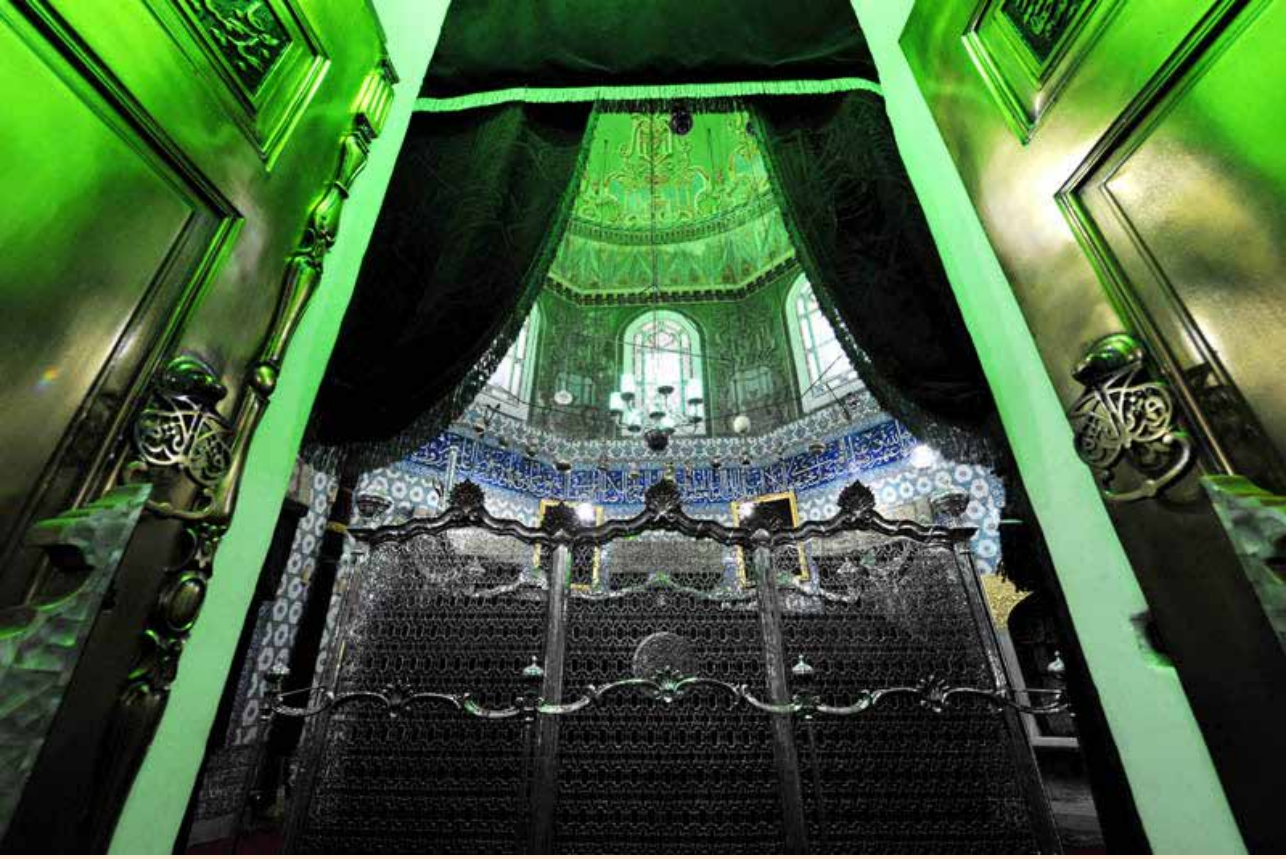

مرقد أبي أيوب الأنصاري (صورة من الداخل)

النـاس للسـلام والتحيـة والزيـارة عنـد المرقد، في حين يتوسـط الفناء الداخلي للمسجد وبشـكل يحاذي المبنى المحتضن للضريح سـاحة مستطيلة الشـكل محاطة بسـياج حديدي، ترتفع داخل هذه الساحة شجرة عملاقة وارفة الضلال عتيقة، يسري اعتقاد بين الأتراك على وجودها منذ وفاة أبي أيوب، وتتـوزع على كل زاوية من هذه الساحة مشـارب للماء مزخرفة بالرخام، جميلة الصنع، تتدافع الناس للشراب منها طلبـاً للبركة، حيث تمر هذه المياه بالقرب من ضريح أبي أيوب.

أما الضريح فيطل على الباحة من خلال نوافذ نحاسـية كبيـرة، مزخرفـة بأجمل الزخـارف، وهو عبـارة عن غرفـة كبيرة معينية الشـكل، يتوسـطها قبر أبي أيوب، الذي يعلـوه صندوق خشـبي دقيق الصنع مزخرف بأحلى زخـارف طبيعية، ويضمه صندوق معدنـي مذهب تتوزع على جوانبه الأربعة كتابات من آي الذكر الحكيم.

أما جدران المرقد فقد كسيت بالقاشاني الأزرق والفسيفسـاء الملون، تعلوها كتيبة قرآنيـة، وتتخللها لوحات كتـب عليها (لا إلـه إلا الله) (محمد رسـول الله)، وللحرم عدة شـبابيك داخلية ذات قضبـان معدنية مذهبة، يرى من خلالها الضريح، وتنسدل على تلك الشـبابيك أنواع الأستار الفاخرة.

وقـد حاولنا الدخول إلـى المرقد لكن لم يسمح لأحد الدخول إلى إليه عدا حفظة القـرآن من الأتراك، أمـا عموم الزائرين فيقفـون مـن وراء القضبـان يـزورون ويسلمون ثم يذهبون.

أمـا المسـجد الجامع فقد كان يشـمله التعميـر خلال فتـرات حكم السـلاطين

صورة نادرة لمرقد أبي أيوب (المدخل الرئيس)

بين آونة وأخرى، وهو بناء واسع كبير تعلوه قبة رئيسية يبلغ قطرها حوالي ١٧،٥م، وتقع على جانبي المسجد منارتان طويلتان، يمكن الدخول للجامع عن طريق سلالم أربعة، وقد فرشت أرضية المسجد بالسجاد الفاخر، وتتدلى ثريات بديعة الصنع من السقف، وقد تم توزيعها بطريقة توزعت فيها الإضاءة لتغطي جميع جوانب المسجد، تتوسطها ثرية كبيرة، جميلة الصنع، نحاسية رتبت فيها القناديل بصورة دائرية.

يقع المحراب والمنبر باتجاه القبلة، والمنبر مصنوع من الرخام الأبيض، تتخلله زخارف ذهبية ويستند على هيكل رخامي، استغلت بعض فتحاته لخزن المصاحف.

أما جدران المسجد فقد غلفت بالمرمر وتعلوها كتيبة خضراء اللون خُطت عليها آيات قرآنية مذهبة، كما تنتشر الشبابيك الواسعة على جوانب المسجد حيث تمر خلالها حزم من أشعة الشمس مما يضفي على المسجد إضاءة طبيعية طوال فترة النهار، كما تمتد أعمدة رخامية لتلامس السقف ولتستقر عليها قبة المسجد الكبيرة نسبياً.

كما ألحق السلطان محمد الفاتح مكتبة فخمة بالمسجد، وأضاف عليها السلطان أحمد كتباً في مختلف العلوم فأصبحت من مكتبات إسطنبول الكبيرة والعامرة.

وخير ما نختم به الحديث: كان أبي أيوب يوماً معمماً فحسر عن وجهه العمامة وقال: سمعت رسول اللهﷺ يقول:من كنت مولاه فهذا علي مولاه أللهم وال من والاه وعاد من عاداه[١٥].

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١١٢/١٠.
(٢) ابن شهراشوب، مناقب آل أبي طالب، ١١٥/١.
(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ١٣١/٣٤.
(٤) التفريشي، نقد الرجال، ١٨٤/٢.
(٥) الحر العاملي، الوسائل، ١٨٥/٢.
(٦) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ٢٠٧/٢، الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ١٦٨/٢.
(٧) الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ١٧٦/١.
(٨) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤١١/٢.
(٩) السرخسي، شرح السير الكبير، ٢٣٥/١.
(١٠) الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ١٧٧/١.
(١١) معجم رجال الحديث، ٢٦/٨.
(١٢) تاريخ بغداد، ١٦٦/١.
(١٣) www.wikipedia.orgبحث حول أبي أيوب الأنصاري
(١٤) المصدر السابق.
(١٥) ابن عقدة الكوفي، مناقب الإمام عليعليه السلام، ٤٢٧/٢.

محل الوضوء يتوسط الباحة المؤدية
لقبر أبي أيوب الأنصاري

مع الفقيه..

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله)

بسم الله الرحمن الرحيم

س: أموال بالدينار العراقي تعلق بها الخمس إلا أن صاحبها حولها إلى الدولار حفاظاً عليها من هبوط قيمتها إذا بقيت بالدينار وبعدها اشترى بضاعة ناوياً إذا باعها سوف يدفع الخمس إلا أنه حصل عكس ما يريد إذ هبطت قيمة الدولار والبضاعة والثمن لا يسد خمس المبلغ فما هو الحكم الشرعي من جهة الخمس في مثل هذه الحالة؟

ج: إذا تعلق الخمس بالأموال وكانت بالدينار العراقي فيبقى الخمس في ذمته بالدينار العراقي يدفعه تدريجياً عند القدرة والاستطاعة إلا إذا كان التصرف المذكور بمراجعة الحاكم الشرعي.

س: إذا لم تستعمل الأواني أو الفرش أصلاً حتى دار عليها الحول ولكنه بحاجة إليها لصرفها واستعمالها للضيوف، فهل يجب التخميس؟

ج: نعم يجب تخميسها.

س: جهاز التلفزيون والراديو والمسجلة تعتبر من المؤنة فإذا لم تعتبر منها فهل يتعلق الخمس بمجرد الشراء؟

ج: إذا استعملت بالاستعمال المطلوب منها بمقدار معتد به صارت من المؤنة وسقط الخمس عنها.

س: شخص استقرض من شخص آخر خمسين ألف دينار وصاحب المال مخمس لهذا المبلغ فهل يجب الخمس على المستقرض؟

ج: لا يجب الخمس على المستقرض سواء كان صاحب القرض مخمساً أم لم يكن مخمسًا..نعم إذا بقيت عنده ووفى القرض من غيرها وجب عليه تخميس ما زاد منها في رأس سنته.

س: إذا جعل الفرد رأس سنة وكان رأس ماله لهذه السنة (ألف دينار) وأصبح (مليون دينار) في السنة الثانية ولكن هذه الـ(مليون دينار) لا تكفيه لإعالة نفسه وعياله فهل يخمس الزائد عن السنة الأولى أم لا؟

ج: نعم يجب تخميس الزائد. ولابد في تعيين رأس السنة من مراجعة الحاكم الشرعي.

س: مؤمن التفت مؤخراً إلى مسألة الخمس وهو لم يكن ملتفتاً لذلك نتيجة تقصير منه وقد أعطيت له في ما مضى هبات وهدايا متنوعة من ملابس وغيرها، فهل هناك طريقة معينة لجعل الملابس التي وهبت أو أهديت له شرعية لغرض استعمالها في الصلاة وغيرها (وهو بحاجة إلى تلك الملابس في هذا الزمان) علماً أن ذلك المؤمن بقي طيلة السنوات الماضية بعد بلوغه تحت رعاية والده الذي يصرف عليه ويوفر احتياجاته طيلة سنوات دراسته الثانوية والجامعية؟

ج: إذا كان استعمل الملابس رأساً فلا خمس عليها، وإن كانت قد تعطلت مدة فاللازم دفع خمسها.

س: شخص استقرض من شخص آخر مبلغ خمسين ألف دينار وصاحب المال مخمس لهذا المبلغ فهل يجب الخمس على المستقرض؟

ج: لا يجب.

س ـ إذا كانت الدار قد بنيت خلال ثلاث سنوات أي في كل سنة جزء ما حسب الإمكانية المادية للشخص فهل تخمس هذه الدار وكيف ذلك؟

ج ـ نعم يجب تخميسها ولكن تقدر بقيمتها قبل اكتمال بنائها في آخر سنة السكنى فإن ما يصرفه عليها في السنة الأخيرة يعتبر من المؤنة.

س ـ شخص استدان (٥٠٠٠٠) ريال وحصل على (٥٠٠٠٠) ريال أخرى إرثًا من تركة والده المرحوم، فأعطى (١٠٠٠٠٠) ريال هذه إلى أخيه هبةً مشروطة بأن يهبه داراً للسكنى ، وبالفعل أخذ أخوه المبلغ وبعد شهرين وهبه داراً قيمتها (١٠٠٠٠٠) ريال وسلمه اياها، ولكن الشخص لم يسكن الدار لمدة سنة، فهل يتعلق بهذه الدار خمس أم لا؟

ج ـ لا خمس في الدار لاستثناء ألف ريال الميراث من الربح ، لما ذكرناه من استثناء مؤنة تحصيل الربح (مسألة ٤٧) ولأن الخمسين ألف ريال الأخرى المقترضة مقابلة للربح. نعم إذا كان قد وفى منها شيئاً وجب الخمس في المقدار الذي وفاه منها.

س: إذا كانت تودع رواتب الموظف الحكومي في حسابه تلقائيًا يسحب منها حسب حاجياته ثم يتجمع رصيد كبير في نهاية السنة هل يجب فيه الخمس؟

ج ـ لا يجب فيه الخمس.

س: مدرس يستلم راتبه بشكل شيك ثم يودعه في البنك أو يوكل شخصاً في استلامه وإيداعه هل يجب الخمس فيه لو حالت السنة عليه؟

ج ـ يجب الخمس فيه بعد استلامه والمال يحسب من أرباح سنة القبض فيجب إخراج

خمسه بحلول رأس السنة. ولا يجب الخمس باستلام الشيك.

س: إذا اشـــترى شـــخص مجموعة من الحلي بأموال غير مخمسة وأهداها لشخص آخر هل يجب استخراج خمسها؟

ج ـ لا يجب إخراج خمســها بعد الهدية مباشــرة وإنما يجب تخميسها بعد مرور رأس السنة إذا بقيت غير مستعملة، أما إذا استعملت بالوجه المتعارف فلا خمس فيها.

س: يوجد طقم من الأواني المنزلية، فإذا استعمل من الطقم بعض أشيائه هل هذا يكفي في عدم وجوب الخمس؟

ج ـ إذا كان ما يحتاجه الإنســان منه لا يستطيع الحصول عليه إلا بشراء الطقم كله فلا يجب فيه الخمس كله باســتعمال بعضه وإذا كان يمكن تحصيل ما يحتاج اليه بدون شــراء الكل وجب الخمس فيما لم يستعمله.

س: ما حكم الحقوق التي تعطى، هل تخمس إذا مر عليها الحول؟

ج ـ إذا كانت مملوكة لمن تعطى له وجب الخمس فيها، كما في الزكاة وســهم السادة، أما إذا لم تكن مملوكة كما هو الغالب في سهم الإمام عليه السلام فلا خمس فيها.

س: إذا كان الأب مقلدًا للســيد الخوئي رحمه الله فلم يخمس أموال أولاده الصغار، فما حكم الولد لو بلغ وقلد سماحتكم، فهل يجب عليه تخميس جميع ممتلكاته وما تلف منها وكيف تكون رأس سنته؟

ج ـ يجب عليه تخميسها ورأس سنته أول يوم حصل له فيه ربح ولو من هدية أو نحوها. ومع الجهل يلزم المصالحة مع الحاكم الشرعي.

س: شــخص يقلد الســيد الســبزواري رحمه الله لديه رأس سنة خمسية وكان مديونًا بمبلــغ من المال فخرج خارج البلد وفي الســنة الأولى سدد المبلغ ولكن في السكة الأجنبية وبقي على هذا الحال إلى السنة الثانية فجمع مجموعة من المال فبعث بها فاشــترى بها بيتًا علماً أن هذا المال غير مخمس.
ما هو حكم المال قبل التصرف وما هو حكم البيت من جهة الخمس؟

ج ـ إذا حل رأس سنته ولم يسكن في البيت يجب عليه تخميسه بسعره حين التخميس.

حكاية مستبصر..

رامي عبد الغني اليوزبكي

(حنفي ـ العراق)

ولد عام ١٩٥٩ م بمدينة (الموصل) في العراق، من أُسرة تنتمي إلى المذهب الحنفي، حصل على شهادة البكالوريوس في كليّة الآداب قسم اللغة العربية في جامعة الموصل.

أثر مرقد الإمام الحسين عليه السلام في الوجدان:

كانت بداية غرس مبادئ التشيّع في قلبه عام ١٩٧٩ م إذ وُفق لحج بيت الله الحرام، فتوجه من مدينته (الموصل) إلى الديار المقدّسة، وفي تلك الرحلة كانت له وقفة في مدينة (كربلاء)، فزار تلك المدينة وشاهد لأوّل مرّة مرقد الإمام الحسين عليه السلام، فلفت ذلك الحرم الطاهر انتباهه ! ورأى زوار مرقد شهيد كربلاء كيف يفدون على ضريحه بلهفة وشوق، وكيف يؤدّون رسوم زيارتهم بوعي معبّر عن عمق ارتباطهم بنهج صاحب القبر، ولمس بروحه كيف تنطوي زيارة الزائرين على تأصيل حالة ولائهم للإمام الحسين عليه السلام، وكيف يجسّدون حبّهم لرمز مسيرتهم، وكيف يستلهمون من ذلك المشهد العطاءات التربوية التي تشدهم إلى تاريخهم المشرق.

كما وجد أن الزوّار يرسّخون بزيارتهم فهمهم لأبعاد شخصية الإمام الحسين عليه السلام ومكارم أخلاقه وإخلاصه لله، ويفتحون بذلك ذاكرتهم على الأحداث التي حلّت بالحسين وأصحابه ليستلهموا منها الدروس والعبر.

وأبهره ذلك المنظر، فلم يكتف بالمشاهدة السطحية، بل تناول أحد كتب الزيارة التي يقرؤها الزوّار ليرى محتواها ويطّلع على مضامينها، وليلمس بنفسه الدافع الذي جعل هؤلاء الوافدين يتفاعلون من أعماق أنفسهم مع صاحب هذا القبر.

الإمام الحسين عليه السلام ثار الله:

يقول الأستاذ رامي: " جعلتني هذه الكلمات أتأمّل في معانيها ! وقلت في نفسي: لا بد وأن تكون لصاحب هذا المقام منزلة وشأن عظيم عند الله تبارك وتعالى ليكون ثأره عزّ وجلّ ".

فإنّ الثأر هو الدم والطلب به، ومعنى ثأر الله هو الدم المنسوب إلى الله تعالى، ويعني أنّ هذا الدم مكرّم وعظيم وله امتياز عند الله، كما نقول: بيت الله، لتمييزه عن غيره من الأماكن.

وفي الحقيقة أنّ نسبة ثأر الحسين عليه السلام إلى الله عزّ وجلّ لا غبار عليها، لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله الذي هو صفوة الخلق قال: " حسين مني وأنا من حسين "، فإذا كان الحسين عليه السلام من الرسول صلى الله عليه وآله والرسول من صفوة الله عزّ وجلّ، فمعناه أنّ الحسين عليه السلام أيضاً من الذين اصطفاهم الباري من بين خلقه، فهو تعالى وليّهم وهو صاحب الثأر لدمائهم.

ونسبة ثأر الحسين عليه السلام إلى الله واضحة، فالإمام الحسين عليه السلام وريث الأنبياء عليهم السلام كما ورد في زيارته.

فقتل الحسين عليه السلام يعني قتل للصفوة وللنبوّة وللخلّة وللكلمة وللروح وللمحبّة الإلهيّة.

بوادر التعرّف إلى التشيع:

يقول الأستاذ رامي: " لم أكن من قبل مطّلعاً بصورة وافية على مذهب التشيّع، ولكن هذا الموقف أثار في نفسي المحفز لأكون أكثر إلماماً بهذا المذهب.

فمن ذلك الحين اندفعت لمعرفة المزيد من المعارف التي ينتمي إليها هؤلاء الشيعة، ولم يكن إلمامي بهم سوى أني كنت أستمع إلى بعض المناقشات العقائدية التي كانت تدور بين الشيعة وبين بعض أبناء مدينتنا الأحناف، فكنت أشارك أتباع مذهبي بالدفاع عن ما نحن عليه وإن لم أكن بذلك المستوى الذي يجيد ردّ المبادئ التي كان يعتنقها أصحاب مذهب أهل البيت عليهم السلام ".

البحث عن الحقيقة:

وفي الحجاز وجد الأُستاذ رامي تياراً فكرياً ضد مذهب التشيع، يحرّم زيارة القبور والتوسّل بها ويصفها بالشرك والإلحاد، وهذا ما دفعه للبحث بعد عودته من الحجّ عن مدى صحة هذا الادعاء.

وبعد التتبّع والتحقيق وجد أنّ ما عليه الوهابيون يخالف الكتاب والسنّة، وأنّ أفكارهم جاءت من قبل أُناس انتهزوا فكرة إلصاق الشرك بالمسلمين ليحقّقوا مآربهم في ظلالها، ويصلوا إلى مبتغياتهم من خلالها.

مرحلة إيقاظ الفطرة وإنارة البصيرة:

ومن هذه البراهين والحجج يقول الأُستاذ رامي عبد الغني: " عرفت أنّ أدلّة

الشيعة لم تنشأ من حالة عاطفيّة أو هوى أو تقليد، وإنّما فرضتها عليهم الأدلّة القاطعة التي ينبغي أن يتعبّد بها المسلم.

ويضيف: " وبمرور الزمان واصلت أبحاثي لمعرفة المزيد حول مذهب أهل البيت عليهم السلام، وكنت أتباحث مع أحَد أقربائي في هذا المجال، فكنا نأخذ مفردة مفردة من عقائد الشيعة ونضعها على طاولة البحث، وكان يحفز أحدنا الآخر للمطالعة والتتبع حتى اكتملت في أذهاننا الصورة الكاملة لمذهب أهل البيت عليهم السلام، فالتجأنا إلى حصنهم المنيع بعدما وجدناه رصيناً من جميع الأبعاد فتحصّنا به وآوينا إليه، وكان استبصاري عام ١٩٨٧ م كما استبصر البعض من أُسرتي وجملة من غير أسرتي على يدي بفضل من الله، وببركة الزاد الثقافي الذي تلقيته من نبع معارف أهل البيت عليهم السلام ".

نقل بتصرف عن: (موسوعة من حياة المستبصرين/مركز الأبحاث العقائدية)

دلالة النصب

في نصوصٍ من نهج البلاغة

د. هاشم جعفر الموسوي •
كلية التربية للعلوم الإنسانية

ينابيع

إنَّ الإعـراب ليس ترفاً لغوياًوإنّما جيء به للدلالة على معانٍ إعرابية، وحـركات الإعـراب شـرط مـن شـروط الفصاحـة العربية فـي جوانبها النطقية والكتابية والدلالية، ولا شـك في أنَّ الأثـر الإعرابي قرينة لفظية من جملة القرائـن التي تعين علـى توضيح وظيفة الكلمة في التركيـب حينما يقع الغموض بين عناصره.

وقد خصَّ شُرّاح نهج البلاغة ظاهرة الإعـراب ودلالاتها بعناية كبيـرة ؛ لأنّها تُعينهم في فهم كلام أمير المؤمنين عليه السلام، والكشف عن أسـراره والنظر في الجملة وسـبكها ومحلّهـا الإعرابـي، لـذا كثُر اسـتقصاؤهم الوجوه النحوية للعلامات الإعرابية، ولاسيما النصب منها، لكثرته أولاً، ولكثـرة الوظائف النحوية والدلالية التـي يحتملهـا النصب ثانياً، مسـتدلين بالسـياق الـذي يرد فيه نـص الإمام عليه السلام ومقتضـى حاليتـه، بمـا في ذلـك حال المتكلـم، وحال المخاطب، والسـياقان الداخلـي والخارجـي اللّـذان يحيطـان بالنص، ونحاول هنا أن نتعرض لأمثلة من دلالات النصب التي تناولها شُرّاح النهج ومناسبتها لمعنى كلام الإمام عليه السلام:

* قـال الإمـام عليه السلام فـي ذم الدنيـا وفنائها: ((أوْصيكُمْ عبـادَ اللّه بِتَقْوى اللّه الّذي ضَربَ الأمْثالَ، ووَقّتَ لَكُمْ الآجَالَ، وألبَسَكُم الرّياشَ، وأرْفَغ[1] لَكُمُ المَعَاشَ، وَأحَـاطَ بِكُـمُ الإحْصَـاءَ، وَأرْصَـدَ لَكُمُ الجَزاءَ))[2]، وقد ذهب جملة من شـرّاح النهـج إلـى أنّ)الإحصَاءَ) فـي قول أمير

المؤمنين عليه السلام منصوب على أنهُ مفعول به، مستدلين بالسياق الذي ورد فيه لفظ (الإحصاء)، وموافقتهُ في الإعراب للمنصوبات قبله وبعده، إذ ((الإحصاء هو مفعول به معيناً كالمعاش والجزاء في الفقرتين قبل وبعد))[٣].

ولا شكَّ في أنَّ (المَعَاشَ) في قوله) وأرْفَغَ لكُم المَعَاشَ(، والجزاء في (وَأرْصَدَ لكم الجَزاءَ) هما مفعولان به، فاقتضى النسق الذي ورد فيه (الإحصاءَ) متوسطة بينهما أن تعرب مفعولاً به للفعل) أَحْاطَ) المزيد بهمزة دالّة على الصيرورة والجعل، وكأنه عليه السلام ((جعل الإحصاء والعدّ كالحائط المدار عليهم ؛ لأنَّهم لا يبعدون فيه ولا يخرجون عنه))[٤].

ثُمَّ كثُرت الآراء النحوية في توجيه نصب (الإحْصَاءَ)، إذ ذهب ابن ميثم البحراني إلى أن الإحصاء منصوب على التمييز، ولم يفصّل في علّة هذا الحكم[٥].

ورأى محمد جواد مغنية أنَّ (الإحصاءَ) تمييز نسبة محوّل من المفعول به، والأصل: أحاط الإحصاءَ بكم، فحوّل المفعول إلى التمييز[٦]، ويبدو أنَّ التمييز إنّما يحوّل إلى المفعول لغرض المبالغة في الحدث والاتساع والشمول، كقوله تعالى: ﴿**وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ**﴾[٧]، أي: جعلنا الأرضَ كلَّها كأنَّها عيونٌ تنفجرُ، وهو أبلغ من قولك: وفجرنا عيون الأرض ؛ لأنّه يكون حقيقة لا مبالغة فيه[٨]، وإنّما يُعدَلُ عن هذا الأصل ليكون فيه إجمال ثمَّ تفصيلٍ فيكون أوقعُ في النفس. لأنَّ

الآتي بعد الطلب أعزُّ من المنساق بلا طلب[٩]، وقد ضعّف التستري هذا الوجه بحجة أنَّ ((التمييز يصحُّ لو كان نكرة، كقوله تعالى:﴿ **كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا**﴾(سورة الكهف: ٩١) [١٠]، وقد ذكر أبو البركات الأنباري (٥٧٧ هـ) علة مجيء التمييز نكرة فقال: ((فإن قيل لمَ وجبَ أن يكون التمييز نكرة ؟ قيل: لأنَّهُ يبين ما قبله، كما أنَّ الحال يبيّن ما قبله ولمّا أشبه الحال وجب أن يكون نكرة)) [١١]، وأوضح الرضي ذلك فقال: ((وأصل التمييز التنكير لمثل ما قلنا في الحال، وهو أن المقصود رفع الإبهام، وهو يحصل بالنكرة، وهي أصل، فلو عُرِّف وقع التعريف ضائعاً))[١٢].

ومما يُرَدُّ على ما ذُكر من أنَّ (الإحصاءَ) يعرب تمييزاً محولاً من المفعول أنَّ هذا النوع من تمييز النسبة لم يقل به علماء النحو المتقدمون، وإنما وقع حكمه عند متأخريهم، وقد اختلفوا فيه اختلافاً كبيرًا [١٣].

ويمكن القول: إنَّ الاستدلال بسياق الخطبة في ترجيح كون (الإحصاء) مفعولاً به أولى بالقبول، فقد انتصبت الألفاظ قبله وبعده على المفعولية، فضلاً عن أنَّ بعض الشرّاح ذهب إلى أنَّ أصلَ التركيب (أحاطكم بالإحصاء) فَعُدِل عن هذا الأصل، لتقع حيطة الله تعالى على (الإحصاء)، للتنبيه على أنَّ الإحصاء ليس عوناً له تعالى في حال جرّه بالباء في التركيب (أحاطكم بالإحصاء)، فيكون المعنى: أحاطكم مستعيناً بالإحصاء أو بسببه أو بواسطته ؛ وإنما الإحصاء ضمن المخلوقات كالبشر، وهو شيء مُلازم للبشر، فتكون الباء في (أحاط بكم الإحصاءَ) للإلصاق، والإحصاء مفعول به، والمعنى خلق الإحصاء وألصقه بكم.

* قال الإمام عليه السلام في زهد النبي صلى الله عليه وآله: ((قَدْ حَقَّرَ الدُّنْيَا وصَغَّرَهَا، وَأَهْوَنَ بهَا وَهَوَّنَها، وَعَلِمَ أنَّ اللّه زَوَاهَا عَنْهُ اخْتِيَاراً، وَبَسَطَهَا لِغَيْرِهِ احْتِقَاراً))[١٤]، وقد ذهب ابن أبي الحديد ومن تابعه، إلى أن (اختياراً) منصوب على نزع الخافض من الفعل (عَلِمَ)، وفاعله الضمير المستتر العائد على النبي صلى الله عليه وآله، أي: بمعنى أن الله زوى الدنيا عن النبي صلى الله عليه وآله باختيار النبي صلى الله عليه وآله لذلك رفعةً لشأنه وبياناً لاستعداده وتهيئة نفسه لتحمل أعباء الرسالة، إذ قال ابن أبي الحديد: ((أي قبض الدنيا عنه باختيار ورضا من النبي بذلك، وعلم بما فيه من رفعة ومنزلة في الآخرة)) [١٥].

على حين ذهب بعض الشُرّاح إلى أنَّ (اختياراً) مفعول له لقوله (زوى)، فيكون الفاعل الضمير المستتر العائد على الله سبحانه وتعالى الذي اختار لنبيه الآخرة على الدنيا، فيكون معنى قول الإمام: ((إنَّ اللّه زواها عنه باختياره تعالى له الأصلح))[١٦]، أي: أن يكون المصدر المنصوب (اختياراً) مبيناً لسبب انزواء الدنيا عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، فيكون الاختيار بمعنى التخيير والتفضيل على سائر الناس الذين انكبوا على الدنيا.

وبهذا رُدَّ رأي ابن أبي الحديد، الذي ينصب (اختياراً) على نزع الخافض ؛ لأنَّ تقدير خافض منزوع في هذا السياق يؤول إلى أنَّ الاختيار آلة أو واسطة لانزواء الدنيا عن النبي وهو غير موجّه، ولا يجري مع سنن البشر في الدنيا والآخرة، ورأى حبيب الله الخوئي وجهاً آخرَ لنصب (اختياراً) بأنَّهُ حالٌ من فاعل

للفعل (زوى)، أو من الضمير المتصل في حرف الجر(عَن) ؛ وذلك على أساس أنَّ المصدر مؤول بالمشتق، أي زواها عنه مختاراً بصيغة اسم الفاعل، إذ قال: ((أي: مختارًا بصيغة اسم الفاعل منه باختيار سبحانه وتعالى، أو اختيار منه صلى الله عليه وآله ذلك لنفسه))[١٧].

ويُفهم من هذا أنَّ الخوئي قَد وجّهَ الحال المصدر على ما قال به سيبويه، في أنَّ المصدر يأتي حالاً على خلاف الأصل مؤولاً بالمشتق ؛ لتستقيم قاعدة أنَّ الحال وصفٌ مشتقٌ لصاحبه، كقوله تعالى:﴿**وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا**﴾(سورة الرعد: ١٥) ذلك أنَّ المصدر ليس فيه معنى فاعل الحدث فهو لا يصلح أن يكون حالاً، لذا وجب تأويله بالمشتق ليتحمل الحدث وفاعل الحدث الذي يوصف به[١٨].

ويبدو أن الرأي الأولى بالقبول مناسب لمَا يُفهم من معنى قول أمير المؤمنين عليه السلام أنَّ الله قد اختار لنبيه الأكرم صلى الله عليه وآله فزوى الدنيا عنه ليستعدَّ لحال النبوّة، والقيام بأعباء الخلافة الإلهية، ولا شكَّ في أنَّ هذا المعنى يُشير ضمناً إلى استعداد الرسول صلى الله عليه وآله لهذا الاختيار.

* قال الإمام عليه السلام في خطبة له تسمى القاصعة، وردَ فيها ذم إبليس والتحذير من الكبر: ((فاللّه اللّه في كِبْر الحَميَّة، وَفَخْر الجَاهليَّة !، فإنّهُ مَلاقَحُ الشَّنآن، ومَنَافخُ الشَّيْطان، الّتي خَدَعَ بهَا الأُمَمَ المَاضيَة، والقُرُوْنَ الخَاليَة، حَتّى أَعْنَقُوا في حَنَادس جَهَالَته، ومَهَاوي ضَلالَته، ذُلّلاً عَنْ سَيَاقه، سُلُسا في قيَاده، أَمْرًا تَشَابَهَت القُلُوْبُ فيْه وَتَتَابَعَتْ القُرونُ عَليه))[١٩]،

لمّا وقف الشُرّاح على قوله عليه السلام(أمراً) كثرت أقوالهم في توجيه إعراب(أمراً)، إذ قال التستري: ((الصواب كونه خبراً لـ(كان) محذوف، وحذف كان مع اسمها وإبقاء خبرها بعد (إنْ) و (لو) كثير في كلام العرب، كقوله تعالى: ﴿**تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ**﴾ (سورة (يس): الآية:٥) والتقدير: كان ذلك تنزيل العزيز الرحيم))[٢٠]، قال الزمخشري: ((وقُرئ (تنزيل) بالرفع على أنه خبر محذوف، وبالنصب على أعني))[٢١]، وهو بذلك غَلَّطَ ابن ميثم البحراني في توجيه نصب (أمراً) إذ قال ابن ميثم: ((أمراً منصوب بتقدير فعل مضمر، أي: اعتمدوا أمراً تشابهت قلوبهم فيه وتتابعت القرون الماضية منهم على اعتماده، وهو الفخر، ونفخ الشيطان، الإعناق في جهالته وضلالته))[٢٢].

وكذلك غلّطَ الخوئي الذي ذهب إلى أنَّ (أمراً) منصوب على نزع الخافض متعلق بقوله (اعنقوا)، أي: أسرعوا إلى أمر تشابهت القلوب فيه[٢٣]، مُحتجاً بأن نزع الخافض يحتاج إلى قرينة دالّة هنا، إذ قال التستري في إنكار رأي من سبقه: ((وكلٌ بلا معنى فإنّهم لم يعتمدوا ولم يسرعوا إلى أمر بذاك الوصف، وإنما عملوا عملاً كان بذاك الوصف، ونزع الخافض يحتاج إلى قرينة وليست هنا))[٢٤].

ورأى التستري أنَّ قول الإمام عليه السلام الأصل فيه قوله تعالى:﴿**وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾(البقرة:الآية ١١٨).

ويمكن القول إنّ (أمراً) إنما نُصِبَ

على التحذير بتقدير: أحذركم أمراً تشابهت قلوبكم فيه، ولا يحتاج إلى تقدير محذوف في الأصل إلاّ من باب الإيضاح، ويعضّدهُ نصب (اللّه اللّه) في بدء كلامه عليه السلام، فـ (أمراً) في حكم المُقَدَّم بعد (اللّه اللّه) أمراً تشابهت، والمعنى: أحذركم عذابَ اللّهِ من أمرٍ تشابهتِ القلوبُ فيه.

الهوامش:

١- الرَّفْغُ: سعة العيش والخَصبُ، يقال رَفَغَ عَيْشَهُ رفاغة: أي: اتسع، ينظر: لسان العرب ٨ / ٤٢٩ (رفغ)، وتاج العروس ١ / ٥٦٦٢ (رفغ).
٢- نهج البلاغة، الخطبة ٨٣ /ص ١٢١ (صبحي الصالح).
٣- بهج الصباغة ١١ / ٢٠٩.
٤- شرح ابن أبي الحديد ٦ / ٢٤٣.
٥- ينظر: شرح ابن ميثم البحراني ٢ / ٢٣٣.
٦- ينظر: شرح نهج البلاغة لـ(محمد جواد مغنية) ٢ / ١٣٨.
٧- سورة القمر:الآية ١٢.
٨- ينظر: الكشاف ٤ / ٣٠٩،والتفسير الكبير ١٤ / ٤٨٥، والبحر المحيط ١٠ / ٤٢٥.
٩- ينظر: حاشية الصبان ٢ / ١٩٥.
١٠- بهج الصباغة ١١ / ٣٠٩.
١١)أسرار العربية: ١٩٩، وشرح الكافية الشافية ١ / ٣٤٤.
١٢- شرح الرضي على الكافية ٢ / ٧٢، وينظر:شرح التسهيل ٢ / ٣٧٩، وشرح الكافية الشافية ١ / ٣٤٤.
١٣- ينظر: شرح الرضي على الكافية ٢ / ٦٣، وارتشاف الضرب ٢ / ٣٧٧، وحاشية الصبان ١ /٢٨٦، وشرح التصريح على التوضيح ١/ ٦١٨، وهمع الهوامع ٢ / ٢٦٦.
١٤- نهج البلاغة، الخطبة ١٠٩ / ص٢٠٣.
١٥- شرح ابن أبي الحديد ٧ /٢٧١
١٦- بهج الصباغة ٢ / ٣٣٦.
١٧- منهاج البراعة ٧ / ٣٧٣.
١٨- ينظر: الكتاب ١ / ٧٧، والمقتضب ٣ / ٢٣٦، والأصول في النحو ١ / ١٦٣، وشرح الكافية الشافية ١ / ٣٣٠ وشرح ابن عقيل ١ / ٦٣٢.
١٩- نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢ / ص ٣٦٤.
٢٠- بهج الصباغة ١٤ / ٢٦٤.
٢١- الكشاف ٣ / ٦٤٢.
٢٢- شرح ابن ميثم ٤ / ٢٤٠.
٢٣- منهاج البراعة ١١ / ٣٠٢ .
٢٤-ص بهج الصباغة ١٤ / ٢٦٤ .

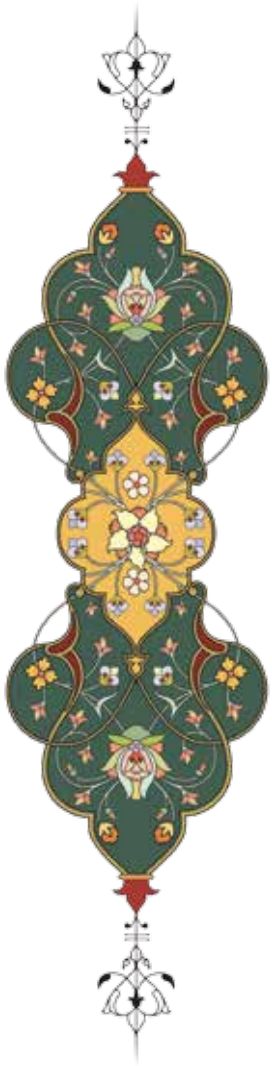

طرائف..

* كان أبو سلمة مع قوم فرأوا قطيعاً من غنم فقال: اللهم إن كان في سابق علمك أن أكون خليفة فاسقنا من لبنها. فانتهى إليها فإذا هي تيوس كلها.

(تاريخ ابن عساكر / ج٢٩ص٣٠٨)

* عن الأعمش قال: أتى رجل الشعبي فقال : ما اسم امرأة إبليس ؟ قال : ذاك عرس ما شَهِدتُه .

(سير أعلام النبلاء/ الذهبي ج٤ص٣١٢)

* قال الشعبي : كنت اليوم في المسجد في مجلس القضاء ، وعندي امرأة ، ليس عندي غيرها ، فجاء رجل فقال لي : أيكما الشعبي ، فقلت : هذه !

(تاريخ ابن عساكر / ج٢٥ص٤١٧)

* وقف أعرابي معوج الفم أمام أحد الولاة فألقى عليه قصيدة في الثناء عليه التماساً لمكافأة، ولكن الوالي لم يعطه شيئاً وسأله :

ما بال فمك معوجاً، فرد الشاعر :

لعله عقوبة من الله لكثرة الثناء بالباطل على بعض الناس .

قصيدة:

عن ألق الكوكب السادس

السيد محمد محمد الحاضري •
من اليمن

يـا أيـهـا الـنـخـل المنيب ... كـفـاك أنـك تـابـعُـهْ
تـهـفـو الـجـبـال إلـى نـداه ... مـجـيـبـةً وتـطـاوعُـهْ
عـيـنـاه مـعـتـكـف الـهـدى ... وصـدى الـتـلاوة سـامِـعُـهْ
والـخـاشـعـون شـرابـهـم ... عـذبـاً سَـقَـتْـهُ مـدامِـعُـهْ
لـلـيـل فـي صـلـواتِـهِ ... حِـقَـبٌ تـظـلُّ تـراجِـعُـهْ
فيصب فـي مُـقَـلِ الـنـجـوم ... ضـيـاءهُ فـتـطـاوعُـهْ
وهـو الـخـبـيـر بـبـدئـهـا ... بـالـعَـوْدِ يـهـتِـف صـادِعُـهْ
مـتـسـربـلاً وَجَـعَ الـمـدينـةِ ... فـي الـنـبـوةِ طـالـعُـهْ
وهـو الأمـيـن كـجـدِّه ... وبـنـور أحـمـدَ سـاطِـعُـهْ
والـكـلُّ عـنـه يـقـول: قـال ... وأَمَّ جـعـفـرَ طـامِـعُـهْ
هـو مـحـكـمُ الـتـنـزيـلِ لاذَ ... بـغـيـثـه مـتـشـاسِـعُـهْ
وهـو الـكـتـاب وآيُـهُ ... وهـو الـقـنـوتُ وخـاشِـعُـهْ
نـشـر الـتـقـى فـانـسـاب في ... أرج الـقـلـوبِ تـتـابُـعُـهْ

وتعنعنت آفاقُه فعلاً وجَلَّ تواضُعُهْ
لله تغرسُ نور أحمد في العيون لوامِعُهْ
وريـاحُهُ بُشراً يفرقها ويجمعُ واسِعُهْ
وعلومُهُ سالتْ بها الوديانُ بورِكَ جامِعُهْ
فتسبِّحُ الغاباتُ، يبتَهِلُ النباتُ وطالِعُهْ
تحيى القفارُ، تفيضُ بالنخلِ الصدوقِ مزارعُهْ
هم يحرثونَ وأنتَ نورُكَ في المواثقِ زارِعُهْ
هم يشربونَ وأنتَ أمشاجُ السحابِ ورافِعُهْ
يا سادسَ الأنوارِ وَجْدُك في التشكّل شافِعُهْ
وحنينهُ وبهاؤه تصطفُّ فيك جوامِعُهْ
يا بن البتول وحيدرٍ بك للحسينِ روائِعُهْ

لا جرم

بين الاستعمال القرآني..
والاستعمال العربي

م. م. أحمد كاظم عماش •
كلية الدراسات القرآنية في الحلة

ينابيع

(جَـرَمَ) لغـة تعنـي: قطـع الثمـرة عـن الشـجرة[1]، قال ابـن منظور [ت:٧١١هـ] (الجـرمُ القطع. جرمه يجرمـه جَرمـاً: قطعـه. وشـجرة جريمة: مقطوعـة وجـرم النخـل والثمـر بجرمه يجرمه جرماً وجراماً واجترمه: صرمه....

وتأتـي (جـرم) بمعنى (كسـب) كقول العـرب: فـلان جريمة أهله أي كاسـبهم، وخرج يجرم أهله أي يُكسبهم، جرم يجرم واجترام: كسب)[2].

وقـد تأتي بمعنى (حق) كقوله تعالى (لاَ يَجْرِمَنَّكُـمْ شَـنَآنُ قَوْم) (المائـدة:٢) أي لا يحقَّنَّ لكم، وانشـد: جَرمتْ فَزارة بعدها أن يغضبوا.

يقول: حق لها[3]. وقد وردت (لا جرم) في القرآن في خمسـة مواضع[4] متلوة بأنّ واسمها، ولم يجئ بعدها فعل، والمواضيع:

١- (**لاَ جَـرَمَ أَنَّهُـمْ فِي الآخِـرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ**) (هود٢٢).

٢ـ (**لاَ جَـرَمَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِـرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْـتَكْبِرِينَ**) (النحل٢٣).

٣ـ (**لاَ جَـرَمَ أَنَّ لَهُـمُ النَّـارَ وَأَنَّهُـم مُّفْرَطُونَ**)(النحل٦٢).

٤ ـ (**لاَ جَـرَمَ أَنَّهُـمْ فِي الآخِـرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ**)(النحل١٠٩).

٥ ـ (**لاَ جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلاَ فِي الآخِرَةِ**) (غافر٤٣)

الخلاف النحوي في (لا جرم):

فـي هـذه اللفظة خـلاف طويـل بين النحـاة، وقد وقع اختلافهم في (لا) أزائدة أم هي ردّ لكلام سابق، أم نافية لما بعدها، وفي (جرم) أبمعنى (كسب، أم قطع أم حق

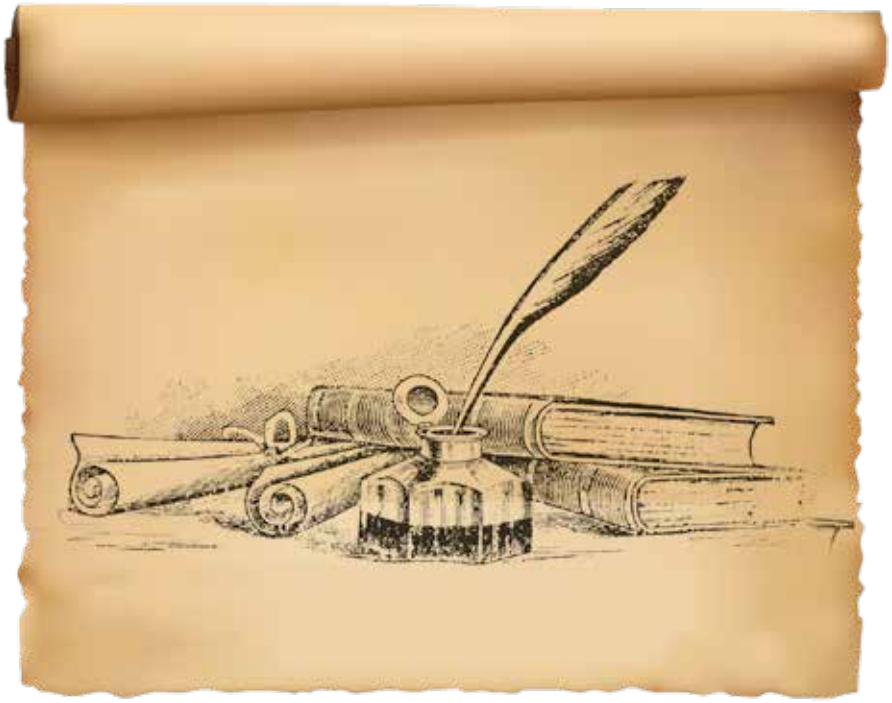

أم لابد وما أشبهها؟) وكذلك اختلفوا في (أنّ) في الآيات القرآنية أفاعل أم مفعول أم خبر أم مجرور متعلق بخبر؟ وهذا الخلاف يتلخص في ما يلي:

الأول: ما ذهب إليه الخليل وسيبويه، هو أنها مركبة من (لا) و(جرم) وبنيتا على تركيبهما تركيب خمسة عشر، و (لا) نافية عند الخليل وزائدة عند سيبويه، وصار معناها معنى (فعل) وهو حق، فعلى هذا يرتفع ما بعدهما بالفاعلية، فقوله تعالى (لاَ جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ) أي: حق وثبت كون النار لهم، أو استقرارها لهم[٥].

الثاني: أن (لا جرم) بمنزلة لا رجل في كون لا نافية للجنس، وجرم اسمها مبني على الفتح، وهي واسمها في موضع رفع بالابتداء، وما يعدها خبر (لا)، وصار معناها لا بدّ ولا محالة

ولا شك في أنهم في الآخرة، أي في خسرانهم، وهذا مذهب الفراء(٦).

الثالث: أن (لا لكلام متقدم تكلم) نافية به الكفرة، فرد الله عليهم ذلك بقوله: لا، كما ترد هذه قبل القسم في قوله: (**لا أُقْسِمُ**)(القيامة:١) وقوله: (**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ**)(النساء:٦٥).

ثم أتى بعدها بجملة فعلية، وهي جرم أن لهم كذا، و(جرم) فعل ماضٍ معناه: كسب،

كقول الشاعر:

نصبنا رأسهُ في جذع نخل
بما جرمت يداهُ وما اعتدينا

أي بما كسبت، وأن وما في حيزها في موضع المفعول به، لأن (جرم) يتعدى إذا كان بمعنى كسب، وعلى هذا فالوقف على (لا)، ثم يبتدئ بجرم بخلاف ما تقدم[٧].

الرابع: أن معناها: لا حد ولا منع ويكون جرم بمعنى (القطع)، تقول: جرمت، أي

قطعت، كقول الشاعر[٨]:

ســـادٍ تجرم في البضيع ثمانياً
يلوي بقيعات البحـــارِ ويَجْنُبُ

فيكون جرم اســم (لا) مبنيــاً معها كما تقدم في الثاني، وخبرها انّ وما جزها على حذف الجر، أي: لا منع من خسرانهم[٩].

وهــذا هــو المرجح لدينــا، لأن لفظة (جرم) جــاءت على وفق معناهــا اللغوي، فجرم اسم (لا) التي تنفي الجنس، فيكون معناهــا: لا قطع في أنهم فــي النار، أي لا قطــع في كونهم فــي النار. ونميــل أيضًا إلى دلالتها علــى معنى (لابدّ ولا محالة ولا شك).

فإعــراب مــا بعــد (لا جرم) لــه أربعة أوجه[١٠].

١ـ الرفع على أنه فاعل.
٢ـ الرفع على أنها خبر (لا).
٣ـ النصب على أنها مفعول به.
٤ـ الجــر بحرف جر محذوف على أنها خبر (لا).

دلالتها على القسم:

لــم يذكــر العلمــاء القدمــاء كالخليل وسيبويه أنها تدل على معنى القسم، وهي لــم تدل في القرآن على هــذا المعنى، إلا على قراءة عيسى الثقفي بكسر همزة (إنَّ) فتكون (إن) وما بعدها جواب قســم أغنت عنه (لا جرم)[١١].

قال الفــراء [ت:٢٠٧هـــ]: (وقوله (لاَ جَــرَمَ أَنَّهُمْ) كلمة كانــت في الأصل بمنزلة لابــدّ أنــك قائــم ولا محالة أنــك ذاهب، فجرت على ذلك، وكثر استعمالهم إيّاها، حتى صــارت بمنزلــة حقــاً ؛ ألا ترى أن العــرب تقول: لا جرم لآتينك، لا جرم قد أحســنت)[١٢] نلحظ من الكلام الأخير أنها دلت على معنى القســم بعــد تطورها من معنى لا بد ولا محالة إلى معنى (حقاً) ففي قوله (لا جرم لآتينــك) دليل على إجرائها مجرى القسم وإجابتها بجوابه لأنها صارت بمعنــى (حقاً)، ونجــد البيت الــذي ذكره الفراء فــي مجيئها بزيادة (ذا) (لا ذا جرم) أنها قد أجيبت بجواب القسم:

إن كلاب والــدي لا ذا جــرم
لاهــدرنَّ اليــوم هــدراً صادقاً

هدر المعنى ذي الشقاشيق اللهم[١٣].

وقد استشــهد ابن مالك علــى مجيئها للقسم بقوله الراجز:

أســأت إذ خالفتنــي ولا جــرم
ليبــدرنَّ منك أســوأ النــدم[١٤]

حيث اســتعملت (لا جرم) في القســم وأجيبت بجوابه (ليبدرنَّ).

ولو نظرنا إلى معناها اللغوي وما دلت عليه من معنى (القطع، والكسب، والحق)، نجدها لا يوجد فيها أي معنى للقسم، ولكن ما الذي جعل العرب تســتعملها للقســم؟ الذي يظهر أن دلالتها على التحتيم والتأكيد رفعها إلى درجة القســم، فنابت (لا جرم) عن هذا المعنى[١٥].

قال الشــريف المرتضــى [ت:٤٣٦هـ] (لا جــرم في الأصل مثل لابــدّ ولا محالة، ثــم اســتعملته العرب فــي معنــى (حقاً)، وجاءت فيه بجواب الأيْمان،فقالوا:لا جرم لأقومنّ، كما قالوا: واللّه لأقومنّ)[١٦].

أمــا رأي المحدثين فــي (لا جرم) فلم يطلقــوا عليها معنى القســم وتعاملوا معها معاملة (لابد ولا بأس) و (لا محالة) على أن (لا) نافية للجنس و (جرم) اســمها وخبرها محذوف تقديره موجود[١٧].

أو علــى أن (لا) نافية و (جرم) فعل وما بعدها مرفوع بالفاعلية[١٨].

لغات (لا جرم):

في (لا جرم) لغات كثيرة هي (لا جِرم بكسر الجيم، ولا جرُم بضمها، ولا جر بحذف الميم لكثرة الاستعمال، ولاذا جرم، ولا أن ذا جرم، ولا ذو جرم، ولا عن ذا جرم)[١٩].

وحذف الميم في لاجرم هو كما قالوا: حاش لله، وهو في الأصل حاشى، وكما قالوا: أيش وإنما هو أيُّ شيء، وكما قالوا: سو ترى وإنما هو سوف ترى.

قال ابن الأعرابي لا جر لقد كان كذا وكذا أي حقاً، ولا ذا جر، ولا ذا جرم، والعرب تصل كلامها بذي وذا وذو فتكون حشواً ولا يعْتَد بها، وانشد:

إن كلابا والدي لا ذا جرم[٢٠]

دلالة (لا جرم) في السياق القرآني:

ذكرنا سابقًا أن (لا جرم) وردت في خمسة مواضع وسنبين دلالتها في سياق القرآن الكريم، فكان الذكر الأول لها قوله تعالى: (**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ* لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ**) (هود آية٢١- ٢٢).

بين جل وعلا أنهم فعلوا ما استحقوا به العقاب فهلكوا فذلك خسران أنفسهم وخسران النفس أعظم الخسران ؛لأنه ليس عنها عوض فإن الإنسان لا يملك بالحقيقة إلا نفسه، وغذا اشترى ما فيها هلاكها وضيعتها بالكفر والمعصية فقد خسر في هذه المعاملة التي أقدم عليها نفسه فخسران النفس كناية عن الهلاك.

ثم جاءت لا جرم في الآية التي بعدها لتدل على أن هذا القول لا يقطعه قاطع فهم حقاً في الآخرة هم الأخسرون أي لا محلة ولابد أنهم كذلك[٢١]. والآية الثانية هي (**لا جَرَمَ أَنَّ اللّهَ يَعلمُ ما يَسِرّوْنَ وما يُعْلِنُونَ إنّه لا يُحبُّ المُسْتكبِرين**) (النحل - ٢٣).

جاءت لا جرم لتبين أنّ الله لا محالة أنه عالم بسريرة كل إنسان وعلانيته،وهذه العبارة جاءت كناية عن التهديد بالجزاء السيئ، أي إنه يعلم ما يخفونه من أعمالهم وما يظهرونه فسيجزيهم بما عملوا ويؤاخذهم على ما أنكروا واستكبروا إنه لا يحب المستكبرين.

فدلالة لا جرم القاطعة لكل شك يدخل في خلجات النفس البشرية تثبت على نحو التحقيق أن الله جل وعلا لا يحتاج في معرفة هذا الأمر إلى اكتساب علم بل هو معلوم إن الله سبحانه وتعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون،وهذا تهديد لهم بأنه عالم بجميع أحوالهم فيجازيهم على جميع أقوالهم وأفعالهم لأنه لا يحب المتعظمين الذين يأنفون أن يكونوا أتباعًا للأنبياء.[٢٢]

والآية الثالثة هي (**ويَجْعلونَ لله ما يَكرَهُونَ وتَصِفُ ألسنَتُهم الكَذبَ أنّ لَهُم الحُسْنى لا جَرَمَ أنَّ لهم النارَ وأنّهم مُفرَطُون**)(النحل -٦٢).

إن معنى (ويَجْعلونَ لله ما يَكرَهُونَ) يعني البنات أي يحكمون لله ما يكرهون لأنفسهم،(وتَصِفُ ألسنَتُهم الكَذبَ) أي تخبر ألسنتهم الكذب وهو ما يقولون (أنّ لهم الحسنى)وهي البنون،وقيل: معناه تصفون أن لهم مع قبيح قولهم من الله الجزاء الحسن والمثوبة الحسنى وهي الجنة، فإن المشركين كانوا يقولون:إن كان ما يقوله محمد من أمر البعث والآخرة حقا فنحن من أهل الجنة،بعد هذا الخطاب جاء

الـرد الإلهي بدلالة لا جـرم القطعية ليس الأمر على مـا وصفوا جرم قولهم وفعلهم حقاً أن لهم النار أولا بد أن لهم النار.[٢٣]

والآية الرابعة (**ذلك بأنّهم اسْـتَحَبُّوا الحيـاةَ الدّنيا علـى الآخـرة وأنَّ الله لا يَهْـدي القِـومَ الكافريـن * أولئك الذين طَبَعَ الله على قلوبهم وسـمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغَافلونَ* لا جَرَمَ أنّهم فِي الآخرة هم الخاسـرون**) (النحل ١٠٧-١٠٩).

جاءت لا جـرم لبيان الخسـران الذي لحقهم بسـبب حلول غضب الله جل وعلا بهـم وثبوت العـذاب العظيـم عليهم وهم أنهم اختـاروا الحيـاة الدنيا وهـي الحياة المادية التي لا غاية لها إلا التمتع الحيواني والاشتغال بمشـتهيات النفس على الآخرة التي هي حياة دائمـة مؤبدة في جوار رب العالمين وهي غاية الحياة الإنسانية.

فإنهـم باختيارهـم الحيـاة الدنيا غاية لأنفسهم وحرمانهم من الاهتداء إلى الآخرة انقطعوا عن الآخرة وتعلقوا بالدنيا فوقف حسـهم وعقلهم فيها فليسـوا يبصرون ما يعتبرون به ولا يسـمعون عظة يتعظون بها ولا يعقلون حجة يهتدون بها إلى الآخرة.

فدلالـة لا جرم على خسـرانهم لأنهم ضيعـوا رأس مالهم في الدنيا فبقوا لا زاد يعيشـون به في أخراهم،وجاء الكلام على نحو التشـديد لأنهم صدوا عن سـبيل الله تعالى تأكيدًا لحكم الخسار عليهم.[٢٤]

والآيـة الخامسـة (وَيَـا قَـوْمِ مَـا لِي أَدْعُوكُـمْ إِلَى النَّجَـاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ * تَدْعُونَنِـي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْـرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُـمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ * لَا جَرَمَ أَنَّمَـا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَـا وَلَا فِي الْآخِـرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْـرِفِينَ هُـمْ أَصْحَـابُ النَّارِ) (غافر٤١-٤٣).لهذه الآيات معنى عام ومعنى خـاص، العام هي دعوة الأنبياء لأقوامهم، والخاص هي دعوة موسى(ع) لقومه لعبادة الله (جلّ وعلا) فقوبـل بدعوتهم له لعبادة آلهتهم، فجـاء مفاد (لا جرم) إقامة الحجة على عدم كون ما يدعون إليه إلهاً.

والمعنـى: ثبـت ثبوتًا أن مـا تدعونني إليه مما تسـمونه شـريكًا لله سبحانه ليس له دعوة في

الدنيـا ولم يعهد نبي أرسـل إلى الناس من ناحيته ليدعوهم إلى عبادته[٢٥].

---

(١) ينظـر مفـردات ألفـاظ القـرآن، الراغـب الأصفهانـي [ت:٤٢٥هـ]، تـح صفوان عدنان داوودي: ١٩٢مادة جرم.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف: ٦٠٤-٦٠٥ مادة (جرم).

(٣) ينظر المصدر نفسه: ٦٠٥ مادة (جرم).

(٤) المعجـم المفهـرس لألفاظ القـرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ٢١٢.

(٥) ينظر كتاب سبيويه، وأبي بشر عمر بن عثمان بن قنبر [ت:١٨٠هـ] تحقيق عبد السلام محمد هارون: ١٣٨/٣.

(٦) ينظر: معاني القـرآن، أبو زكريا بن يحيى بن زياد الفراء [ت:٢١٧هـ] تح محمد علي النجار: ٨/٢، تفسـير الأمثـل فـي تفسـير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم شيرازي: ٣٤٦/٦.

(٧) الصاحبي،لأحمـد بـن فـارس بـن زكريا(ت٣٩٥هـ)،٢٢١، المحـرر الوجيـز: ١٦١/٣، الجامـع لأحـكام القـرآن: ١٧/٥٠، الفتوحات الإلهية.: ٤٣٦/٣.

(٨) ينظر: لسان العرب: ٦٠٤/١ مادة (جرم).

(٩) ينظـر الفتوحـات الإلهيـة: ٤٣٦/٣، إعـراب القرآن وبيانه: ٤٠٢/٣، أسلوب القسم: ١٥٦.

(١٠) ينظر: أسلوب القسم: ١٥٦.

(١١) ينظـر البحـر المحيط في التفسـير، محمد بـن يوسـف الشـهير بابـي حيان الأندلسـي

(ت:٧٥٤هـ): ٤٨٣/٥.
(١٢) معاني في القرآن للفراء: ٨/٢.
(١٣) ينظر: المصدر نفسه: ٩/٢.
(١٤) نظر: شرح الكافية الشافية: ٨٨٢/٢.
(١٥) ينظر: أسلوب القسم ١٥٥.
(١٦) أمالي المرتضى: ١٢٨/١-١٢٩.
(١٧) ينظر /: تفسير روح البيان، الشيخ إسماعيل حقي البروسي (ت:١١٣٧هـ)، تحقيق: أحمد عزّو عناية:١٥٠/٤.
(١٨) ينظر: إعراب القرآن الكريم، محيي الدين الدرويش: ٤٠٥/٣.
(١٩) ينظر: المحرر الوجيز: ١٦١/٣، الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القوطي: [ت:٦٧١هـ]: ١٨٠١٧/٥.
(٢٠) لسان العرب: ١/ ٦٠٦ مادة (جرم).
(٢١) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، ٢٢٩/٥.
(٢٢) ينظر: الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، ٢٦ ٤/١٢.
(٢٣) ينظر: مجمع البيان:٥٦٩/٦.
(٢٤) ينظر: الميزان:٣/١٢.
(٢٥) ينظر: المصدر نفسه: ١٤٤/١٧.

قالوا في القلم..

وأهيف مذبوح على صدر غيره ... يترجم عن ذي منطق وهو أبكم
تراه قصيراً كلما طال عمره ... ويضحى بليغاً وهو لا يتكلم

وفيه أيضاً :

بصير بما يوحى إليه وما له ... لسان ولا قلب ولا هو سامع
كأن ضمير القلب باح بسره ... إليه إذا ما حركته الأصابع

جمالية الكلام النبوي الشريف

وثيقة المدينة اختياراً

د. حسين لفتة حافظ •
مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

ينابيع

يعد عهد البعثة النبوية الحدث الأبرز والفاصل في تاريخ العرب، فقد نقلهم من عبادة الأوثان إلى الإيمان بالله الواحد، واستتبع تحولاً جذرياً في حياتهم السياسية والاجتماعية والخلقية والروحية، لأنه دعاهم إلى نبذ الأوثان وعبادة الله ـ الإله الواحد ـ ورفض العصبية القبلية، وأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر وحثّهم على التمسك بالفضائل.

لقد كان لهذه البعثة النبوية الشريفة أدب تمثل بالنثر الفني الذي وصلنا، ومنه خطب النبي الأكرمﷺ، فقد نشطت الخطابة في مواضيع مختلفة منها ما هو ديني وسياسي واجتماعي، أما الخطبة الدينية فكانت ترمي عادة إلى التذكير بأوامر الدين ونواهيه، والحث على أداء الفرائض في أوقاتها، والدعوة إلى التحلي بالفضائل الخلقية.

أما كلامهﷺ فقد اشتمل على المعاني الأدبية المختلفة، وعلى عرض جوانب الحياة المختلفة والتعرض لها بجمل تعبيرية مؤثرة، وكلامهﷺ يعبر عن معنى وشعور رقيق بضرب الأمثال حينًا، وبالتمثيل حينًا وبالمنهج القصصي حينًا ، وبالحوار حينًا آخر وقد كان يؤثر سهولة الكلام حين تقضي الحال السهولة، ويختار الجزالة حين يستدعي الأمر الجزالة، ويبسط الكلام حينًا فيصبح سلسًا سائغًا، ويوجزه حينا، فيصبح من جوامع الكلم.

ليس هناك من شك في أن الأسلوب الأدبي له ملامحه الخاصة التي تميزه عن غيره من الأساليب الأخرى، كونه أسلوبًا يحتوي على المجاز ومن ثم هو جامع لمستويات فكرية متداخلة ومتراكمة

بصورة تدعو المتلقي إلى معاودة قراءته مرارًا وتكرارًا للوقوف على ما

وراء النص وهذا ما وجدناه في نص وثيقة المدينة المنورة.

وثيقة المدينة:

وصل رسول اللهﷺ إلى المدينة مهاجرًا من مكة، جاء ليؤسس نواة دولته التي سينطلق منها إلى العالم الأرحب إلى الناس كافة. وفور وصوله قام بعدة أعمال تؤكد هذا المعنى، ومن ضمن ما قام به إرساء السلام بين مكونات مجتمع يثرب، من العرب المهاجرين والأنصار وأهل الكتاب وغيرهم. حيث لا يمكن أن يُبنى بلد دون وجود السلام بين مكونات مجتمعه. وبعد أن آخى بين المهاجرين والأنصار، قام وخطب فيهم خطابًا يطمئن فيه هذه المكونات، ثم تلا ذلك بكتابته وثيقة شاملة حول العيش السلمي بين هذه المكونات، وبين فيها للجميع ما لهم وما عليهم، وسميت هذه الوثيقة فيما بعد بـ (وثيقة المدينة). وقد أورد كبار المؤرخين هذه الوثيقة كابن هشام في سيرته ج٢ ص٣٤٨، والبيهقي في سننه ج٨ ص١٠٦، وابن كثير في البداية والنهاية ج٣ ص٢٧٣ وغيرهم. وتوخيًا للاختصار سنذكر بعضًا من فقرات هذه الوثيقة وبما يحتاجه البحث.

إن معاني نص هذه الوثيقة يحتاج إلى تأمل، فقد اشتملت على لغة أدبية تحتاج إلى جهد تحليلي خاص لغرض الوقوف على معطياتها الفكرية والتربوية والإبداعية، وكشف ما تنبئ فيه تفاصيلها، واستخلاص كل ما فيها من طاقات إيحائية

أو شحنات انفعالية، وهو ما يسعى إليه هذا البحث عبر مباحث تركز على جمال النص الفني،وقيمة المضامين العالية فيه.

ومن الجدير بالذكر أن (وثيقة المدينة) إلى جانب المستوى التصويري الذي اشتمل عليه أسلوبها الأدبي نجد فيها مستوى آخر يتمثل في الاهتمام باللفظ وزينته، فضلاً عن دقة الكلمات، مما يعكس مستوى الثقافة العالية التي يتمتع بها النبي الأكرم ﷺ، فقد أوتيَ ﷺ جوامع الكلم وخُصّ ببدائع التعبير الحكيم المحكم، وقد أدّبه مولاه فأحسن تأديبه، وعلّمه مالم يكن يعلم وقد وصف الجاحظ كلام المصطفى بقوله:

(وهو الكلام الذي قل عدد حروفه، وكثرت معانيه، وجلّ عن الصنعة، وتنزه عن التكلف، وكان كما قال الله تبارك وتعالى قل يا محمد (وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ)، فكيف وقد عاب التشدق، وجانب أصحاب التعقيب، وهجر الغريب والوحشي، ورغب عن الهجين السوقي فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حُفَّ بالعصمة، وشد بالتأييد ويُسر بالتوفيق)[1].

ثم يقول الجاحظ:

(وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة وغشاه القبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلمات، مع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته)[2].

لقد حملت وثيقة المدينة بين طياتها سمات عصر النبوة وملامح العقيدة الجديدة التي سادت المجتمع عند توقيع هذا الكتاب، وقد أشار بعض الباحثين إلى هذه المسالة، ففي صدره يذكر اسم الله الرحمن الرحيم، وفي ثناياه تتردد ألفاظ بعينها كثيرة الاستعمال والدوران على الألسنة والأقلام المسلمة، مثل ألفاظ المعروف، والقسط، والمؤمنين، والبر والإثم والتقوى والقتال في سبيل الله والهدى واليوم الآخر، ولعنة الله وغضبه، والصرف والعدل، وغيرها مما لم يكن مألوف الدوران في عصر ما قبل الإسلام[3].

أما عن أهم الأساليب الأدبية التي يمكن للباحث أن يلاحظها في هذه الوثيقة:

أولاً: التضمين القرآني: وظف النبي الأكرم المضامين القرآنية في أكثر خطبه، وهو أمر مألوف يأتي من كونه المفسر الأول للنص القرآني فهو الأعرف بمضامينه وأسراره وهو المكلف بالتبليغ وحث الناس على أداء الأوامر والابتعاد عن كل ما حرمه الله سبحانه وتعالى ، وقد استطاع أن يوظف المفردات القرآنية في وثيقة المدينة سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، ومن صور هذا التوظيف قوله: (هذا كتاب من النبي محمد ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم)[4]، نلاحظ عدد المفردات القرآنية التي وظفها النبي ﷺ في هذا المقطع وهي النبي والمؤمنين والمسلمين والجهاد، وكأنه يريد أن يقول أن هناك عملية استبدال شاملة حصلت في المجتمع العربي، وهو خير من يمثل المجتمع فصاحة وقدرة بيانية وقد أقرّ بتلك الحقيقة فصحاء قريش قبل مئات السنين (هذا النبي ﷺ هو أفصح العرب لهجة وأعذبهم عذبة وأحسنهم إفصاحًا وبياناً وأرجحهم في الحكمة البالغة ميزاناً، قد اقتبس من معاني القرآن وألفاظه في

الكثير من كلامه، والجمال غفير من مقاله، فرصعوا كلامه ترصيعاً وتعاطوا فنونه جميعاً)[٥].

ثانيًا: ظاهرة التكرار: تصدى أكثر الباحثين لدراسة هذه الظاهرة في الأدب العربي وحاولوا الوقوف على أسبابها ودواعيها خاصة عند القدماء وقد اختلفوا فيما قالوه عنها، ويبدو أن مرد هذا الأمر يعود إلى اختلاف الأذواق، ويرى الدكتور نعمة رحيم العزاوي (أن كلام النقاد العرب على التكرار يمكن أن يوصف بالقلة والاقتضاب إذا قيس بما للمحدثين من تفصيلات بشأنه واستنتاجات قيمة، ويظهر أن المحدثين انتفعوا في درسهم للتكرار وفي استنباطه مما استنبطوه منه بما توصل إليه علم النفس في هذا العصر)[٦].

ومن الباحثين من ذهب إلى أن المعاصرين لهم جهود متميزة في تناولهم الكثير من الظواهر الأدبية وسبب شيوع هذه الظاهرة الأسلوبية في الكلام الفني الراقي[٧] ومنه حديث الرسول الكريمﷺ حتى إن بعض الدارسين يرى (أن الاتجاه نحو هذا الأسلوب التعبيري مازال في اطراد بحيث يصح أن نرقبه ونقف منه موقفًا يقظًا)[٨]. ومن الأمثلة على التكرار الفني الوارد في قول الرسولﷺ في وثيقة المدينة قوله: (وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين)[٩]. وعلى هذا المنوال يتكرر لفظ (بنو عوف) و(بنو النجار) و(بنو النبيت) و(بنو الأوس)، وهكذا نلاحظ أن الذي يتكرر هو اسم القبيلة، والثابت هو نص العهد أو الوثيقة، وقد أشار القدماء إلى هذه المسألة في كلام البلغاء وسموها الترداد ومنهم الجاحظ الذي ذكر أنه (ليس فيه حد ينتهي إليه ولا يؤتى على وصفه، وإنما ذلك على قدر المستمعين ومن يحضره من العوام والخواص)[١٠]، لذا يمكن القول أن تكرار النبيﷺ يراد منه الإفهام والإقناع والتأكيد من قبل المستمعين، أي إنه وظف بلاغته في استعمال التكرار فضلًا عن أساليب أخرى تمكن من إقناع المتلقي وتغيير تفكيره إلى الوجهة التي يريدها فهو أخطب العرب قاطبة فقد كان يخطب في قريش كثيرًا يدعوها إلى دينه الحنيف والدخول في طاعة الله ومحبته[١١].

ثالثًا: أسلوب الخبر والإنشاء: يتضح اهتمام النقاد والبلاغيين ببلاغة الكلام عبر حديثهم عن الكلام البليغ ومحاولة تحديد خصائصه التي تميزه عن المستوى المألوف من الكلام، فالكلام البليغ عندهم هو (القول المحيط بالمعنى المقصود مع اختيار الكلام، وحسن النظام، وفصاحة اللسان)[١٢].

ومن هنا راح البلاغيون يهتمون بالنص من كافة جوانبه اللغوية ومن أدنى جزئية تبدأ بالحرف وتنتهي بالصورة الكاملة للتعبير الفني، فهم تحدثوا أولًا عن الحروف ثم المقاطع ثم الألفاظ المفردة في صحتها وفصاحتها وملاءمتها للاستعمال وصفائها في ما يستحسن منها ويستهجن والروابط، وعلاقة الكلم بعضها ببعض، ونسق العبارة وما يستحسن فيها من انسجام وقوة سبك، أو تنافر واضطراب يمس جمالها وفنيتها.

لقد استعمل النبي في هذه الوثيقة مختلف أنواع الجمل الخبرية فمنها الجمل الخبرية الابتدائية ومنها الطلبية ومنها الإنكارية، وذلك بحسب سياق الكلام

ومدى قبول أو إنكار هذه الأخبار فعلى سبيل المثال استعمل الجمل الخبرية الإنكارية في قوله مخاطبًا قريش ويثرب (أنهم أمة واحدة من دون الناس) فقد استعمل أداة التوكيد (أنَّ) فضلًا عن التكرار المعنوي أمة واحدة، كذلك استعمل الخبر الإنكاري في قوله: (إن من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم)، ولا عجب في ذلك فإن اليهود كان لديهم شك وإنكار في أن تبعيتهم إلى الإسلام تؤدي بهم إلى النصر، لأنهم يعتبرون الديانة الإسلامية هي التي قضت على دينهم، لهذا أراد النبي الأكرمﷺ أن يزيل هذا الإنكار منهم فاستعمل هذه المؤكدات.

كذلك استعمل الخبر الطلبي في قوله: (وإن ذمة اللّه واحدة) وقوله: (إن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس)[١٣] لإزالة التردد والشك من ذهن المتلقين لهذا الخبر.

أما عن الجمل الإنشائية التي ورد استعمالها في وثيقة المدينة فأذكر منها قوله الشريف في الإنشاء الطلبي: (أنه لا يحل لمؤمن أقرَّ بما في هذه الصحيفة.. أن ينصر محدثًا)(١٤)، وكذلك قوله: (وأنه لا يجير مالًا لقريش) و(ولا يحلله)، فضلًا عن هذا استعمل النبيﷺ عبارة: (إن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة) وإلى آخره من الأساليب الإنشائية التي غلب عليها طابع النهي دون غيره من الأساليب، ربما لأنه وجد فيه ردعًا أكثر من غيره وأنه يتناسب والسياق الذي تتحدث عنه الوثيقة، وهنا تبرز قوة المعاني والألفاظ، وقوة الحجة والبرهان، وهنا يتحدث الرسولﷺ إلى إرادة سامعيه لإثارة عزائمهم واستنهاض هممهم، ومن أبرز سماته توظيف الجمل الخبرية والإنشائية بما يخدم الغاية والهدف من هذه الوثيقة.

---

(١) البيان والتبيين: ١٦/٢.
(٢) البيان والتبيين: ٢/ ١٨.
(٣) ينظر: أدب الدعوة في عصر النبوة: ١٦٣.
(٤) السيرة النبوية/ابن هشام: ٥٠٤/١.
(٥) الاقتباس من لقرآن الكريم: ١٨٢.
(٦) النقد اللغوي عند العرب: ٢٦٦-٢٦٧
(٧) ينظر التكرار اللفظي أنواعه ودلالته: ٦١.
(٨) قضايا الشعر المعاصر: ٢٣٠
(٩) السيرة النبوية: ٥٠٣/١
(١٠) البيان والتبيين: ١٠٥/١.
(١١) السيرة الحلبية: ٣٧٩/١.
(١٢) ينظر البرهان: ١٦٣.
(١٣) ينظرالسيرة النبوية: ٥٠٣/١.
(١٤) السيرة النبوية: ٥٠٤/١.

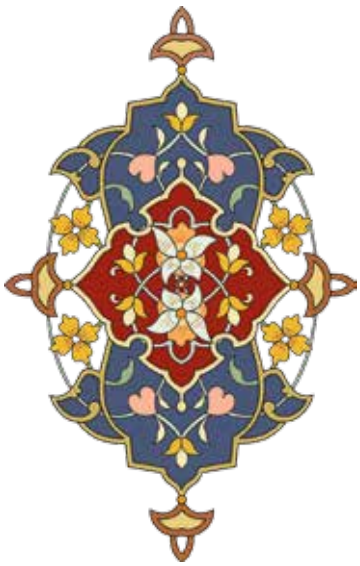

في الذاكرة ..

شهر ربيع الأول

١ خروج النبي صلى الله عليه وآله إلى غار ثور استعداداً للهجرة سنة ١٣ من البعثة.

١ مبيت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على فراش الرسول صلى الله عليه وآله سنة ١٣ من البعثة.

١ أول هجوم على دار أمير المؤمنين عليه السلام لأخذ البيعة بعد دفن النبي صلى الله عليه وآله سنة ١١ هـ.

٣ رمي الكعبة بالمنجنيق حتى أُحرقت على يد الحصين بن نمير قائد جيش يزيد بن معاوية سنة ٦٤ هـ.

٤ خروج النبي صلى الله عليه وآله من الغار وهجرته إلى المدينة.

٥ وفاة السيدة سكينة بنت الإمام الحسين عليه السلام عام ١١٧ هـ.

٨ استشهاد الإمام الحسن العسكري عليه السلام عام ٢٦٠ هـ. وبدء إمامة الإمام صاحب الأمر الحجة بن الحسن (عجل الله فرجه)، وبداية غيبته الصغرى.

٩ مقتل عمر بن سعد لعنه الله سنة ٦٧ هـ.

١٠ وفاة عبد المطلب جد الرسول صلى الله عليه وآله سنة ٣٢ قبل البعثة.

١٠ زواج النبي صلى الله عليه وآله من السيدة خديجة عليها السلام سنة ١٥ قبل البعثة.

١٠ اغتصاب معاوية بن أبي سفيان للخلافة وأخذ البيعة من الناس، وأول ملوك بني أمية، وذلك سنة ٤١ هـ.

١٢ وصول النبي الأعظم صلى الله عليه وآله إلى المدينة مهاجرًا من مكة سنة ١٣ من البعثة.

١٢ هلاك المعتصم العباسي (لعنه الله) بسرَّ من رأى سنة ٢٢٧ هـ .

١٤ هلاك يزيد بن معاوية (لعنه الله) سنة ٦٤ هـ .

١٥ بناء مسجد قباء أول مسجد في الإسلام في السنة الأولى للهجرة.

١٧ مولد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في عام الفيل (٥٧٠م) سنة ٥٣ قبل الهجرة.

١٧ مولد الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام سنة ٨٣ هـ في المدينة المنورة.

١٨ بناء المسجد النبوي في المدينة المنورة في عام الهجرة .

٢٣ وصول السيدة فاطمة (المعصومة) بنت الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام إلى بلدة قم سنة ٢٠١ هـ .

٢٥ توقيع (هدنة) صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية بن أبي سفيان على شروطٍ نَقَضَها معاوية ، وذلك سنة ٤١هـ.

٢٥ استشهاد سعيد بن جبير رضي الله عنه على يد الحجاج بن يوسف الثقفي (لعنه الله) سنة ٩٥ هـ .

٢٥ وفاة السيد علم الهدى الشريف المرتضى رحمه الله عام ٤٢٦هـ.

٢٧ دخول أمير المؤمنين عليه السلام المدينة المنورة بظعينة الفواطم . مهاجرًا من مكة إلى المدينة وملتحقًا بالنبي صلى الله عليه وآله.

٢٧ معراج النبي صلى الله عليه وآله بعد البعثة بـ ٥ سنوات .

٢٧ وفاة مرجع الشيعة في عصره وزعيم الطائفة آية الله العظمى السيد محسن الحكيم قدس سره عام ١٣٩٠هـ .

٢٩ توجه أمير المؤمنين عليه السلام إلى حرب الجمل (على رواية) سنة ٣٦ هـ .

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

شهر ربيع الثاني

١ خروج سليمان بن صرد الخزاعي وأصحابه للثأر لدم الحسين عليه السلام، وسميت حركته بثورة التوابين والتي انتهت بمقتله ومقتل أصحابه سنة ٦٥ هـ .

٣ وفاة مرجع الشيعة في عصره الشيخ أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن الملقب بـ(المحقق الحلي) قدس سره صاحب كتاب (شرائع الإسلام)، عام ٦٧٦ هـ .

٦ هلاك هشام بن عبد الملك سنة ١٢٥ هـ .

٨ شهادة الزهراء عليها السلام (على رواية) بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله بأربعين يوما سنة ١١ هـ .

٨ مولد الإمام الحسن العسكري عليه السلام في المدينة المنورة سنة ٢٣٢ هـ .

٩ وفاة الشاعر الكبير السيد حيدر الحلي رحمه الله ، صاحب القصيدة الشهيرة التي مطلعها (الله يا حامي الشريعة) ، وذلك سنة ١٣٠٤ هـ .

١٠ وفاة السيدة فاطمة (المعصومة) بنت الإمام الكاظم عليهما السلام سنة ٢٠١هـ.

١٣ وفاة السلطان معز الدولة الديلمي رحمه الله في بغداد سنة ٣٥٦ هـ .

١٤ بدء ثورة المختار بن أبي عبيدة الثقفي مطالبًا بدم الامام الحسين عليه السلام ودماء أهل بيته وأصحابه سنة ٦٦ هـ.

٢٢ وفاة السيد موسى المبرقع ابن الإمام محمد الجواد عليه السلام بمدينة قم ودفن فيها سنة ٢٩٦ هـ.

٢٤ خلع معاوية بن يزيد نفسه عن الخلافة المغصوبة من أهل البيت عليهم السلام بعد أربعين يومًا من هلاك أبيه يزيد بن معاوية (لعنه الله) سنة ٦٤ هـ .

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

وقفة مع الذكرى..

زواج النبي صلى الله عليه وآله من السيدة خديجة عليها السلام

١٠ ربيع الأول سنة ١٥ قبل البعثة

كانت خديجة عليها السلام من خيرة نساء قريش شرفاً، وأكثرهن مالاً، وأحسنهن جمالاً، وكانت تدعى في الجاهلية بـ(**الطاهرة**)، ويقال لها: (**سيدة قريش**). كانت تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم منه، وكانت قريش قومًا تجارًا، فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وآله ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج في مالها إلى الشام للتجارة وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار، مع غلام لها يقال له ميسرة فقبله منها رسول الله صلى الله عليه وآله فخرج في مالها إلى الشام مضاربا أو شريكا وليس مستأجرًا[١].

وكل قومها كان حريصاً على الاقتران بها لو يقدر عليه وقد خطبها عظماء قريش، وبذلوا لها الأموال، واختارت النبي صلى الله عليه وآله، لما عرفته فيه من كرم الأخلاق، وشرف النفس، والسجايا الكريمة العالية. ونكاد نقطع ـ بسبب تضافر النصوص ـ بأنها هي التي قد أبدت أولاً رغبتها في الاقتران به صلى الله عليه وآله فذهب أبو طالب في أهل بيته، ونفر من قريش إلى وليها، وهو عمها عمرو بن أسد ؛ لأن أباها كان قد قتل قبل ذلك في حرب الفجار أو قبلها[٢].

وكان ذلك قبل بعثته صلى الله عليه وآله بخمس عشرة سنة، على المشهور.

وقال أبو طالب في خطبته ـ كما يروي المؤرخون ـ : « الحمد لرب هذا البيت، الذي جعلنا من زرع إبراهيم، وذرية إسماعيل، وأنزلنا حرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس، وبارك لنا في بلدنا الذي نحن فيه .

ثم إن ابن أخي هذا ـ يعني رسول

الله ﷺ ـ ممن لا يوزن برجل من قريش إلا رجح به، ولا يقاس به رجل إلا عظم عنه، ولا عدل له في الخلق، وإن كان مقلاً في المال ؛ فإن المال رفد جار، وظل زائل، وله في خديجة رغبة، وقد جئناك لنخطبها إليك، برضاها وأمرها، والمهر عليَّ في مالي الذي سألتموه عاجله وآجله. وله ـ ورب هذا البيت ـ حظ عظيم، ودين شائع، ورأي كامل»[٣] وعلى كل حال فإن أبا طالب قد ضمن المهر في ماله، كما هو صريح خطبته، ولكن خديجة رضوان الله تعالى عليها عادت ؛ فضمنت المهر في مالها، فقال البعض: يا عجباً! المهر على النساء للرجال؟!

فغضب أبو طالب، وقال: إذا كانوا مثل ابن أخي هذا طلبت الرجال بأغلى الأثمان، وأعظم المهر، وإن كانوا أمثالكم لم يزوجوا إلا بالمهر الغالي.

عمر خديجة حين الزواج:

اختلفت الروايات في عمر خديجة عند زواجها من النبي ﷺ، ولكن أدق الروايات هو ٢٥ سنة[٤]، وقد كانت عذراء كما قال ابن شهر آشوب: (وروى أحمد البلاذري، وأبو القاسم الكوفي في كتابيهما، والمرتضى في الشافي، وأبو جعفر في التلخيص)، وأما ما ينسب من أنها تزوجت وأنجبت قبل النبي ﷺ فبالتحقيق الدقيق تبين بطلان ذلك، وأما البنات اللاتي ينسبن إليها فإنهن بنات أختها هالة كما ورد ذلك في كتابي الأنوار والبدع: (أن رقية وزينب كانتا ابنتي هالة أخت خديجة)[٥].

تزوجت برسول الله ﷺ قبل البعثة بخمس عشرة سنة كما جزم به البيهقي في دلائل النبوة[٦]. وقد أنجبت للنبي القاسم وعبد الله وقد توفيا وهما صغيرين، والوحيد الذي بقى منهم هي سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام. وبقيت السيدة خديجة عليها السلام مع النبي ﷺ عشر سنين بعد البعثة وتوفيت بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين ولها من العمر خمسين سنة.

---

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم / السيد جعفر مرتضى العاملي ج٢ ص١٩١...نقلا عن: تاريخ اليعقوبي ج٢ص٢١.
(٢) م.ن..../ نقلا عن:كشف الغمة ج٢ص١٣٩.
(٣) م.ن..../ الكافي / للكليني ج٥ ص ٣٧٤.
(٤) دلائل النبوة / للبيهقي ج٢ص٧١.
(٥) مناقب آل أبي طالب ج١ص١٥٩.
(٦) دلائل النبوة / للبيهقي ج٢ص٧٢.

وقفة مع الذكرى..

وفاة المحقق الحلي رحمه الله ١٣ ربيع الآخر سنة ٦٧٦ هـ

ولد الشيخ الفقيه المحقق أبو الحسن نجم الدين الحلي في سنة (٦٠٢هـ)، نشأ نشأة علمية في بيت علم وشرف ومجد في مدينة الحلة السيفية وقد كانت الحلة آنذاك أي في القرن السابع والثامن وبعضاً من القرن السادس الهجري مجمعاً للعلماء والفضلاء. حتى إذا وصل إلى مدارج الكمال والرقي العلمي بدأ بتدريس البحث الخارج. وقد أثنى عليه كل من ترجم له ثناءً بليغًا عن فضله وسعة علمه بشكل لا يقبل معه الشك في ذلك. حتى اعتبر أنه آخر عالم من عصر المتقدمين وتلميذه العلامة الحلي هو بداية عصر المتأخرين . وكان له باعه الأدبي الشعري منه والنثري فقد كان شاعرًا يجيد الشعر وصاحب نثر بليغ .

أساتذته: من أبرز أساتذته والده الشيخ الحسن بن يحيى بن الحسن بن سعيد، والشيخ ابن نما الحلي، والسيد فخار بن معد الموسوي، والشيخ محمد بن جهم الحلي وغيرهم.

تلامذته:

١ـ العلامة الحلي وهو ابن أخته.

٢ـ ابن داود الحلي صاحب كتاب الرجال.

٣ـ السيد عبد الكريم بن طاووس صاحب كتاب فرحة الغري.

٤ـ محمد بن علي بن طاووس.

٥ـ الشاعر المعروف صفي الدين الحلي.

آثاره العلمية: أما تصنيفاته وتأليفاته فهي كثيرة، فقد بلغت تأليفاته خمسة عشر تأليفاً ورسالة، نذكر منها:

١ـ شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، وهو يعتبر منهجاً في الحوزات العلمية اليوم.

٢ـ رسالة في القبلة التي ألفها للخواجة نصير الدين الطوسي.

٣ـ مختصر المراسم والراسم ألفه للشيخ سالار الديلمي.

٤ـ معارج الأصول في الفقه.

٥ـ المختصر النافع وهو الذي اختصر به شرائع الإسلام.

٦ـ نهج الوصول إلى معرفة علم الأصول.

وفاته: توفي في صباح يوم الخميس ١٣ ربيع الآخر سنة ٦٧٦ هـ فتفجع الناس لوفاته واجتمع لجنازته خلق كثير وحمل إلى مشهد أمير المؤمنين عليه السلام.

أعيان الشيعة / الأمين ج:٢ ص:٤١٠

الدعاء ..

عند السيدة الزهراء عليها السلام

د.خليل خلف بشير •
كلية الآداب/ جامعة البصرة

ينابيع

الدعاء في اللغة مشتق من مادة (دعو) فقد جاء في العين قول الخليل:(دعا دُعاءً، وفلانٌ داعي قوم وداعية قوم: يدعو إلى بيعتهم دعوةً. والجميعُ: دُعَاةٌ)[1]، والدعاء: (واحد الأدعية، وأصله دعاؤ، لأنه من دعوت إلا أن الواو لما جاءت بعد الألف همزت)[2]. و(دعوت الله أدعوه دعاء " ابتهلت إليه بالسؤال، ورغبت فيما عنده من الخبر. ويقال: " دعا " أي استغاث) [3].

وفي الاصطلاح يعرّف بأنه (تعبير بالغ الوضوح عن عرفان المؤمن بربه، وبأسماء ربه الحسنى، ووعي عميق بضعف البشر، وإحساس شديد بأبعاد نقصه، ومراكز ذله، ومدى حاجته إلى التكامل والسمو) [4].

أن الأدعية المنقولة عن أهل البيت عليهم السلام تعد (ودائع قيّمة، وذخائر ثمينة، ونفحات رحمانية اتخذوها وسيلة للتربية وسمو الروح إلى درجات عالية) [6]، وهي أحسن الأدعية ؛لأن المعصومين الأربعة عشر أعرف الناس بالله وبأوصافه بل هم الطريق إلى معرفة الله، ولولا أدعيتهم ومناجاتهم مع الرب ما عرفنا كيف ندعو ونسأل الله تبارك وتعالى [7] فهذا إمامنا الحسن المجتبى يروي حديثاً عن أمه الزهراء عليها السلام يعلمنا فيه أصول الدعاء وكيف يكون الداعي حتى يستجيب له الله ويغفر له (فإن من يُدخل المؤمنين وعباد الله في دعائه فإن الله يحبه، لأنه تعالى يحب من يحب عباده) [8] إذ يقول: (رأيت أمي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم وتكثر الدعاء لهم،

ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها:يا أماه لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بني، الجار ثم الدار) [٩].

تراث السيدة الزهراء عليها السلام

على الرغم من أن الزهراء عليها السلام لم تعش سوى ثمانية عشر ربيعاً من حياتها إلا أنها خلفت تراثاً متنوعاً متمثلاً بأدعية، وتسبيحات، وخطب، وأشعار، وقد جمع تراثها محمد تقي دخيل في كتابه الموسوم أدعية السيدة فاطمة الزهراء (الصحيفة الفاطمية)، وضم أدعيتها الشاملة، وديوان شعرها، وخطبها لذا يمكن القول: إن الزهراء كانت (بمثابة جهاد لها، وأسلوب لهداية الناس وإرشادهم وتعليمهم والسير بهم نحو مكارم الأخلاق ورضوان الله جلاله ورحماته) [١٠]، ولما كانت الزهراء مدرسة الإمامة وغرس النبوة فقد أوقفت حياتها الزوجية والفكرية والجسمية خدمة للرسالة وذوداً عن حياضها [١١]، ولو عاشت أكثر مما عاشت وفُسح المجال أمامها لملأت الدنيا علماً وثقافة ومعرفة، ولتركت للأمة الإسلامية أعظم ثروة فكرية وعلمية في شتى المواضيع والفنون، وكان النبي صلى الله عليه وآله يخبرها عن المستقبل والخاص والعام [١٢].

السمات الدلالية في أدعية الزهراء عليها السلام

التكرار: توظف السيدة الزهراء عليها السلام في كل مقطع من مقاطع بعض أدعيتها جملة تتكرر في بداية كل مقطع، وهي جملة (اللهم صل على محمد وآل محمد)، ويبدو أن هذه الجملة تحتل مساحة واسعة جداً من أدعية أهل البيت عليهم السلام - ومن ذلك أدعية

الزهراء عليها السلام - وقد ورد في أحاديثهم عليهم السلام تركيز وتأكيد كبيران على هذه الصلوات، والسبب واضح هو أن الله تعالى يريد أن يجعل من الدعاء (وسيلة لارتباط المسلمين بأولياء أمورهم واعتصامهم بحبل الولاء الذي جعله الله عصمة للمسلمين، والصلوات من أهم أسباب هذا الارتباط النفسي فإن حلقات الولاء ممتدة بين الله تعالى وعباده، وولاء الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام من أهم هذه الصفات) [١٣] كما ورد في واحد من تعقيباتها، وهو تعقيب صلاة الصبح فقد أكثرتْ من الصلوات، ولعلها قد بدأت بها في كل مقطع من تعقيبها المذكور إذ تقول: (اللهم صل على محمد وأهل بيته المباركين، وصل على جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وحملة عرشك أجمعين والملائكة المقربين... اللهم صل على محمد وآل محمد، وصل على ملك الموت وأعوانه، وصل على رضوان وخزنة الجنان... اللهم صل على محمد وآل محمد، وصل على أبينا آدم وأمنا حواء وما ولدا من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.... اللهم صل على محمد وآل محمد وبارك على محمد وآل محمد وارحم محمداً وآل محمد كأفضل ما صليت وباركت وترحمت على إبراهيم إنك حميد مجيد...) [١٤]، وهكذا تستمر الصلوات بألفاظ مختلفة لتكون مفاتيح لاستجابة الدعاء فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قَالَ: (إِذَا كَانَتْ لَكَ إِلَى اللَّه سُبْحَانَهُ حَاجَةٌ فَابْدَأْ بِمَسْأَلَة الصَّلَاةِ عَلَى رَسُوله صلى الله عليه وآله ثُمَّ سَلْ حَاجَتَكَ فَإِنَّ اللَّه أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ حَاجَتَيْنِ فَيَقْضِيَ إِحْدَاهُمَا وَيَمْنَعَ الْأُخْرَى) [١٥].

ومن التكرار، تكرار مفردة (اللهم) في بداية أغلب مقاطع أدعيتها ولاسيما في أدعية الأيام إذ تعد هذه المفردة (إعلاناً للتبعية، وإيذاناً سرمدياً بالحاجة الملحة التي تتخذ من علاقة بين الله والإنسان بمثابة انطلاقة روحية تستفرغ جهداً في السلوك المستقيم) [١٦] نحو قولها في دعاء يوم السبت (اللهم افتح لنا خزائن رحمتك، وهب لنا اللهم رحمة لا تعذبنا بعدها في الدنيا والآخرة... اللهم وسع علينا في الدنيا...)[١٧]، وقولها في دعاء يوم الأحد: (اللهم اجعل أول يومي هذا فلاحاً، وآخره نجاحاً، وأوسطه صلاحاً، اللهم صل على محمد وآل محمد واجعلنا ممن أناب إليك فقبلته...) [١٨]، وقد يشكل هذا التكرار نقلة فنية من الذات إلى الموضوع هذا من جانب، ومن جانب آخر يشكل أداة وصل وتلاحم بين الموضوعات[١٩]، وقد تنوعت موضوعات أدعيتها بحسب المناسبة، من ذلك دعاؤها عند دخول المسجد وعند الخروج منه، وأدعية الأيام، ودعاؤها لقضاء الحوائج، ولدفع الشدائد، وللأمر العظيم، وإذا طلع شهر رمضان، وعند النوم، ولدفع الأرق، وبعد فقد أبيها، وتعقيبات الصلوات اليومية، ولطلب المساعدة والمعونة، وغير ذلك [٢٠].

وقد صنفتها الباحثة انتصار عدنان العواد إلى: تعقيبات الصلوات، وأدعيتها في الأوقات، وفي أيام الأسبوع، وأدعيتها لنفسها ولغيرها، ودعائها على ظالميها، وفي طلب الحوائج وكشف الهموم، وللأمر العظيم وكشف الهم، ولتفريج الهم والخلاص من السجن، ولطلب مكارم الأخلاق، ولطلب الشفاء، وأدعيتها عند النوم، وأحرازها[٢١].

السجع والتوازن: لعل من آداب الدعاء

الابتداء بالمدح والتسبيح والحمد والشكر للخالق من ذلك قولها في تعقيب صلاة الظهر: (سبحان ذي العز الشامخ المنيف، سبحان ذي الجلال الباذخ العظيم، سبحان ذي الملك الفاخر العظيم، سبحان من لبس البهجة والجمال، سبحان من تردى بالنور والوقار...)[٢٢]، وقولها (الحمد لله رفيع الدرجات، منزل الآيات، واسع البركات، ساتر العورات، قابل الحسنات، مقيل العثرات، منفس الكربات، منزل البركات، مجيب الدعوات محيي الأموات، إله من في الأرض والسموات، الحمد لله على كل حمد وذكر وشكر وصبر وصلاة وزكاة وقيام وعبادة وسعادة وبركة...)[٢٣]، ولا يخفى على القارئ السجع غير المتكلف في الصياغة الذي أتى على السليقة والبديهة، وما يؤديه هذا السجع من إيقاع منتظم، وهو سمة مميزة للدعاء، ولعل السر الفني وراء ذلك يكمن في طبيعة عنصر التلاوة التي يمتاز بها الدعاء عن غيره فالدعاء لا يُسمع ولا يُقرأ فحسب بل يُتلى فالتلاوة تتطلب إيقاعاً متناسباً مع وحداته الصوتية التي تنتظم في السجع أو التجانس اللفظي[٢٤]. ويعد التسبيح لله تعالى والتحميد والتمجيد له أسلوباً من أساليب الإعداد والتحضير النفسي فمن خلال هذه التقديم يتهيأ الإنسان للإقبال مع الله، والطلب والسؤال من الله[٢٥]؛ لأن حقيقة الدعاء في إقبال القلب على الله فإذا اشتغل القلب بغير الله من شواغل العاجلة لم يحقق حقيقة الدعاء[٢٦].

استعمالها المحسنات البديعية، ومن تلك المحسنات الجناس، وهو تماثل الكلمات لفظاً واختلافها معنى (وهو من الحُليّ اللفظية والألوان البديعية التي لها تأثير بليغ، تجذب السامع، وتحدث في نفسه ميلاً إلى الإصغاء والتلذذ بنغمته العذبة...)[٢٧]، والجناس على أنواع، والناظر في أدعية السيدة الزهراء عليها السلام يجدها تكثر من جناس الاشتقاق - الذي يعني اشتراك لفظتين من جهة الاشتقاق - لبعث الأمن والطمأنينة في نفس الداعي حينما يكون في رحاب المدعو الرحمن الرحيم، الغفور الودود كما ورد ذلك في تعقيب صلاة العشاء في قولها: (اللهم إني عائذ بك فأعذني، ومستغيث بك فأغثني، وداعيك فأجبني، ومستغفرك فاغفر لي، ومستنصرك فانصرني ومستهديك فاهدني، ومستكفيك فاكفني وملتجأ إليك فآوني، ومتمسك بحبلك فاعصمني... اللهم اكفني حسد الحاسدين، وبغي الباغين، وكيد الكائدين، ومكر الماكرين، وحيلة المحتالين، وغيلة المغتالين، وظلم الظالمين، وجور الجائرين، واعتداء المعتدين، وسخط المتسخطين، وتسحب المتسحبين، وصولة الصائلين، واقتسار المقتسرين، وغشم الغاشمين، وخبط الخابطين، وسعاية الساعين، ونمامة النمامين، وسحر السحرة والمردة والشياطين...)[٢٨].

تأثرها بالبلاغة القرآنية والأشكال الفنية القرآنية التي حكاها الله تعالى في كتابه المجيد على ألسنة الصالحين من الأنبياء والملائكة المقربين والعباد المؤمنين إذ نجد تضمينها أدعية قرآنية كما في قولها في تعقيب صلاة العشاء: (**رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا، إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** (الممتحنة:٤، ٥) **وَالَّذِينَ يَقُولُونَ**

رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً إِنَّهَا سَاءتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً (الفرقان:٦٥، ٦٦) **رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ** (الأعراف:٨٩) **رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ** (آل عمران:١٩٤) **رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** (البقرة:٢٨٦) وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين وسلم تسليماً).

الهوامش

١- العين / الخليل بن أحمد الفراهيدي، مادة (دعو) ٢٢٢/٢.
٢- الصحاح / الجوهري مادة (دعا) ٢٣٣٧/٦.
٣- مجمع البحرين / الشيخ الطريحي ٣٨/٢.
٤- التشريع الإسلامي – مناهجه ومقاصده / السيد محمد تقي المدرسي ٢٩١/٤.
٥- ينظر: الإمام الجواد من المهد الى اللحد / السيد محمد كاظم القزويني ٤٥٥.
٦- الصحيفة الفاطمية / محمد تقي دخيل٨٤.
٧- ينظر: المصدر نفسه ٨٣-٨٤.
٨- فاطمة الزهراء – أم الأئمة وسيدة النساء / النائيني ٢٥٠.
٩- بحار الأنوار / المجلسي ٨٢/٤٣
١٠- الصحيفة الفاطمية، مقدمة المؤلف ٨.
١١- الزهراء فاطمة بنت محمد / عبد الزهراء عثمان محمد ٢١٢.
١٢- ينظر: فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد / السيد محمد كاظم القزويني ١٦١.
١٣- الدعاء عند أهل البيت ١٥٤.
١٤- الصحيفة الفاطمية ٩٤-٩٦.
١٥- نهج البلاغة/ أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، الحكمة ٣٦١، ص٦١٦.
١٦- ينظر: أدعية الإمام علي عليه السلام – دراسة تحليلية، بحوث المؤتمر العلمي الدولي الأول لـ (نهج البلاغة) الموسوم – نهج البلاغة سراج الفكر وسحر البيان – ج٥، ص ٩٦.
١٧- الصحيفة الفاطمية ٨٥.
١٨- المصدر نفسه ٨٦.وكذا في دعائها في أيام: الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة.
١٩- ينظر: الإسلام والفن / د.محمود البستاني ١٧٤.
٢٠- ينظر: الصحيفة الفاطمية، ٦٠، و٨٥-١٨٤و، ٢٠٣-٢١١.
٢١- ينظر: السيدة فاطمة الزهراء – دراسة تاريخية / انتصار عدنان عبد الواحد العواد ٦٤٩-٦٦٢.
٢٢- ينظر: صحيفة الزهراء / أسعد عبود ٥٤، وما بعدها، والصحيفة الفاطمية ١٠٦، ومثل ذلك في تعقيب صلاة العصر في الصحيفة الفاطمية ١١٢، وتعقيب صلاة العشاء في الصحيفة الفاطمية ١٢٧-
٢٣- الصحيفة الفاطمية ١٢٨-١٢٩.
٢٤- ينظر: الإسلام والفن ١٧٥.
٢٥- ينظر: الدعاء عند أهل البيت ٩٨.
٢٦- ينظر: المصدر نفسه ٨٤.
٢٧- البديع في ضوء أساليب القرآن/ د.عبد الفتاح لاشين ١٥٥.
٢٨- الصحيفة الفاطمية ١٢٩-١٣٠.

الزهراء عليها السلام ..

الصبر وسمو المقامات

م. رشا حميد الساعدي
كربلاء المقدسة

ينابيع

هناك حقيقة قرآنية مفادها تراتبية الاصطفاء الإلهي ودرجة الابتلاء والاختبار التي يُتحف الله سبحانه بها بعض عباده المُخلَصين لرفع درجاتهم وتكامل ذواتهم، قال تعالى: (**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا، وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**)[1]، هذه الثنائية التي يعقدها القرآن الكريم بين (الصبر على الظلامات ورفع المقامات) تتجلى أعظم ما يكون في شخص السيدة الزهراء عليها السلام، إذ كانت مصداقاً أكمل لها منذ إطلالتها النورانية على ميدان الحياة، وحتى انتقالها إلى بارئها مظلومةً شهيدةً، إنّ سيرورة الذات الفاطمية في ظلال ابتلاءات الحياة وظلاماتها اتجهت في مسارَيْن[2]:

الأول: تكامُل ذاتها المباركة للنهوض بعبء الأدوار الرسالية التي أنيطت بها عليها السلام.

الثاني: رفع مقاماتها وإعلاء درجاتها حتى مرتبة (سيدة النساء العالمين)[3].

إنّ رصداً سردياً لمحطات الصبر وسمو المقامات الفاطمية يوقفنا على مواكبتها عليها السلام إياها منذ خروجها إلى مقام التجلي، ويمكن أن نتتبعها بإيجاز وفق الآتي[4]:

- أشرقت سلام الله عليها على غياهب الحياة في العهد المكي حيث ضاقت الأرض على النبي صلى الله عليه وآله ولاقى أشد ما يكون من ألوان العذاب والبطش والتكذيب والتنكيل حتى قال: (ما أوذي نبي بمثل ما أوذيت)[5]. وصبرت على أذى أبيها.

- الاضطهاد النفسي إبّان حياة أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله من قِبَل بعض أزواجه بالإساءة إلى والدتها خديجة رضي الله عنها وإضمار الحسد والضغينة لها عليها السلام. وصبرت على أذى أمها.

- إيذاؤها عليها السلام بتعييرها ببعلها سيد الأوصياء أمير المؤمنين عليه السلام بفقره وفاقته وضيق ذات يده.

- ابتلاؤها عليها السلام بالفقر الشديد والجوع والعطش وعُسر الحال وصعوبة المعيشة. وصبرها على ذلك.

- الابتلاء بفراق الوالد والزوج بانشغالهما بأعباء الرسالة وحفظ الدعوة وكسر شوكة الشرك والنفاق. صبرها في ذلك وحملهما على الصبر.

- إخبارها - بظلامة ابنَيْها الحسنَيْن عليهما السلام وبمقتلهما - أثناء وبُعيد ولادتهما.

- مَشاق أعباء البيت والنهوض بأعماله حتى مجُلت يداها من الطحن بالرحى، وتقشّر وجهها من الخبز بالتنور. وعزاء نفسها بالصبر.

- الأذى الجسدي البالغ لزوجها أمير المؤمنين عليه السلام في الحروب والمعارك النبوية حتى كان يأتيها مُثخناً بالجراح ومثقلاً بالآلام والمتاعب.

- تآمُر المنافقين على أبيها صلى الله عليه وآله وبعلها عليه السلام.

- تمرّد بعض صحابة أبيها على أوامره صلى الله عليه وآله وتبليغاته بتنصيب بعلها أمير المؤمنين عليه السلام خليفةً من بعده وإماماً للناس.

- تآمُر بعض زوجات أبيها صلى الله عليه وآله على أبيها وعليها وعلى بعلها.

- مصابها بمرض أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله.

- مصابها الأعظم وبلاؤها الأكبر بفقد رسول الله صلى الله عليه وآله.

- مصابها بانقلاب صحابة أبيها صلى الله عليه وآله وتجاهلهم لدفنه وتجهيزه وانشغالهم بتقاسم مناصب الخلافة في مؤامرة السقيفة.

- ظلامتها بغصب خلافة بعلها أمير المؤمنين وإنكار حقه وجحد بيعته.

- ظلامتها بغصب نحلتها النبوية (فدك) قسراً.

- ظلامتها بتجاوز حرمتها وتهديدها وبعلها بأقصى إجراء عنفي وتعسفي ممكن وهو الإحراق.

- ظلامتها بمداهمة دارها وجمع الحطب حوله وإشعال النار فيه.

- ظلامتها باقتحام حرمة بيتها المقدّس من دون استئذان ولا استئناس، على حين كان أشرف الكائنات صلى الله عليه وآله لا يدخله حتى يستأذن.

- ظلامتها بإسقاط جنينها وقتل طفلها في أبشع ما يمكن من جريمة ضد الإنسانية.

- ظلامتها بالإيذاء الجسدي بكسر ضلعها عليها السلام.

إنّ هذه السيرة المتتابعة من الظلامات والابتلاءات والمِحَن وما خفي علينا من مصائبها أعظم، إلى الحد الذي قالت فيه[٦]:

صُبّت عليّ مصائبٌ لو أنها
صُبّت على الأيام صرنَ لياليا

وكلها قد توافرت وتعاضدت ومن ورائها إرادة السماء لتكامل شخصيتها ورفع مراتبها ودرجاتها وإعدادها للنهوض بأعباء الرسالة مع أبيها صلى الله عليه وآله وبعلها.

إنّ آثاراً عظيمة ومعطيات جسيمة كبرى قد ترتبت على اصطفائها عليها السلام بهذه الابتلاءات، تجلت كأبين ما يكون في المقامات التي أطلقها رسول الله صلى الله عليه وآله عليها، ومن أبرزها[٧]:

- الحوراء الإنسية.
- أمّ أبيها.
- الراضية المرضية.
- المحدَّثة، أي التي كانت تحدثها الملائكة كما كانت تحدّث مريم عليها السلام.
- والمحدِّثة كانت تحدث أمها وهي جنين.

- روحيَ التي بين جنبَي.
- بضعةٌ مني.
- يؤذيني ما يؤذيها.
- يغضبني ما يغضبها.
- سيدة النساء أجمعين من الأولين والآخرين.
- البتول.
- الزهراء.

ولعل أعظم مقام بينه النبي صلى الله عليه وآله للزهراء عليها السلام قوله: (إن الله يغضب لغضب فاطمة، ويرضى لرضاها)[٨]، حيث جعل رضا الله سبحانه تابعًا لرضاها. ورضاها علامة لرضا الرب - عز وجل - ويستتبعه على نحو العلة والمعلول والسبب والنتيجة.

إنّ هذه الشبكة الإلهية من الصبر والتصبر والمقامات الرفيعة والدرجات تكاملت في الذات الفاطمية فجعلت منها حُجةً على الخلق بل حجة على بنيها من سادة الخلق كما ورد عنهم عليهم السلام: (نحن حجج الله على الخلائق، وأمّنا فاطمة حجة الله علينا)[٩].

ويمكننا رصد أهم الأدوار الرسالية والأعباء التنموية التي نهضت بها مولاتنا الزهراء عليها السلام كما يأتي[١٠]:

- دور البنت المثالية التي وصلت مع والدها الرسول صلى الله عليه وآله إلى مقام (أمّ أبيها)[١١] في ظاهرة متفردة على مستوى تاريخ النساء منذ حواء وحتى يرث الله الأرض ومن عليها.
- دور الزوجة الأنموذج والمثال والمصداق الأكمل.
- دور الأم المثالية التي أخرجت للدنيا أعظم نجلَيْن عرفتهما البشرية الإمامَيْن الحسنين سيدَي شباب أهل الجنّة. والبنت التكاملية التي أهلتها لان تكون البطلة الرسالية ولتكمل نهضة أخيها أبي الشهداء، ولولاها لعُفيَ أثر هذه النهضة العملاقة ولفقدت قيمة خلودها.
- دور المربية الصالحة في إعداد أفراد بيتها حتى على مستوى فضة الخادمة

التي اتفق المؤرخون على أنها لم تكن تتكلم إلا بالقرآن.

- دور المبلغة الرسالية المُثلى في حمل رسالة أبيها السماوية إلى بنات جنسها. وكذلك دور المعلمة الفقيهة.

- دور الثائرة على الظلم والانحراف والانقلاب والرِدّة التي نجمت بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله.

- دورها عليها السلام في قيادة المعارضة السلمية في مجابهة النفاق والظلم والاضطهاد السلطوي.

- دورها عليها السلام في نصرة الإمام والمطالبة بحقه المسلوب وخلافته المغتصبة.

- دورها في الحفاظ على حياة الإمام وإيثارها وجوده على وجودها، حتى ذهبت شهيدة كأول فدائية في سبيل الإمامة الإلهية.

- دورها عليها السلام في تنشئة الجيل الصالح من النسوة المثليات والمؤمنات الرساليات.

وهكذا وكما نلاحظ فإنّها سلام الله عليها مثلت المصداق الأكمل لكافة أدوار المرأة وأخطر أدوار الرجل، من البنت إلى الأخت إلى الزوجة إلى الأم إلى المربية إلى المبلغة إلى الثائرة المجاهدة إلى أجلٍ مقامات العظمة ودرجات القرب الإلهي وذلك حين توّجها الله تعالى بتاج الشهادة وخصها بذلك دون نساء العالمين، إلا ما كان من أمر آسيا بنت مزاحم، والزهراء عليها السلام سيدتها، بل سيدة مريم بنص الحديث النبوي[12].

فسلام الله عليها يومَ أشرقت بنورها الأزهر على دياجير الحياة، ويوم تحمّلت وصبرت ورابطت على مكاره الدهر وبلاءاته وظلاماته العظمى، ويوم اصطفاها ربها عز وجل بالشهادة وختم لها بالسعادة الأبدية، ولعن الله ظالميها وغاصبيها حقها وجاحدي مقاماتها والساكتين على ظلاماتها، ورزقنا تعالى شفاعتها وصحبتها ورؤية نور وجهها في الجنة.

---

(١) سورة السجدة، ٢٤.

(٢) انظر: محمد بيومي، السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، ط٢، ١٤١٨هـ، طهران، ص١١٠ .

(٣) انظر: الكليني، الكافي، ٤٥٩/١. احمد بن حنبل، مسند احمد، ٢٨٢/٦.

(٤) للتوسعة ينظر: عبد المنعم حسن، بنور فاطمة اهتديت، دار المعروف، بيروت، ١٩٩٨م، ص٧٣ ، علي الميلاني، مظلومية الزهراء عليها السلام، مركز الأبحاث العقائدية، قم، ١٤٢١هـ، ص١٢.

(٥) المجلسي، بحار الأنوار، ٥٦/٣٩.

(٦) المجلسي، بحار الأنوار، ١٠٦/٧٩.

(٧) للتوسعة في مدلول هذه الأسماء المباركة ينظر: مستدرك سفينة البحار/علي النمازي الشاهرودي ١٧٣/٥...اللمعة البيضاء/التبريزي الأنصاري ص٩٥...شرح إحقاق الحق/السيد المرعشي ٢٥٥/٣٣...الأسرار الفاطمية، محمد فاضل المسعودي ص٣٧٧، وغيرها.

(٨) المجلسي، بحار الأنوار، ٢٧٩/٢١.

(٩) للتوسعة في دلالة هذا الحديث الشريف انظر: محمد فاضل المسعودي، الأسرار الفاطمية، ص١٧.

(١٠) انظر: مظلومية الزهراء عليها السلام/ علي الميلاني ص٣٣... بنور فاطمة اهتديت/عبد المنعم حسن ص٥٢.

(١١) المجلسي، بحار الأنوار، ١٠٦/٧٩.

(١٢) فقد سُئل النبي صلى الله عليه وآله أهي سيدة نساء عالمها؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله: (ذاك لمريم بنت عمران، فأما ابنتي فاطمة فهي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين..) الأمالي/ الصدوق ص٥٧٥.

بداهة شاعر..

* روي أن الخليفة المستنصر العباسي خرج يومًا إلى زيارة قبر سلمان الفارسي (سلام الله عليه) ومعه السيد ابن الأقساسي فقال له الخليفة في الطريق: إن من الأكاذيب ما يرويه غلاة الشيعة من مجيء علي بن أبي طالب عليه السلام من المدينة إلى المداين لما توفي سلمان وتغسيله إياه ومراجعته في ليلته إلى المدينة.

فأجابه ابن الأقساسي بالبديهة بقوله :

أنكرت ليلة إذ صار الوصي إلى ... أرض المدايـن لما أن لها طلبا

وغسل الطُهر سلمانًا وعاد إلى ... عراص يثرب والإصباح ما وجبا

وقلت : ذلك من قول الغلاة وما ... ذنب الغلاة إذا لم يوردوا كذبا ؟

فآصف قبل رد الطرف من سبأ ... بعرش بلقيس وافى يخرق الحُجُبا

فأنت في آصف لم تغل فيه بلى ... في (حيدر) أنا غال إن ذا عجبا

إن كان أحمد خير المرسلين ؟ فذا ... خير الوصيين أو كل الحديث هبا

مجالس المؤمنين/ القاضي المرعشي ص: ٢١٢

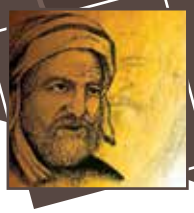

مالك الأشتر
شاعر من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام

فارس رزاق الحريزي •
كاتب وباحث إسلامي

ينابيع

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وقد ذكر عنده مالك: (إنه المؤمن حقاً)[1] وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام لقد كان لي كما كنت لرسول الله صلى الله عليه وآله[2]. وفي كتاب الإمام علي صلى الله عليه وآله لأهل مصر: (إنه سيف من سيوف الله، لا كليل الظُبَّة ولا نابي الضريبة لا يُقْدِمُ ولا يُحجِمُ، ولا يؤخِّرُ ولا يُقدِّمُ إلّا عن أمري)[3].

إنه مالك الأشتر. وما أدراك ما مالك، الذي جعل الطاعة حظّ الأنفس ورضا الربّ، وكان على بينة من حق الإمام علي عليه السلام إذ كان منهله الذي يرتوي منه ومناره الذي يستضاء به في ظلم الطغيان. وكانت نهايته ويا أسفاه في شربة من السم على يدي أعدائه وأعداء الإنسانية والقيم. فتحقق ما تمناه إذ قال يوماً: (يارب اجعل وفاتي بأكفّ الكفرة)[4].

وبدايةً ينبغي علينا أن نضع بصماتنا على أهم الأدوار في حياته الوضّاءة، ومدى امتزاجه بالأحداث المضطربة، ومدى تفاعل شعوره وعاطفته الشعرية والأدبية لما يدور حوله، وتجاربه التي خاضها في خضم لجج البحر المتلاطم من الفتن والمعارك لاسيما واقعة الجمل ومعركة صفين. وممارسة حياته البطولية في تلك الظروف. ولقد شعرت بحقه علينا أن ننشر أخباره وسيرته ولا نخفيها، ولذا ابتغيت توضيح المبهم فيها. بعد أن اطلعت على بعض المخبأ والمجهول من شعره، مضافاً إلى أنه كان من أشراف القوم الذين يملأون العيون أبهة والصدور هيبة، فقد كان كالليث في الشجاعة، والسيف في قراع الخطوب، والتغلب على الشدائد. (فقد جمع الأشتر بين مختلف الكمالات من شجاعة وسياسة، وشعر وخطابة، وحزم ولين، ودين وكرم، ورئاسة وتواضع، حتى بلغ الذروة فيما يؤمِّله الإنسان من الرّقيّ الحضاريّ)[5].

إذ كان على ميمنة الإمام علي عليه السلام في حرب الجمل وقتل الكثيرين من صناديد جندهم، وكذلك كان اللولب المستمر في إدارة حرب صفين إذ قاد جيشاً من الفرسان والمشاة تعداده أربعة

آلاف مقاتل. وقد رفض أن يوقع على صحيفة التحكيم وقيل إنه وقع عليها مضطرًا كما اضطر النبي صلى الله عليه وآله في صلح الحديبية، فرضيَ هو لرضا علي عليه السلام ولو تحت الضغط والجبر [٦] . وأرسله الإمام علي عليه السلام إلى مصر بعد أن تخاذل الناس عنه، ولم ينهضوا معه بعد أن قُتِل واليها من قبله محمد بن أبي بكر. فاحتال معاوية في قتله إذ دسَّ له سمّاً بواسطة رجل من أهل الخراج يسمى الجايستار بعد أن وعده معاوية بعدم أخذ الخراج منه طيلة مدة حياته. فجعل الجايستار هذا السُّمَّ في عسل وسقاه إياه فمات رحمه الله ورحم الله المُتنبي إذ قال:

وما الموت إلّا سارقٌ دقَّ شخصُهُ
يصول بلا كف ويسعى بلا رِجْل

وهكذا اختطفته يد المنون في زَحام الصراع والفتن.

فهلهل معاوية فرحاً وقال: (إنه كان لعلي بن أبي طالب يدان يمينان قطعت أحدهما بصفين يعني عمار بن ياسر ، وقطعت الأخرى اليوم يعني الأشتر)[٧]

ولله درُّ القائل وقد سئل عن الأشتر: ما أقول في رجل هَزَمتْ حياتُهُ أهلَ الشام، وهزمَ موته أهَل العراق.الأشتر شاعراً لا ندري لماذا لم يجمع للأشتر شعره في ديوان مستقل كما جمع لغيره من الشعراء رغم إجادته وإبداعه في الشعر. ومن براعة ومهارة وباع سامق في فن الخطابة. فهل أن ذلك يعود إلى انخراطه في سلك علي عليه السلام وانضمامه تحت لوائه. أم إن الجانب العسكري والسياسي وطغيانهما مما أسدل الستار على شعره. وفي ساعة الجدّ يذكره قومه وكأنه بدر في ليلة ظلماء، سالكاً فيهم سبيل الرشاد، ومن أجل ذلك وقّروه وعظّموه. أو أن شعره ذهب في جملة ما ذهب من دخائرنا ونفائسنا ضحية الحروب والمحن وضحية التتار؟ وهذا من ظروف الدهر المهلكة.

فمن روائع أشعاره، وأبدع مفاخره والتي لم يسبق إليها أحد، أبياته الخالدة التي يحرض فيها على قتال معاوية حيث يقول:

بقيتُ وفري وانحرفتُ عن العلى
ولقيتُ أضيافي بوجهِ عبوسِ

إن لم أشنَّ على ابنِ هند غارةً
لم تخلُ يوماً من نهابِ نفوسِ
خيلاً كأمثال السّعالي شُزَّباً
تعدو ببيضٍ في الكريهةِ شوسِ
حَميَ الحديدُ عليهِم فكأنّهُ
ومضاتُ برقٍ أو شعاعُ شموسِ[٨]

فأعجب بشعره الأدباء قديماً وحديثاً لما فيه من براعة شبهٍ بالأخبار وقسم في تعظيم الشأن، فقال بعضهم:

الخطيب التبريزي: وهذا من الأيْمان الشريفة ولفظ الخَبَر، وظاهرهُ الدّعاء ومحصوله القسم[٩].

وقال أبو علي القالي: ومن أحسن ما سمعت في القسم قول الأشتر النَخعيّ: بقيت وفري .... إلخ[١٠] . والقسم أن يقسم الشاعر على ما يعزم عليه،وهنا كان الأشتر يقول : إذا ادخرت مال ولم أفرقه ،لأن الوفر هو المال الكثير وزهدت في اكتساب المعالي أو العلى وهي الشرف زهدًا وتلقيت الأضياف بوجه كالح إن لم أفعل كذا.

وقال السيد علي خان المدني: ومن الغايات في ذلك قول مالك الأشتر بقّيت وفريّ ...إلخ فتضمن هذا الشعر الوعيد بالقسم بما فيه الفخر العظيم من الجود والكرم والشرف والسؤدد والبسالة والشجاعة[١١]. فلا غروة أن يقال فيه مثل هذه الأقوال، فهو الذي اجتبى علياً عليه السلام دلالة على قدرته في الاختيار، وإنشاده الوسيلة والعبرة وكان على بينة من أمره، وحليم في انتقائه سبيل الهدى والنجاة لذا قال فيه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: كان شديد البأس، جواداً، حليماً، فصيحاً شاعراً[١٢]. وكانت تلك الأبيات من الكامل. وقد تنوع في الشعر وأبدع فيه، فله في الطويل قصائد جميلة. نختر أبيات من بعضها:

أعائش لولا إنّني كنت طاوياً
ثلاثاً لألفيت ابن أختك هالكا
وقالتْ:على أيّ الخصال صرعتهُ
بقتلٍ أتى أم ردَّة لا أبا لكا
أم المحصن الزاني الذي حلّ قَتْلُهُ
فقلتُ لها: لابدَّ من بعضِ ذلكا[١٣]

وفي الطويل أيضاً:

وسار ابنُ حرب بالغواية يبتغي
قتال عليٍّ والجيوش مع الحفل
فسرنا إليهم جمهرة في بلادهم
فَصُلنا عليهم بالسُّيوف وبالنَّبلِ
فأهلكهم ربي وفرَّق جَمْعَهُم
وكان لنا عَوْناً وذاقوا رَدى الخبلِ[١٤]

وله من (الرّجز) الكثير ومن بعضها:-

ويحك يابن العاصي
تنح في القواصي
واهرب إلى الصياصي[*]
اليوم في عراصِ
تأخذ بالنواصي
نحن ذوي الخماص
لانقرب المعاصي[١٥].

أو قوله في الرّجز:

هذا عليٌ في الدُّجى مصباح
نحنُ بذا في فضله فصاح[١٦]

وله من الخفيف قصائد رائعة منها:

كل شيءٍ سوى الإمامِ صغير
وهلاكُ الإمام خَطْبٌ كبيرُ
إنه والذي يحج له الناسُ
سراجٌ لدى الظَّلام منيرُ
من رضاهُ إمامُهُ دخل الجنةَ
عفواً وذنبُهُ مغفورُ[١٧]

وكذلك له من المتقارب قصائد مبدع فيها ومنها:

إنّا إذا ما احتسبنا الوغى
أدرنا الرَّحى بصنُوفِ الحُدُلْ
أبو حسنٍ صوْتُ خيشومِها
بأسيافِه كلُّ حامٍ بطل
على الحقِّ فينا له مَنهجُ
عليواضح القصد لا بالميل[18]

وبالإضافة لموهبته الشعرية فإنه يتمتع بقدرة عالية في الخطابة استطاع أن يخمد بذلاقة لسانه من الفتن العمياء ما أعيا السيف إطفاؤه[19].

وقال الذهبي فيه: كان سيد قومه وخطيبهم [20] ومن روائع خطبه:

الحمد للّه الذي جعل فينا ابن عمّ نبيه، أقدمهم هجرة وأولهم إسلاماً، سيف من سيوف اللّه صبّهُ على أعدائه، فانظروا إذا حَميَ الوطيسُ، وثار القتامُ، وتكسَّر المرّانُ، وحالت الخيل بالأبطال، فلا أسمعُ إلّا غمغمةً أو همهمةً فاتبعونَي وكونوا في أثري[21].

وصفوة الكلام أن مالك بن الحارث النخعي من حواري الإمام علي عليه السلام الخلص وأبطالهم. وقد وظّف كل إمكانياته وعشرته للولي الحق غير آبه بما انتاب الناس من الفتن والهزات، ولا يكتم ذلك الولاء المطلق بل كان داعياً لنصرته بالخطابة والشعر، وبالبطولة النادرة في ساحات الوغى دون وجل أو تردد، بل هو صاعقة الموت على الأعداء. وغالباً ما يكون النصر منه دانيًا، وسيفاً بتاراً على من نكث ومرق، ولا ريب في ذلك لأنه من أولي البأس الشديد، وأصحاب اللب الفريد. وهب كل عطائه إلى ملجئه العظيم إذ اعتاد خوض المنايا بكل جرأة وبسالة مبعداً عن خياله صورة الموت المخيفة. إلّا أنه قد يبلغ الرجل الجبان بماله. وهكذا بلغ معاوية من مالك الأشتر. فأصبح رضوان اللّه عليه كما قال البحتري:

صريعٌ تقاضاه الليالي حُشاشةً
يجود بها والموت حُمْرٌ أظافره(*)

---

(١) أعيان الشيعة ج٩، ص٤١ .
(٢) رجال العلامة ص١٦٩.
(٣) نهج البلاغة ج١٦، ص١٥٦ .
(٤) صفين، ص٤٢٩ والفتوح ج٢، ص٤٠، ومناقب ابن شهر آشوب ج٣، ص١٧٠ .
(٥) ديوان مالك الأشتر، قيس العطار، ص٤١ .
(٦) نفس المصدر السابق.
(٧) نفس المصدر السابق.
(٨) أنوار الربيع ج٣، ص٢١٠ وشرح ديوان الحماسة ج١، ص٧٥- ٧٧ .
(٩) شرح ديوان الحماسة لأبي تمام ج١،ص٧٦ .
(١٠) أمالي أبي علي القالي ج١، ص٨٥ .
(١١)أنوار الربيع في أنواع البديع ج٢، ص٢١١ .
(١٢)شرح النهج ح١٢، ص١٠١- ١٠٢ .
(١٣) وفيات الأعيان ج٧، ص١٩٦ وأعيان الشيعة ج٩، ص٤٢ .
(١٤) صفين، ص١٧٦ والفتوح٢، ص٤٩.
(*) الصياصي: الحصون
عراص: ساحة
ذوي الخماص: أي أصحاب البطون الخماص لأنهم صيام، ويمكن أن يريد بها الخيل
(١٥) الرجز في صفين ص١٧٠ والفتوح ٢، ص١٠.
(١٦)الرجز في مناقب ابن شهر آشوب ج٣، ص١٦١.
(١٧)- الفتوح٢، ص١٣٤.
(١٨)- الأبيات في صفين ص١٩٣- ١٩٤ والفتوح ج٢، ص٢٢- ٢٣.
(١٩) أعيان الشيعة ج٩، ص٣٨.
(٢٠)العبر في خير من غبر ج١، ص٣٢.
(٢١) صفين، ص٤٧٤.
(*) الصريع: المطروح على الأرض، وتقاضاه: هو من قولهم تقاضى الدائن دينه إذا قبضه، والحشاشة، بقية الروح في المريض أو الجريح، يصفه بأنه ملقى على الأرض يلفظ أنفاسه الأخيرة من حياته.

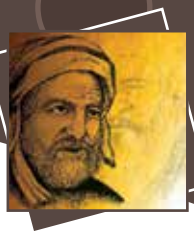

الشيخ خضر الجناجي
(١١٠٩-١١٨١هـ)

الشيخ حميد البغدادي ●
أستاذ في الحوزة العلمية

ينابيع: من العلماء الأتقياء والبارزين في القرن الثاني عشر الهجري ينتسب إلى عائلة عربية عريقة في الفرات الأوسط.

نسبه:

الشيخ خضر بن يحيى بن مطر بن سيف الدين المالكي الجناجي، والمالكي[١] نسبة إلى مالك الأشتر النخعي وهو من حواريي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وانتساب الشيخ خضر إلى بني مالك معروف مشهور نظمه شعراء عصره[٢].

والجناجي نسبة إلى جناجية أو جناجيا وهي قرية من قرى الحلة، وأصل اسمها قناقيا ويلفظها العرب جناجيا على قاعدتهم في إبدال القاف جيمًا[٣].

المالكي[٤] نسبة: إلى بني مالك إحدى قبائل العراق وهم الآن المعروفون بآل علي، وهم طائفة كبيرة بعضهم الآن في نواحي الشامية وبعضهم في نواحي الحلة. وفي كتاب أنساب القبائل للسيد مهدي القزويني بنو مالك في العراق اسم لبني زريق وبني علي والعوابد وبني الحسناء. أعيان الشيعة/ السيد محسن الأمين: ١٥/٤١٣ والمشهور أن نسبة المالكي ـ كما أشرنا ـ تعود إلى قائد جيش الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام مالك بن الأشتر النخعي[٤].

قال المرحوم السيد صادق الفحام (١١٢٤ ـ ١٢٠٤ هـ) راثياً الشيخ حسين ابن الشيخ خضر:

يا منتهي فخراً إلى مالك
ما مالكي إلاك في المعنيين

أراد بقوله في المعنيين أي مالكي النسب ومالكي في المودة والأخاء

وقال الشيخ صالح التميمي الحلي (١١٩٠ ــ ١٢٦١ هـ) مهنئًا الشيخ محمد ابن الشيخ الأكبر وقد تزوج بامرأة من شيوخ آل مالك ورؤسائهم الذين كانوا في الدغارة:

رأى درة بيضاء من آل مالك
تُضيء لغواص البحار ركوب
رأى انه أولى بها لقرابة
تضمهما أصلاً لخير نجيب[٥] أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين:ج٦: ٤٤٥. وانظر: روضات الجنات، الخوانساري: ٢:٢٠٣، كشف الغطاء، الشيخ جعفر كاشف الغطاء: ٦، ١:٥، ماضي النجف وحاضرها، الشيخ جعفر محبوبة: ٢:٢٠٦.

وأسلاف الشيخ خضر يقيمون في تلك القرية ولهم هناك بساتين وأراض زراعية لا تزال تحت تصرف أبنائهم، وهم من فصيلة تعرف بآل فرج من آل (علي) بكسر العين، وهم طائفة كبيرة بعضهم الآن في نواحي الكوفة والشامية.

وقد اشتهر اسم جناجيا بانتساب الشيخ خضر إليها، وقد أشار ابنه الشيخ الأكبر الشيخ جعفر كاشف الغطاء إلى هذا الأمر فقال: (وما ظهر اسم جناجية إلا بظهور والدي حيث خرج منها إلى النجف واشتغل بتحصيل العلم).

ويعتبر الشيخ خضر المؤسس لأسرة آل كاشف الغطاء وغيرها من الأسر العلمية، وقد تخرج من أولاده وأحفاده عشرات العلماء والمجتهدين والفضلاء الناسكين.

هجرته إلى النجف ومنزلته العلمية:

هاجر الشيخ خضر الجناجي إلى بلد العلم والهجرة النجف الأشرف، وطلب العلم فيها وحضر على فضلائها حتى صار فقيهًا مجتهدًا، وقد حضر الفقه على العالم العابد السيد هاشم النجفي المعروف بالحطاب، وعاصر العالم المولى السيد شبر بن محمد بن ثوان الموسوي الحويزي النجفي (ت١١٧٠هـ)، وقد كتب رسائل في الفقه وكراريس.

ويقول عنه حفيده الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في العبقات: (كان فقيهًا متبتلًا، وزاهدًا لا منحرفًا إلى الدنيا، ولا في شهواتها متنقلًا، هجرها هجر الجافي الملول، وسلك فيها طريقة آل الرسول من الذل فيها لله والخمول، لعلمه بارتحاله عنها وتقويضه، وإبداله منها وتعويضه، فنظرها بقلبه لا بعينه، فقذف الله نور المعرفة بقلبه، حتى تغرّب عن قشيب ربعه وشعبه، وعاف العز والشرف، وألقى عصا التيار في بعض زوايا النجف، واشتغل في تحصيل العلوم اشتغال من أنهكته علة التقى، وأهلكته الرغبة في الفنا والزهادة في البقا، فلم يكن له جهد سوى الزهد، ولا عادة إلا العبادة، ولا وظيفة إلا الخفية، فلذلك لم يتضلّع في العلوم تضلّعاً معلومًا، والأصح أن السبب فيه عدم استقامته في النجف مدة شاسعة، حتى انتقل أبوه إلى رحمة الله الواسعة، فأكثر الالتماس منه بعض أعيان أقاربه وذويه أن ينتقل إليهم فيجلس مجلس أبيه، فلم يكن له بد من الإجابة، فكان يقضي أيامه وأعوامه، نصفها يتشرف بها في النجف ونصفها يتشرف بها محله ومقامه، حتى أربى عمره على ستين سنة، فتجرد لله كليّة وخلّى وطنه، فأغراه الشوق وحركه إلى الغري تقاه، فسكن إليه وألقى به عصاه، وعاد إلى ما كان عليه من التقدس حين قالت له النفس بالتفرس.

أكملت في ذا العام ستين سنهْ
مرت وما كأنها إلاّ سنهْ
لم تدخر فيها سوى توحيده
وغير حسن الظن فيه حسنهْ
ما حال من لم يتعظْ بزاجر
وفي مراعي اللهو أرخى رسنهْ
وإنْ شر الناس من طالت به
حياته وفعله ما أحسنهْ
وإنما الناس نيام من يَمُتْ
منهم أزال الموت عنه وسنهْ

فجعل يتضلّع بعبادة ربه، ويشتاق السكون إلى رحمته وقربه. وكان معظّمًا في أنفس العلماء كبيرًا في أعين العظماء).

مكانته بين العلماء والكرامات المنسوبة إليه:

كان للشيخ خضر منزلة عظيمة ومكانة مهمة بين الناس والعلماء فقد ذكر أن الناس كانت تزدحم على الصلاة خلفه، وأنَّ علماء ذلك العصر كالسيد العابد الزاهد العالم المشهور السيد هاشم الحطاب كانوا يجلّونه غاية الإجلال ويقدمونه على غيره، وقد قال السيد هاشم الحطاب في حقه: (من أراد أن ينظر إلى وجه من وجوه الجنة فلينظر إلى وجه الشيخ خضر).

ولمّا حَضرت السيد الوفاة أوصى أنْ يقف على غسله الشيخ خضر. وكان محترماً عند العلماء مقدمًا وكانت الناس تبجّله وتثق به كل الوثوق لأنه كثير الورع والعبادة مشهورًا بالتقى والصلاح، وقد نسبت له الكثير من الكرامات.

أبناء الشيخ خضر الجناجي:

أعقب الشيخ خضر أولادًا أربعة، علماء وأدباء وهم:

١ـ الشيخ جعفر المشهور بالشيخ الأكبر (ت ١٢٢٧ هـ)صاحب كتاب (كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء)، وهو أعظمهم علمًا وشأنًا وجد أسرة آل كاشف الغطاء.

٢ـ الشيخ محسن وكان مجتهداً محققاً وهو من تلامذة أخيه الشيخ جعفر وقد

توفي بعده، والشيخ محسن هو جد الشيخ راضي (حدود ١٢٢٠- ١٢٩٠ هـ)[٦] مؤسس الأسرة المعروفة بآل الشيخ راضي.

٣- الشيخ حسين وهو عالم مجتهد وفقيه متفرّد[٧]، وأحفاده اليوم يعرفون بآل الشيخ خضر.

٤- الشيخ محمد وهو جد أسرة آل الشيخ عليوي.

وأصبح كل واحد من أولاده الأربعة أبًا لأسرة في النجف وخارجها: آل كاشف الغطاء، وآل الخضري، وآل شيخ راضي، وآل شيخ عليوي. وإن ذرية الشيخ خضر لا تحصى ولا تستقصى قد ملؤوا البقاع والأصقاع.

وفاته:

توفي الشيخ خضر الجناجي في رجب سنة (١١٨٠هـ) ودفن بالرواق المبارك في الحجرة المحاذية لحجرة قبر المقدس الأردبيلي(ت ٩٩٣هـ).

يقول الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء(١٢٩٤- ١٣٧٣هـ) في العبقات: (حدثني بهذا عمي العباس ابن العلامة الحسن بن جعفر قال: كنت أدخل مع أبي للزيارة وأنا صغير فإذا خرجنا عكف أبي على المكان الذي هو خلف القبر الأردبيلي فوقف هناك وقرأ الفاتحة وأمرني بذلك، فسألته يومًا لمن تقرأ يا أبت؟ فقال: لجدك، فقلت: أو ليس قبر جدي بإزاء دارنا؟ فقال: نعم هذا جدك الخضر وذاك جدك جعفر)[٨].

أحد عظماء الفقهاء ومشاهير العلمّاء في عصره ، بل يقال له : فقيه العراق (على حد تعبير الشيخ حرز الدين في المعارف) ، وألقت إليه الزعامة الدينيّة والرئاسة العلميّة مقاليدها وأذعن الكلّ له بالفقاهة والتّحقيق[٩].

ذكره الشيخ البادكوبي في كتابه نقد العلماء وقد أطنب في ذكره غاية الإطناب وأعجب بعلمه وتقاه غاية الإعجاب.

وكان الشيخ خضر محبوب الجانب كثير الأصدقاء في الله، فلما توفي كثر الصراخ والعويل عليه لكثرة أحبائه وأولاده وأقاربه فقال السيد صادق الفحام (رحمه الله) يرثيه ببيتين أنشأهما في الحال، وقيل كتبهما على الصخرة التي هي على القبر وهما:

يا قبرُ هل أنت دار مَنْ حَويت ومَنْ
عليه حولُك ضجَّ البدو والحضر
أضحى بك الخضر مرموساً ومن عجب
يموت قبل قيام القائم الخضرُ

١- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، محمد باقر الموسوي الخوانساري، المطبعة الحيدرية ، طهران.

٢- العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية، الشيخ محمد حسين كاشف لغطاء، مكتبة كاشف الغطاء، النجف الأشرف، ١٤٢١هـ.

٣- ماضي النجف وحاضرها، الشيخ جعفر الشيخ باقر آل محبوبة، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ط٢، ١٣٧٨هـ.

٤- معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء، الشيخ محمد حرز الدين، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ.

٥- مشاهير المدفونين في الصحن العلوي الشريف، كاظم عبود الفتلاوي.

٦- أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، دار التعارف - بيروت.

٧- مشهد الإمام ، محمد علي جعفر التميمي، مطبعة دار النشر والتأليف في النجف.

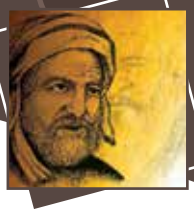

الشيخ محمد الطرفي.. صرح المعارف في الهندية

أحمد الكعبي •
مدير تحرير مجلة السفير

ينابيع

لمدينة الهندية تاريخ وأمجاد وبطولات تركت أثرًا على أطباع أبنائها الأخيار، فقد برز فيها العديد من رجالات العلم والفضيلة والسياسة والشعر والأدب والخطابة والبلاغة، وكذلك ذكر المؤرخون تضحيات رجالاتهم ضد المستعمرين والإنكليز المعتدين.

وكان من أبرز الشخصيات الدينية التي كانت محوراً مهماً بين أهالي الهندية والمرجعية الدينية سماحة العلامة الحجة الحاج الشيخ محمد الطرفي قدس سره.

هو الشيخ محمد بن الشيخ إبراهيم بن شلال بن عبد الله الطرفي الكناني[1]، ولد عام ١٩١٠م في المنطقة الواقعة على الضفاف الغربي من الطريق المعبد بين

التقطت الصورة عام ١٩٦٧م في مكتبة الحكيم في قضاء الهندية للحلقة التدريسية التي كان يدرسها الشيخ الطرفي(قدس)
١ـ الشيخ محمد ابراهيم الطرفي ٢ـ وهاب ملا محمد الكاتب ٣ـ كاظم شيخ جواد ٤ـ محمد عجة ٥ـ ناظم عبيدة الوزير ٦ـ هادي شيخ جواد
٧ـ حميد عبيد محمد المؤذن ٨ـ يعسوب القزويني ٩ـ فؤاد ناجي الوزير

قضاء الهندية (طويريج) وكربلاء المقدسة وعلى الضفاف الشرقي من نهر (أبو سفن) أراضي الدخانية الشرقية وتعرف المنطقة اليوم (الحاج عوفي)[٢].

امتاز الشيخ الطرفي بفطنته وذكائه منذ صغره فكان من أبرز أقرانه في الدروس القرآنية وعند الكتاتيب (الملا) آنذاك، ثم تدرج بعد ذلك في درجات طلب العلم فأخذ المقدمات والسطوح والبحث الخارج في الفقه والأصول في الحوزة العلمية في كربلاء المقدسة، حيث إن الشيخ الطرفي كان يذهب إلى الحوزة سيراً على الأقدام إذا ما تعذرت عليه واسطة النقل آنذاك.

كان من أبرز أساتذته العلامة الكبير الحجة السيد محمد السيد عبود السيد جودة المحنة قدس سره والعلامة الشيخ محمد داوود الخطيب قدس سره والعلامة السيد أغا مهدي القمي قدس سره أما حضوره البحث الخارج فكان عند المرجع الديني آية الله العظمى السيد مهدي الشيرازي قدس سره، بعد ذلك انتقل إلى مدينة العلم والعلماء النجف الأشرف فحضر عند المرجع الديني الكبير والإمام السيد محسن الحكيم قدس سره فقهاً وأصولاً.

انتخبه زعيم الطائفة سماحة المرجع الديني السيد الحكيم قدس سره ليكون وكيلاً له في مدينته الهندية لما لديه من مؤهلات جعلت منه ممثلاً ووكيلاً للإمام الحكيم قدس سره في قضاء الهندية، ثم بعد المرجعية الدينية للإمام الحكيم قدس سره انتخب من قبل زعيم الحوزة المرجع الديني السيد الخوئي قدس سره ليكون وكيلاً مطلقاً في منطقة الفرات الأوسط، وبعده المرجع الديني السيد السبزواري قدس سره، ومنها أيضًا في عام ١٣٩٠هـ منحه الإمام السيد الخميني قدس سره وكالة عامة مطلقة، كما أنه حصل على أجازات عديدة في الرواية حيث منحه المرجع الديني السيد محمود الشاهرودي قدس سره إجازة في الرواية، وكذلك منحه المرجع الديني السيد عبد الله الشيرازي قدس سره، والعالم الرباني الحجة السيد يوسف الخراساني الحائري قدس سره، وأجازه أيضًا المرجع الديني السيد مهدي الحسيني الشيرازي قدس سره، وكذا المرجع الديني الحجة الشيخ علي الغروي قدس سره.

عُرف عن الشيخ الطرفي قدس سره - رغم مشاغله الكثيرة - اهتمامه بالبحث والتدريس وقضاء حوائج الناس والسعي في خدمتهم وكذلك صدرت له عدّة مؤلفات أغنى بها المكتبات الإسلامية والعربية، وبعضها اتخذ مادة تدرّس في الحوزات العلمية في النجف الأشرف وكربلاء المقدسة منها (التحفة الطرفية في توضيح وتكميل شرح الأجرومية في النحو)، ومن أبرز مؤلفاته المطبوعة:

١- متاع الآخرة في القرآن والأنبياء والعترة الطاهرة عليهم السلام.

٢- التحفة الطرفية في توضيح وتكميل شرح الأجرومية في النحو.

٣- رياض الأدب من حكميات وأمثال العرب/ ج١- ج٢.

٤- غصن البان في معرفة تجويد القرآن وفوائد أخرى.

٥- لآلئ الكلام بوقائع الأيام.

٦- هداية الإخوان إلى أدعية القرآن.

٧- حواريو أهل البيت عليهم السلام.

٨- المسائل الدقيقة في الأُضحية والعقيقة وبدع العوام.

٩- إنسان العين في حديث الثقلين.

أما مخطوطاته فهي:

١- مختصر معدن البكاء في مصيبة خامس أصحاب الكساء.

٢- كتاب الفؤاد من الأخبار والقصائد.

٣- الدرة البيضاء في نسب أبناء الزهراء.

٤- أنيس الجليس.

٥- قبيلة بني طرف الكنانية وفروعها العشائرية.

٦- كشف الظلام عن بدع العوام.

بالإضافة إلى انشغاله في طلب العلم والتأليف إلا أن الشيخ الطرفي قدس سره كان من الشعراء المجيدين الذين ينظمون في مناسبات أهل البيت عليهم السلام، ومن قصائده الرائعة والمميزة بمفرداتها وأبياتها في حق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام[٢]:

أمير المؤمنين أبا حسين
هنا وهناك لي أنت الأمير
أهواك يا رمز العدالة والتقى
مولاي أنت وحبك الأكسير
جعلت ولاك يوم الحشر ذخراً
به من كل هول أستجير
لولاك ما عرفت رسالة أحمد
لولاك ليس لنهجها تأثير
بحبك نلت غايات الأمالي
وحل بساحتي الخير الكثير

هــو الأكبر يــوم الدين يعلو
لــه بصحيفة الأعمــال نور
علوت بســاحتها كل المراقي
وفي يوم الحســاب لي نصير
أيــا حامي الجــوار لكل جار
أيفــزع واحــدًا منــا نكيــر
أفخــر المتقين لأنت فخري
وفخــر العبد ســيده يصير

إلى أن يقول:

وأنت أبو الأرامــل واليتامى
وأنــت صميدع كهــف مجير
فليتك حياً في حوادث كربلاء
فتــرى بناتك مالهن ســتور
وإليك زينب ثاكل تدعو بقلب
يصــدع الصــم الصخــور

بعد معاناة مريرة مع المرض الشديد، وصــراع دام ســنين طــوال، وصبر تكلل بدرجــات القبول لدى رب العزة والجلالة هوى صــرح المعارف في قضــاء الهندية الشــيخ محمد الطرفــي قدس سره تــاركًا الحياة الزائلــة وملاقيًا ربــه بالإيمــان والجهاد والعنــاء، توفي في الأول من تموز ســنة ٢٠٠٢م، وشيع تشييعا مهيبًا:

ساروابنعشككالطوفانمشتعلاً
كأنه الحشر قد بانت معالمه

وأقيمــت مجالس الفاتحــة على روحه إلى يوم أربعينه[٤]..

---

(١) التحفة الطرفية، ط٢، ص١١.
(٢) المصدر نفسه ص١٢.
(٣) متــاع الآخرة فــي الأنبياء والعتــرة الطاهرة، ط٢، ص٢٦٧.
(٤) فقيه الهندية الشــيخ محمد الطرفي في ســفر الخلود. علي محمد الحسناوي.

من شعر الحكمة..

قال أحد الحكماء:

لســانك لا يُلقيك في الغــيِّ غيرهُ ... فإنك مأخــــوذٌ بما أنت لافــظُ
ولا يملك الإنسان رجعًا لِما مضى ... ولو جَهِدَتْ فيهِ النفوسُ اللّوافظُ
ولن يُهلكَ الإنسان إلا لســــانهُ ... فهل أنت مما ليــس يُعنيك حافظُ

وقال آخر:

احفــظ لســانــك لا تبُحْ بثلاثةٍ ... سِــرٍّ ومالٍ ما استطعتَ ومذهبِ
فــعلى الثــلاثة تبتلى بــثلاثــــة ... بمكَفِّــرٍ وبحاســـدٍ ومُكَــذِّبِ

المنهج التربوي عند الإمام الصادق عليه السلام

- رؤية تحليلية -

د. نجم عبد الله الموسوي •
كلية التربية/ جامعة ميسان

ينابيع

من خلال استعراض أهم مصدرين في التشريع الإسلامي (القرآن الكريم والسنة المطهرة) نجد أن الإسلام الحنيف يؤكد تأكيداً كبيراً أهمية التربية والتعليم في بناء الفرد والمجتمع، ونلاحظ العديد من الآيات الكريمة فضلاً عن العديد من الأحاديث الشريفة للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام التي تحضّ على طلب العلم واكتساب المعرفة، لاسيّما الإمام الصادق عليه السلام الذي هو محور البحث، باعتباره كاشفًا عن أبعاد المدرسة التربوية الإسلامية فضلاً عن مدرسته الفقهية المتميزة، نرى في أقواله الشريفة أنه أعطى للتربية مكانة مرموقة ومتميزة جعل منها الركيزة الأساسية في تكوين شخصية الفرد وصقلها ليكون فردًا مسلماً صالحاً داخل المجتمع الذي يعيش فيه.

قبسات من النظم التربوية عند الإمام الصادق عليه السلام:

من خلال استعراض بعض الأحاديث الشريفة للإمام الصادق عليه السلام ـ على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر ـ نجد أن هذه الأحاديث يكمن في مضمونها مجموعة من النظم التربوية والأخلاقية العالية المضامين والتي تعطي فلسفة واقعية موضوعية ذات صلة بالمنهج التربوي السماوي الذي جاءت به الرسالة المحمدية السمحاء، ومن هذه النظم، ما يأتي:

١. تربية النفس وزجرها:

قوله عليه السلام: (لَا تَدَعِ النَّفْسَ وهَوَاهَا فَإِنَّ هَوَاهَا فِي رَدَاهَا وتَـرْكُ النَّفْسِ ومَا تَهْوَى أَذَاهَا وكَفُّ النَّفْسِ عَمَّا تَهْوَى دَوَاهَا)[1].

إن الإمام الصادق عليه السلام يرى أنه من الضروري واللازم أن يعمد الإنسان إلى

تربية نفسه، بعد أن يكون للوالدين والأسرة التي يعيش فيها الفرد دورٌ فاعلٌ في صياغة وتربية وتهذيب نفسه، وبلا شك إن النفس البشرية لا بد من أن تربى ويُعتنى بها في كل مرحلة من مراحل العمر وليس فقط في مرحلة الطفولة، وبذلك يكون ردعها وزجرها عن كل ما هو خارج عن حدود الله، وبالتالي يكون للفرد سيطرة على نفسه وهواها.

٢. التفكر المستمر:

قال الإمام الصادق عليه السلام: (أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ إِدْمَانُ التَّفَكُّرِ فِي اللَّهِ وَفِي قُدْرَتِهِ)[٢]، وقال عليه السلام: (التَّفَكُّرُ حَيَاةُ قَلْبِ الْبَصِيرِ كَمَا يَمْشِي الْمَاشِي فِي الظُّلُمَاتِ بِالنُّورِ بِحُسْنِ التَّخَلُّصِ وقِلَّةِ التَّرَبُّصِ)[٣].

هذان الحديثان ضمن عدد من الأحاديث التي جاءت تؤكد التفكر والتفكير المستمر للإنسان في عظمة الله وبديع صنعه وكذلك جميع ما يقوم به الإنسان من أعمال ونشاطات في حياته، صغيرها وكبيرها، باعتبار أن جميع أعمال الإنسان عبادة، وأفضل هذه العبادة هي إدمان التفكر والتفكير وتنشيط العقل.

والنظريات التربوية الحديثة ومنها النظرية البنائية والنظرية المعرفية، ترى أن التفكر والتفكير وما وراء التفكير وما وراء المعرفة كلها من ضروريات التعلم والتربية الصحيحة الناجحة.

وبينت العديد من البحوث والدراسات التربوية أن للتفكير أهمية بالغة الأثر في نفوس المتعلمين، من خلال زيادة الدافعية الذاتية لديهم لغرض التعلم وتمكينهم من التفاعل داخل الصف الدراسي بصورة فعالة وواضحة، ومواجهة العقبات والصعوبات التي تعترض طريقهم في اكتسابهم للمعلومات العلمية، فضلاً عن ذلك إن التفكير يحفز المتعلم على ممارسة العمليات العقلية بنجاح.

٣. التقويم المستمر:

قال الإمام الصادق عليه السلام: (أَنْفَعُ الأَشْيَاءِ لِلْمَرْءِ سَبْقُه النَّاسَ إِلَى عَيْبِ نَفْسِه)[٤]. وقال عليه السلام: (أَحَبُّ إِخْوَانِي إِلَيَّ مَنْ أَهْدَى إِلَيَّ عُيُوبِي)[٥].

لا بد من الإشارة إلى أن عملية التقويم المستمر ضرورة حتمية في الميدان التربوي للفرد والمجتمع، من أجل أن يتعرف الأفراد مدى النجاح الذي تحقق في أنفسهم وشخصياتهم وأعمالهم، وما حققوه من إنجاز في ضوء الأهداف المرسومة التي يطمح كل فرد أن يتوصل إليها.

كما أن تقويم أداء الفرد من قبل نفسه والآخرين يعمل على تشخيص الصعوبات والمشكلات والأخطاء التي لديه والوقوف عليها من أجل تذليلها وتقديم المقترحات لعلاجها، الأمر الذي يؤدي إلى تحسين شخصية الفرد وعلاقته بينه وبين ربه وبينه وبين الناس.

كما أن (التقييم الذاتي للنفس عمل هام وضرورة نفسية واجتماعية، به يتعرف الإنسان إلى صفاته وقدراته العقلية والعاطفية والخلقية، ويرى في نفسه عوامل القوة والضعف، وفكرة المرء عن نفسه من خلال التقييم الصحيح والواقعي، لها الأثر الأكبر في تعيين سلوكه ومستوى طموحه)[٦].

(وبعد التقييم الذاتي ومعرفة النفس يأتي دور المحاسبة لها التي تسمو بالنفس البشرية وتجعلها تقدم أفضل ما لديها في جانب علاقتها مع ربها وعلاقتها من الآخرين وتعلمها وعملها،وهي تسهم في إيقاف الانحراف، والتوجه إلى الإصلاح والتكامل والبناء التربوي الصالح للفرد نفسه ولذويه وللمجتمع)[٧].

٤. مدارة الناس:

عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (أَمَرَنِي رَبِّي بِمُدَارَاةِ النَّاسِ كَمَا أَمَرَنِي بِأَدَاءِ الْفَرَائِضِ)[٨]، وعنه عليه السلام قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (ثَلاثٌ مَنْ لَمْ يَكُنَّ فِيه لَمْ يَتِمَّ لَه عَمَلٌ، وَرَعٌ يَحْجُزُه عَنْ مَعَاصِي اللّه، وخُلُقٌ يُدَارِي بِه النَّاسَ، وحِلْمٌ يَرُدُّ بِه جَهْلَ الْجَاهِلِ)[٩].

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (رَحِمَ اللّه عَبْداً اجْتَرَّ مَوَدَّةَ النَّاسِ إلينا فحَدَّثَهُمْ بِمَا يَعْرِفُونَ وَتَرَكَ مَا يُنْكِرُونَ)[١٠].

إن المربّي يجد أصنافاً من الناس يختلفون في أعمارهم وأجناسهم، ويختلفون في طاقاتهم وإمكاناتهم الفكرية والعاطفية والسلوكية، ويختلفون في انتماءاتهم وولاءاتهم الطبقية والقبلية والقومية والطائفية، ويختلفون في درجات قربهم وبعدهم عن الدين، ويختلفون في نظرتهم للمربي من حيث الاحترام والتقدير وعدمهما، ومن حيث الثقة به وعدمها، وجميع ذلك بحاجة إلى المداراة[١١].

وهذا ما سنّهُ الشارع المقدس على لسان المعصومين عليهم السلام في التعامل مع الناس،

وذلك بسبب اختلاف الطباع والأمزجة والصفات النفسية والجسمية والعقلية بين الناس.

٥. التدرج والتسلسل في التربية:

قال الإمام الصادق عليه السلام: (دَعِ ابْنَكَ يَلْعَبُ سَبْعَ سِنِينَ وأَلْزِمْه نَفْسَكَ سَبْعَ سِنِينَ)[١٢].

إن الإنسان منذ لحظة ولادته إلى لحظة وفاته يمر بمجموعة من المراحل العمرية ابتداءً من مرحلة الطفولة بنوعيها (المبكرة والمتأخرة ومرحلة المراهقة ومرحلة الشباب ومرحلة الرشد ومرحلة الشيخوخة)، لكل مرحلة من هذه المراحل خصائصها ومميزاتها التي تنفرد بها وتميزها عن المراحل الأخرى، وهذا ما أكده علم نفس النمو (الارتقائي)، وإن الإمام الصادق عليه السلام لم يغفل هذا التبدل والتطور الذي يطرأ على الفرد، إذ أكد عليه السلام تكراراً في هذا القول وغيره من الأقوال على أن التربية حالة إيجابية لكن يجب أن تكون متدرجة ومتتالية مع المرحلة التي يمر بها الفرد، لأن مراعاة التدرج في التربية أحد العوامل المهمة التي تسهم إسهاماً فاعلاً في النجاح التربوي وإن البناء التربوي الصحيح لا يمكن أن يبنى ما لم يكن متلائماً مع الفترة العمرية التي يمر الإنسان، وإن استعمال الأسلوب غير الملائم للمرحلة العمرية سيؤدي حتماً إلى نتائج عكسية وخيمة تترك آثارها الآنية والمستقبلية في بناء وصياغة الشخصية.

والمنهج التربوي لأهل البيت عليهم السلام عموماً يواكب حركة الإنسان في جميع مراحلها ابتداءً من مرحلة شريك الحياة المناسب مرورًا بمرحلة الاقتران وانعقاد الجنين ومراحل الطفولة الأخرى،ويضع لكل مرحلة تعاليم، وتوجيهات منسجمة مع

عمر الطفل الزمني والعقلي ومع حاجاته المادية والروحية[١٢].

وهذا التدرج أبرز لنا رأي مدرسة إسلامية مهمة في تربية وتنشئة الأبناء، وبدأت العديد من النظريات التربوية الوضعية تغير من آرائها وفلسفاتها وتنحني إجلالاً أمام هذا الرأي السديد الذي صدر عن المعصوم، وبالتالي عن الرسول الكريم محمدﷺ ثم عن السماء، وعليه تكون هذه الآراء ليس فيها ضعف ولا سلبيات كما في النظريات التربوية والتعليمية الأخرى الموضوعة من قبل البشر.

ولا ننسى أن هذا التوجيه المبارك الصادر من إمام معصوم ذي علم إلهي يمنح المعلمين والمربين وأولياء الأمور خارطة تربوية موضوعية صادقة تسهل عملهم في كيفية التربية والتنشئة الاجتماعية الصحيحة الخالية من الأخطاء والعيوب التي تجعل من عملية التربية عسيرة للغاية.

نستنتج مما سبق:

أن المنهج التربوي عند الإمام الصادقعليه السلام يهدف إلى تشكيل نظام تربوي رصين قائم على أسس علمية موضوعية قيمة وصحيحة، لأن أغلب المناهج التربوية الوضعية تعتمد على أنظمة تربوية وفلسفية بشرية، وعلى الرغم من تقدم وتطور بعضها لكنها لا تستطيع أن تصمد أمام التحديات التي تفرزها المجتمعات والمشكلات التي تظهر بين الحين والآخر، لأن التربية وأنظمتها كافة كلما كانت صحيحة تركت أثراً إيجابياً على تنشئة الفرد وعلى سلوكه وتصرفاته والعكس صحيح، أي كلما كانت ليست بالمستوى المطلوب تركت أثراً سلبياً على تكوين الفرد، فعليه فإن كل ما صدر عن الإمام الصادقعليه السلام من توجيهات تربوية كانت عين الصواب لأنها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وبالدور الذي أوكل إليه كإمام معصوم مفترض الطاعة يمارس دوره الإلهي بصورة واضحة وفاعلة.

وكما يرى الإمام الصادقعليه السلام أن تربية الطفل والفرد والمجتمع يجب أن تأخذ مبدأ الوسطية والاعتدال وعدم التطرف باتجاه خاصية معينة دون الخواص الأخرى، فنراه في أقواله وأفعاله وتقريراته يجعل الفرد كله كياناً واحداً من كافة النواحي الجسمية والنفسية والاجتماعية والروحية والعقلية، فسعادة الفرد لا تكون في ناحية واحدة بل في جعل الإنسان كتلة واحدة متماسكة لأن كل الحاجات التي توجد لدى الفرد يجب أن تشبع وتكون فيها حالة توازن بين الحاجات البايولوجية والسيكولوجية والعقلية والاجتماعية.

---

(١) الكافي /للكليني ج٢، ص ٣٣٦.
(٢) م.ن/ ج٢ ص٥٥.
(٣) م.ن/ ج١ ص٢٨.
(٤) م.ن/ ج٨ ص٢٤٣.
(٥) م.ن/ ج٢ ص٦٣٩.
(٦): ملامح المنهج التربوي عند أهل البيتعليهم السلام/ شهاب الدين العذاري ص ٥٦.
(٧) ن.م ص٥٧.
(٨) الكافي /للكليني ج٢، ص ١١٧.
(٩) الكافي /للكليني ج٢، ص ١١٦.
(١٠) بحار الأنوار/المجلسي، ج ٢، ص٦٥.
(١١) ملامح المنهج التربوي عند أهل البيت/ شهاب الدين العذاري ص ٥٤.
(١٢) بحار الأنوار/المجلسي ج٤ ص ١٠.
(١٣) الطفل بين الوراثة والتربية /الشيخ محمد تقي فلسفي ص ٢٧.

الحجاب في الإسلام
وبعض من آثاره

د.شيرين سالم •
جامعة فردوسي/ مشهد ـ إيران

ينابيع

للمرأة دور مهم في حفظ وصيانة أخلاق المجتمع. وديمومة الحفاظ عليه يكمن في التزامها بواجباتها وحقوقها على أكمل وجه، ولا سيما تقيدها بالأمور الذاتية المظهرية كالحجاب الذي يمثل صون كرامتها ويهدف لتجسيد المرأة المسلمة. فيعتبر الحجاب صيانة الشرف والعفة. وليس الحجاب ستر الرأس والرقبة فقط، وإنما ستر كامل البدن.

فالمرأة لها المكانة الإنسانية المشرِّفة في الإسلام. هذه المكانة هي مسؤولية تدعوها إلى الاحتفاظ بها وعدم التفريط بحقها، وقد أبت كرامة الدين الحنيف أن تسمح للمرأة بأن تتلاعب أو تفرط بكرامتها، والتخلي عن الحجاب بمثابة التنازل عن العزة والشرف لأن حجابها يمثل صونها. ولهذا فرض عزّوجل على المرأة أن تصون جسدها ونفسها وأن لا تتعدى الحدود التي رسُمت لها، وإن خرجت عن ذلك فكأنما خرجت عن إطار الإسلام.

لقد أكد لنا القرآن الكريم ضرورة الحجاب في قوله تعالى﴿ **يَآ أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ ، ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ ، وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾(أحزاب/٥٩)وفي قوله تعالى:﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى**﴾(الأحزاب/٣٣)، أما المشكلة التي نعانيها، إن كثيرًا من النساء انخدعن بأساليب الغرب وإعلامه . حيث أصبحت لديهن القناعة التامة بأن المرأة المتحضرة المتقدمة هي التي

تَفخر بجمالها وتظهر محاسنها ومفاتنها ولا داعي للتستر والتخفي، وتصورن الحجاب شبحًا جاثمًا على أجسادهن يمنعهن من الحركة والعمل. والحقيقة أنهن لم ينظُرن أو يُدققن لأي درجة وصلت الفتاة الغربية أو الشرقية من التقدم والتحضر غير الانحطاط والرجوع إلى الجاهلية وبيع الشرف وشياع الفساد. وهذا نقيض للفتاة المسلمة التي تدعوها قيمها على حفظ العفة والعزة، وليس لمعاينة الناس إليها والتلذذ بجمالها في كل مكان. والقيم المبدئية لا تدعو المرأة أن تكشف جمالها أمام الآخرين وإنما تتميز بإيمانها والتزامها وأن تكون داعية للمعروف ناهية عن المنكر. وطالما التزمت المرأة وأدركت ما هي خلفية حجابها، حينئذ تضمن ديمومة التزامها وسلامة إيمانها، والبقاء على هذا الأمر يزيدها إيمانًا وقناعةً تامةً تصونها من الآفات. من الثابت تاريخياً أنّ الحجاب قبل الإسلام كانت له مصداقية لدى بعض الأمم، فقد كان الحجاب ظاهرةً في بلاد ماوراء النهرين وبين اليهود والنصارى وكذلك العرب في الجاهلية، وفي بلاد الهند، وكان الحجاب لدى هذه الأمم أكثر تشدّداً ممّا جاء في شريعة الإسلام.[1].

معنى الحجاب:

الحجاب في اللغة: مصدر حجب ويعني الستر، وهو كل ما يستر المطلوب ويمنع الوصول إليه، وحجاب المرأة: ما تتستر به[2] وقيل: (الحجاب: الستر، وحَجَبَهُ: منعه من الدخول، ومنه الحجب في الميراث، والمحجوب: الضرير، وحاجب العين: جمعه حواجب)[3].

الحجاب كل ما ستر المطلوب، أو منع من الوصول إليه. ومنه قيل للستر: حجاب؛ لمنعه المشاهدة، وقيل للبواب: حاجب؛ لمنعه من الدخول. وأصله جسم حائل بين جسدين (٤).

الحجاب في الاصطلاح:

هو لباس شرعي سابغ تستتر به المرأة المسلمة ليمنع الرجال الأجانب من رؤية شيء من جسدها[5]

إن استخدام كلمة الحجاب بمعنى ستر المرأة استخدام جديد نسبياً، فقديماً وعلى الخصوص في مصطلح الفقهاء تُستخدم كلمة (الستر) بدلاً من الحجاب. وقد كان الأفضل أن لا تُستبدل الكلمة وأن تُستخدم دائماً كلمة (الستر)، إذ أن معنى الحجاب اللغوي هو (البردة)، وحين تُستخدم في مورد الستر فذلك باعتبار أن جسد المرأة يكون خلف سِترها، ومن هنا تخيّل بعضهم أن الإسلام أراد أن تبقى المرأة خلف حائل ووراء البردة وتُحبس في دارها ولا تخرج منه.

إن الستر الذي فرضه الإسلام على المرأة لا يعني أن لا تخرج المرأة من بيتها، ولم تطرح في ثقافة الإسلام مسألة حبس المرأة وسجنها في الدار، نعم كان هذا العرف سائداً في بعض الحضارات القديمة في الهند وإيران القديمة، ولكن لا وجود لهذا العرف في الإسلام.

تعريف ببعض المصطلحات ذات الصلة:

الخمار: ما تغطي به المرأة رأسها، ومنه حديث :(لا تقبل صلاة حائض إلا بخمار)[6] والمقصود بالحائض هنا: من بلغت سن المحيض، لا من هي

فـي الحيض ، فهي معفاة مـن الصلاة ، وتخمـرت به : أي الخمـار : واختمرت : لبسته ، وخمرت به رأسها : غطته، وأصل التخمير التغطية ، ومنه خمـار المرأة والخمر ؛ لأنها تغطي العقل[٧]وكل مغطى مخمـر. وروي عـن النبي ﷺ أنـه قال: (خمـروا الآنيـة) أي غطوهـا [٨] وجمعه أخمرة وخُمُر[٩].

النصيف: الخمار وقد نصفت المرأة رأسـها بالخمـار، وانتصفـت الجاريـة وتنصفت:أي اختمرت . ومنه الحديث في صفـة الحور العيـن : (ولنصيف إحداهن على رأسـها خير من الدنيا وما فيها) [١٠]، وهو الخمـار ، ومنه قـول النابغة يصف امرأة :

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه
فتنـاولتـه واتقـتـنـا باليـد

قال أبو سعيد : النصيف : ثوب تتجلل به المرأة فوق ثيابها كلها ، سمّى نصيفًا، لأنـه نَصَفَ بيـن الناس وبينهـا فعجزت أبصارهم عنها[١١] .

الجلبـاب : هو مـا تغطي بـه المرأة الثياب مـن فـوق كالملحفة وقيـل : هو الخمار. وقيل: جلباب المرأة : ملاءتها التي تشتمل بها ، وجمعها جلابيب. والجلباب أيضا: الرداء، وقيـل: هو كالمقنعة تغطي بـه المرأة رأسـها وظهرهـا وصدرها ، وقيل : الجلبـاب: ثوب أقصر من الخمار وأعرض منه ، وهو المقنعة[١٢]

وقـال القرطبـي فـي تفسـيره : " الجلابيـب جمع جلباب ، وهو ثوب أكبر مـن الخمـار ، وروي عن ابـن عباس ، وابن مسـعود : أنه الرداء ، وقد قيل : إنه القناع، والصحيح أنه الثوب الذي يسـتر

جميع البدن [١٣]

النقاب :

القناع الذي تستر به المرأة النصف الأسفل من وجهها من مارن أنفها إلى نحرها [١٤] ، وقد تنقبت المرأة وانتقبت، وإنها لحسنة النقبة، والنقاب بالكسر.

النقاب عند العرب:

هو الذي يبدو منه محجر العين، ومعناه أن إبداءهن المحاجر محدث، إنما كان النقاب لاحقًا بالعين، وكانت تبدو إحدى العينين ، والأخرى مستورة ، والنقاب لا يبدو منه إلا العينان ، وكان اسمه عندهم الوصوصة، والبرقع، وكان من لباس النساء ، ثم أحدثن النقاب بعد [١٥].

أهداف الحجاب:

عندما شرع الإسلام الحجاب أراد من ذلك تحقيق أهداف ومقاصد ، أهمها:

١ـ طهارة قلوب الرجال والنساء من الخواطر الشيطانية التي تفسد النفوس وتميت القلوب قال تعالى: ﴿ **ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ**﴾ (الأحزاب/٥٣)

٢ـ حفظ النساء وصيانتهن من أن يتعرضن لأذىً أو شر، لأن الحجاب يضفي على مرتديته مهابة، تمنع الفساق عن التجرؤ عليها قال تعالى: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾ (الأحزاب/٥٩)

٣ـ يعد الحجاب في الظاهر، ترجمة لصلاح المرأة في الباطن وبقائها على فطرة الحياء الذي هو من لوازم الأنوثة.[١٦]

فلسفة الحجاب:

سعى المناهضون لظاهرة الحجاب إلى إبراز جملة ممارسات ظالمة بوصفها عللاً لهذه الظاهرة ولم يميّزوا في ذلك بين الحجاب الإسلامي وغير الإسلامي، فأوحوا أنّ الحجاب الإسلامي ينطلق من هذه الممارسات الظالمة أيضاً. وقد طرح الباحثون نظريات متنوّعة بصدد أسباب ظهور الحجاب وقد ثبّتت هذه الأسباب في الأعمّ الأغلب لإبراز الحجاب بوصفه عملاً ظالماً وممارسةً جاهلةً.

ولكن فلسفة الحجاب الإسلامي ترجع إلى عدّة عوامل، بعضها ذو جانب نفسي والآخر ذو جانب أسري، وبعضها ذو بُعد اجتماعي وآخر يرتبط برفع مستوى المرأة واحترامها والحيلولة دون ابتذالها.

إن تشريع الحجاب من شأنه أن يساهم في تثبيت التماسك الإجتماعي، لأنّه يساهم في تثبيت علاقة الرجل بالمرأة في دائرة الأسرة ويمنع من جرّها إلى دائرة المحيط الاجتماعي العام بشكل فوضوي ومتفلّت، وهو بذلك يمنع من تعطيل الطاقات الإجتماعية وإضعاف الطاقة الإنتاجية للمجتمع، بخلاف ما أدّت إليه ثقافة السفور المعتمدة في الغرب والتي تقوم على الانحلال وعدم وضع القيود والضوابط التي تؤدّي إلى إضعاف وتعطيل الطاقة الاجتماعية وتعطيل قوى المرأة وحبس استعداداتها.

لقد تحدثت بعض آيات القرآن الكريم عن الحجاب، وهذا يؤكد أهمية هذا الموضوع. فقد استعمل لفظ الحجاب في سورة الأحزاب آية ٥٣: ﴿ **وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ من وَرَاءِ حِجَابٍ ، ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ**﴾ ولكن الحجاب الذي يُلزم

القرآن النساء به هو الخمر(مفرده خمار، بكسر(الخاء)وفتح(الميم)) وجاء في سورة النور آية ٣١ : ﴿**وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ**﴾، والحجاب الآخر الذي يُلزم القرآن النساء به هو الجلابيب (مفرده جلباب) في سورة الأحزاب آية ٥٩ و نقرأ في هذه الآية﴿**يا أيها النَّبي قُل لأزوَاجِك وَبَناتك وَنساء المُؤمنينَ يدنينَ عَلَيهِنَّ منْ جَلابيبهنَّ ذلك أدنى أن يُعرَفنَ فَلا يؤذَينَ وكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحيما**﴾.

في الختام نصل إلى أن للستر علاقة اساسية وثيقة بالعفاف، ومن ثم لا يجوز لإنسان أن يكون منحازًا للعفاف والحياء، ويكون مخالفًا للحجاب في الوقت نفسه. فالحجاب الإسلامي هو الصيغة الأكمل في التعبير عن الالتزام بالعفاف.

هوامش:

(١) للمزيد راجع الصحيح من سيرة النبي الأعظم/ جعفر مرتضى العاملي ص١٥١ وما بعدها.

(٢) لسان العرب لابن منظور ٥٠/٣.

(٣) مختار الصحاح/الرازي ٥١/١.

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف/ محمد المناوي،:٢٦٨/١.

(٥) الإسلام وبناء المجتمع /حسن أبو غدة، د.ت:١١٤.

(٦) وسائل الشّيعة/الحر العاملي ٤٠٨/٤.

(٧) شرح النووي على صحيح مسلم :٢١٠/٣.

(٨) تاج العروس/الزبيدي: ١١/ ٢١٤.

(٩) تهذيب اللغة/الأزهري: ١٦٢/٧.

(١٠) النهاية في غريب الحديث والأثر /ابن أثير الجزري: ٥ / ٦٦.

(١١) معجم الملابس في لسان العرب: ص ١٢٦.

(١٢)لسان العرب/ابن منظور: ٢٧٣/١؛ تاج العروس/الزبيدي: ١٧٥/٢؛ مختار الصحاح/ الرازي: ٤٥/١.

(١٣) الجامع لأحكام القرآن /القرطبي: ٢٤٣/١٤.

(١٤) معجم الفاظ الفقه الجعفري/د.احمد فتح الله ص٤٢٨.

(١٥) لسان العرب: ١ / ٧٦٨ ؛تاج العروس: ٤ / ٢٩٦ ؛(النهاية في غريب الحديث:٥ /٩٧.

(١٦) الإسلام وبناء المجتمع /أبو غدة، د.ت: ١١٦.

المشهد الحسيني
في العهد البويهي

د. سلمان هادي آل طعمة •
كربلاء المقدسة

ينابيع

مدينة كربلاء لها أهمية تاريخية وعلمية ودينية وسياحية ، وأرضها كانت مسرحًا لبطولات الدفاع عن القيم الإنسانية الفاضلة والمثالية، إذ يكفي أن نذكر وقعة كربلاء التي حدثت سنة ٦١هجرية/٦٨٠م لكي تبرز معاني الصراع البطولي الذي جسده الموقف الخالد للإمام الحسين بن علي عليهما السلام وأصحابة الشهداء الأبرار حتى يتوقف التاريخ وجلًا أمام وقعة الحق والثبات في وجه الباطل والانحراف. يذكر المؤرخون لواقعة الطف أن تاريخ بناء الروضة الحسينية يبدأ منذ دفن الأجساد الطاهرة، فقد روى السيد محسن الأمين قائلًا: (إن أول من بنى القبر الشريف بنو أسد الذي دفنوا الجسم الطاهر للحسين بن علي عليهما السلام وأجسام أصحابه)[1]، هذه البناية الصغيرة الرمزية تدل على مكان القبر الشريف وتهدي الزائرين له. ثم وضعت علامات ترشد إليه. وفي حديث زائدة عن الإمام السجاد عليه السلام: (أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمة لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض هم معروفون في أهل السماوات أنهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة وهذه الجسوم المضرجة فيوارونها وينصبون بهذا الطف علمًا لقبر سيد الشهداء لا يدرس أثره ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والأيام)[2].

ومما يزيد في بناء القبر في ذلك الوقت ورود التوابين في ربيع الأول عام ٦٥هـ وزيارتهم للقبر واجتماعهم حوله .وكان عددهم يقارب الأربعة آلاف نسمة بقيادة سلمان بن صرد الخزاعي يطلبون بثارات الحسين عليه السلام رافعين شعارهم بقتل من قتل الحسين عليه السلام ولم يكن إذ ذاك ما يظلل القبر

فكان ظاهرًا معروفًا[٣] وفي السنة نفسها شيد المختار بن أبي عبيدة الثقفي قبة من الآجر والجص وجعل لها بابين شرقية وغربية وخصص مسجدًا للزائرين وسقيفة تظلها شجرة السدرة. وفي كتاب (المزار) بسنده عن صفوان بن مهران الجمّال عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال: (إذا أردت قبر الحسين في كربلاء فقف خارج القبة وارم بطرفك نحو القبر ثم ادخل الروضة وقم بحذائها من حيث يلي الرأس ثم اخرج من الباب الذي عند رجلي علي بن الحسين عليهما السلام ثم توجه إلى الشهداء ثم امشِ حتى تأتي مشهد أبي الفضل العباس فقفَ على باب السقيفة وسلم[٤].

أما في العصر العباسي فقد امتدت يد العدوان إلى القبر الشريف، وضيق الرشيد الخناق على زائري القبر وقطعت شجرة السدرة التي كانت عنده وكَرَبَ موضع القبر وهدم الأبنية التي كانت تحيط بتلك الأضرحة المقدسة[٥]. وفي فترة (٢٣٦-٢٤٧هـ)كان القبر الشريف عرضة لتخريب وتنكيل المتوكل العباسي، حيث أحاط القبر بثلة من الجند لئلا يصل الزائرون إليه وأمر بتهديم قبر الحسين عليه السلام وحرث أرضه وأسال الماء علية فحار الماء حول القبر الشريف وأقام في المسالح أناسًا يترصدون لمن يأتي لزيارة قبر الحسين عليه السلام أو يهتدي إلى موضع قبره[٦]. وفي شوال سنة ٢٤٧هـ قُتل المتوكل من قبل ابنه المنتصر فعطف هذا على آل أبي طالب

وأحسن إليهم، ومنذ ذلك الحين أخذ عمران القبر يتقدم تدريجيًا، وانطلق العلويون يفدون إلى القبر والسكن بجواره وفي مقدمتهم السيد إبراهيم المجاب بن محمد العابد بن الإمام موسى بن جعفر عليهم السلام[٧].

ومن العهود المزدهرة التي مرت على كربلاء، العهد البويهي، حيث شهد المشهد الحسيني أصالة البناء الإسلامي وعمق تراثه وروعته، فإذا وقفتَ أمام هندستها المعمارية وزخرفتها فإنك أمام آية من آيات الفن والهندسة المعمارية، وقد وجدنا من الخدمات الجليلة التي قام بها ملوك آل بويه نحو البيت الطاهر ما يعجز عن الوصف.

حكم بغداد عضد الدولة البويهي في خلافة الطائع بن المطيع العباسي، وفي خلال حكمه خطا خطوات واسعة، فهو قائد محنك ذو تجربة قديرة وحسن استعداد، اندفع لتشييد عمارة المشهد الحسيني يشد أزرها بالرأي السديد والتعاون المثمر والإخلاص الثابت، فمكّن لها الثبات وسط العواصف، ففي شهر جمادى الأولى عام ٣٧١هـ شيد قبة ذات أروقة وضريحًا من العاج وعمّر حولها بيوتًا وأحاط المدينة بسور، وقد بلغ من تعظيمه للمرقدين أن أمر بعمارتها وجعل الأوقاف عليها، وقدم من التبجيل والتعظيم الشيء الكثير. فقد ازدهرت كربلاء في عهده وتقدمت معالمها الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية فاتسعت تجارتها واخضلت زراعتها وأينعت علومها وآدابها فدبت في جسمها روح الحياة والنشاط فتخرج منها علماء فطاحل وشعراء مجيدون، وتفوقت في مركزها الديني المرموق[٨]. قال العلامة الشيخ محمد السماوي:

ثم تولى ابن بويه العضُد
فاخضرّ عودٌ فيه كاد يخضد
بنى له القبة ذات الأروقه
محيطةٌ على ضريح محدقه
وزيّن الضريح بالديباج
وما علا دائرة بسياج
وشعشع القبة والرواقا
وعمر البيوت والأسواقا
وعصم البلدة بالأسوار
فحامت المعصم بالسوار
وساقا للطف مياها جاريه
وامتاز للضوء وقوفًا جارية[٩]

وجاء في كتاب (تحفة العالم) ما هذا نصه: (كانت زيارة عضد الدولة للمشهدين الشريفين الغروي والحائري في شهر جمادى الأول سنة ٣٧١هـ ورد مشهد الحائر لمولانا الحسين صلوات الله عليه وتصدّق وأعطى الناس على اختلاف طبقاتهم وجعل في صندوق دراهم ففرقت على العلويين فأصاب كل واحد منهم اثنان وثلاثون درهمًا وكان عددهم ألفين وثلاثين اسم، ووهب العوام والمجاورين عشرة آلاف درهمًا، وفرّق على أهل المشهد من الدقيق والتمر مائة ألف رطل، ومن الثياب خمسمائه قطعة، وأعطى الناظر عليه ألف درهم، وخرج وتوجه إلى الكوفة لخمسٍ بقين من جماد المؤخر ودخلها[١٠].

لم يكتف عضد الدولة بالبناء، وإنما اهتم بتزيين المشهد، وإذا تأملنا التصميم المعماري للروضة المطهرة وما أكثر ما فيها من درر الفن وآيات الجمال، يتبين لنا مقدار تشييده للأروقة حول القبر المطهر، حيث زين الضريح بالساج

والديباج وغلفه بالخشب وجلب القناديل والثريات المضاءة بالشمع لتنير الروضة المقدسة، فقد ظهرت في زمنه طرز إسلامية رائعة ذات خصائص واضحة متميزة بضخامة جدرانها وبواباتها المزينة بالقاشاني الملون بألوانٍ زاهية بهرت أنظار العالم.

وفي أيام عضد الدولة قام عمران بن شاهين في الحائر الشريف ببناء المسجد والرواق المعروف باسمه رواق عمران بن شاهين[11]. فقد جاء في (الكامل) لابن الأثير قوله: (كان عمران بن شاهين في بدء حياته صيادًا وقطاع طرق، أغار على البطيح فاستولى عليه في أواسط القرن الرابع الهجري. فلما استتب له الأمر بالبطيح أخذ يعيث فسادًا في البقاع المجاورة له حتى استولى ذعره على أكثر الساكنين المجاورين له، فشكى أمره إلى السلطان عضد الدولة بن بويه الديلمي، فسار على رأس جيش عرمرم للقضاء على حصون عمران بن شاهين ودك قلاعه، فلما وصل عضد الدولة الى البطيح كان عمران بن شاهين متحصنا في قلعته فلم يتمكن السلطان البويهي من تحطيم حصونه، فأمر جنده بفتح الماء على قلاعه وغرق البطيح، وشدّد الحصار عليه، فترك عمران بن شاهين البطيح وولى هاربًا من وجه السلطان البويهي[12].

روى المجلسي في (البحار) والسيد ابن طاووس في (فرحة الغري): عندما فر عمران بن شاهين من وجه السلطان البويهي لاذ بقبر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فرأى في المنام علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له: (يا عمران سيقدم العبد فناخسرو لزيارة هذه البقعة فلذبه سيفرج عنك)، فلما استيقظ نذر ببناء أروقة في المشهد الغروي وآخر في مشهد الحائري لو تمّ له ذلك، ولمّا قدم عضد الدولة لزيارة قبر علي بن أبي طالب عليه السلام رأى شخصًا ملاصقا بجوار الروضة فسأله عن حاجته فخاطبه عمران بن شاهين باسمه الحقيقي فندهش السلطان من معرفه هذا الشخص من اسمه أي (فناخسرو) فقص عليه عمران منامه فعفى عنه السلطان وأولاه إمارة البطيح ثانية، فقام من ساعته وبنى رواقًا في حرم الأمير بالمشهد الغروي، وآخر في الحائر الشريف وبنى بجنبه مسجدًا وهو أول من ربط حرم الحائر بالرواق المعروف باسمه رواق عمران بن شاهين[13]، وذكر الفاضل المعاصر السيد محمد صادق آل بحر العلوم في كتابه (سلاسل الذهب)بقوله ..ولم يزل قسم من هذا المسجد موجودًا حتى اليوم ويستعمل كمخزن لمفروشات الحضرة الحسينية، ويقع خلف الإيوان المعروف اليوم بالإيوان الناصري[14]، غير أنّ ما يلفت النظر هو أنّ البويهيين إلى جانب اهتمامهم بالمشهد الحسيني وإصلاحاتهم العمرانية ومآثرهم الجليلة، فإن البعض منهم التجاؤا إلى تلك المشاهد المقدسة، فمنهم من اتخذوا أرض النجف الأشرف لهم مقرًا أبديًّا ومنهم من استجاروا بالحائر المقدس واختاروا مدافنهم الخالدة في شرقيّ الحرم الحسيني، حيث يقع الآن ما يسمى بالصحن الصغير لتميزه عن صحن الحسين عليه السلام[15] وهو الذي يقع على طريق الزوّار القاصدين إلى حرم العباس عليه السلام.

يتضح مما تقدم أنّ الأعمال الصالحة التي قام بها البويهيون تفتح أبواب المعرفة لمن جاء بعدهم، من أجل اللحاق

بركب الحب الإلهي، حيث سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته الذين رفضوا الظلم والطغيان وأعلنوا من أرض كربلاء المقدسة ثورتهم الكبرى، فإن لكل امرئ ما نوى ...

---

(١) أعيان الشيعة _السيد محسن الأمين ج٤ص٣٠٢
(٢) م.ن. ج١ص٦٢٧.
(٣) تاريخ الطبري _ابن جرير الطبري مجلد ٤ص٢
(٤) مزار البحار _محمد باقر المجلسي ص ١٧٩
(٥) نزهة أهل الحرمين في عمارة للمشهدين _ للسيد حسن الصدر ض٦١
(٦) تاريخ كربلاء المعلى _السيد عبد الحسين الكليدار آل طعمه ص١٣.
(٧) نزهة أهل الحرمين ص٣٦_٣٧
(٨) تاريخ كربلاء وحائر الحسين عليه السلام د.عبد الجواد الكليدار آل طعمه ص ١٧١.
(٩) مجالي اللطف بأرض الطف _الشيخ محمد السماوي الطبعة الثانية _تحقيق علاء عبد النبي الزبيدي ص٢٩١.
(١٠) تحفة العالم في شرح خطبة المعالم _السيد جعفر آل بحر العلوم ص٢٧٣.
(١١) تاريخ كربلاء وحائر الحسين عليه السلام ص١٧٣.
(١٢) الكامل في التاريخ _ابن الأثير ج ٨ص١٧٦_١٧٧.
(١٣) بحار الأنوار _محمد باقر المجلسي ج١٠ طبع إيران.
(١٤) سلاسل الذهب _السيد محمد صادق آل بحر العلوم (مخطوط).
(١٥) تاريخ كربلاء وحائر الحسين عليه السلام ص١٧٤.

مَنْ يَجِبُ مُصَادَقَتُه ومُصَاحَبَتُه:

* قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لَا عَلَيْكَ أَنْ تَصْحَبَ ذَا الْعَقْلِ وإِنْ لَمْ تَحْمَدْ كَرَمَه ولَكِنِ انْتَفِعْ بِعَقْلِه واحْتَرِسْ مِنْ سَيِّئِ أَخْلَاقِه ولَا تَدَعَنَّ صُحْبَةَ الْكَرِيمِ وإِنْ لَمْ تَنْتَفِعْ بِعَقْلِه - ولَكِنِ انْتَفِعْ بِكَرَمِه بِعَقْلِكَ وافْرِرْ كُلَّ الْفِرَارِ مِنَ اللَّئِيمِ الأَحْمَقِ».

* وقال عليه السلام أيضاً: «قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله انْظُرُوا مَنْ تُحَادِثُونَ فَإِنَّه لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يَنْزِلُ بِه الْمَوْتُ إِلَّا مُثِّلَ لَه أَصْحَابُه إِلَى اللهِ إِنْ كَانُوا خِيَاراً فَخِيَاراً وإِنْ كَانُوا شِرَاراً فَشِرَاراً ولَيْسَ أَحَدٌ يَمُوتُ إِلَّا تَمَثَّلْتُ لَه عِنْدَ مَوْتِه».

الكافي / الشيخ الكليني ج٢ ص٦٣٥

حقوق الإنسان

في عهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لمالك الأشتر

د. أحمد علي الخفاجي •
كلية الشيخ الطوسي الجامعة/ النجف الأشرف

ينابيع

إنَّ الله سبحانه وتعالى قد أكمل لنا الدين، وأتمَّ علينا النعمة، ورضي لنا الإسلام ديناً، فما تجاوز ذلك أو خالفه، أو انحرف عنه، فهو الظلم بعينه، لأنه خلاف ما شرع الله من الأحكام لعباده، الذي هو أعلم بها، وبما يصلح حالهم (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (سورة الملك/١٤)، ليس على المسلمين إلاّ أن يتمسكوا بدينهم، ويعملوا بأحكامه، وشرائعه، وآدابه، ويجعلوها حَكَماً بينهم، فسيجدون الأمن والعافية، والطمأنينة، والعدل، والسعادة، والرضا، والقوة، والتقدم، وستأتي إليهم الدنيا راغمة، وسيأتيهم رزقهم رغداً؛ لأن الله عز وجل خلق كل شيء من أجل الإنسان، وخلق الإنسان لعبادته، قال تعالى (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**) (سورة الذاريات/٥٦).

إنَّ الذين يتفاخرون بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام ١٩٤٨م، ويعدونه المثل الأعلى في الروابط الإنسانية، ويعتقدون أنه لم ينسج على منواله شيء من قبل، وينظرون إليه على أنه قمة الحضارة؛ إن أولئك يتجاهلون الإسلام، ومعاملته الكريمة للإنسان، وحفظه لحقوقه، وتنظيم شؤون حياته، على نحو يكفل له الحياة الكريمة، ويهديه سبيل الرشاد، ويجنبه مهاوي الرّدى والهلاك، كما أنهم يتجاهلون الدور البارز لأئمة أهل البيت عليهم السلام في إرساء دعائم حقوق الإنسان وحرياته في ضوء تعاليم القرآن الكريم، ومن خلال معطيات الدين الإسلامي الحنيف، من أجل ذلك ينبغي الكشف لأولئك الجهلة أو المتجاهلين، عن وجه

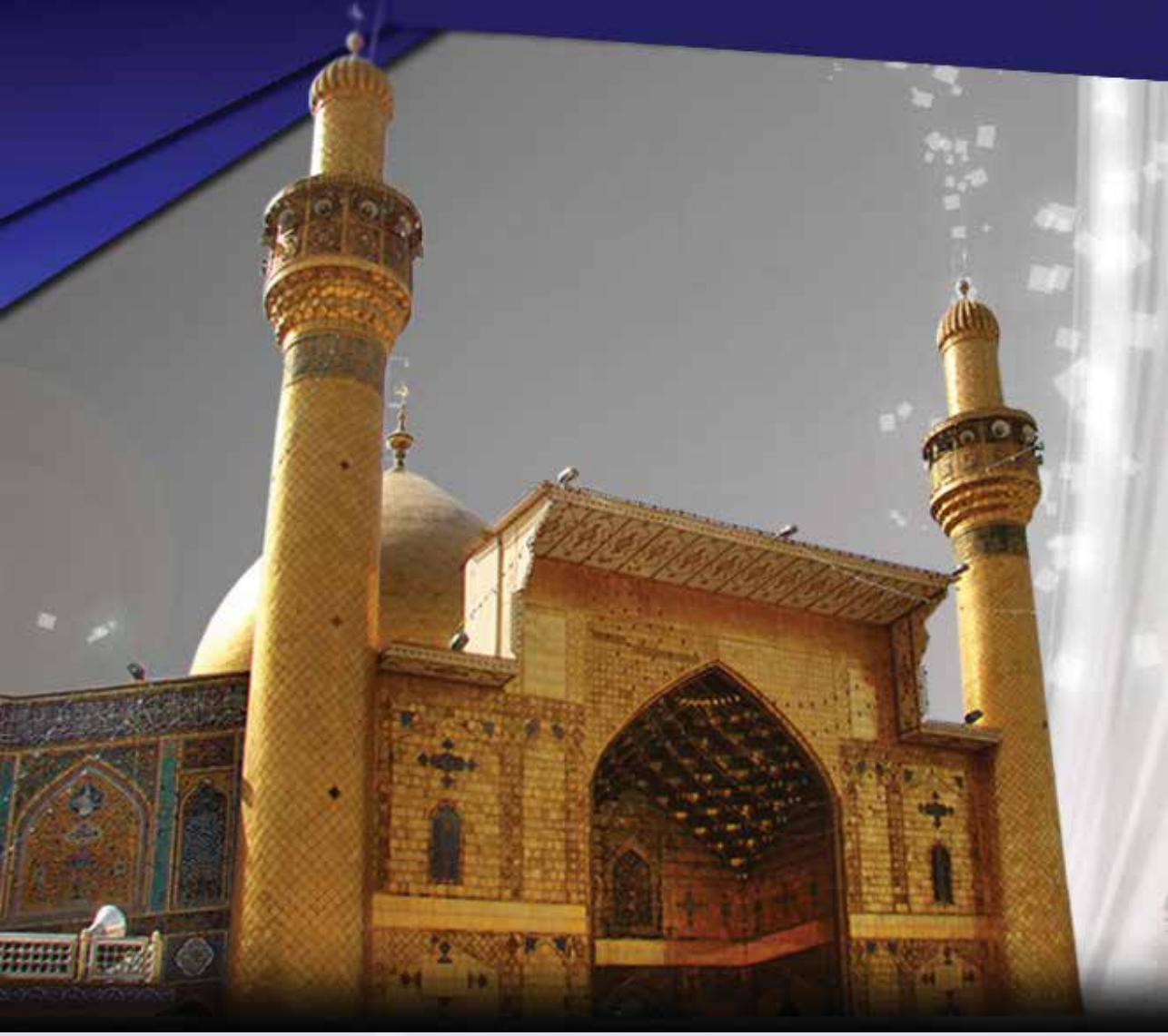

الإسلام الناصع، والدور الكبير لأئمة أهل البيت عليهم السلام في هذا المجال، وبطبيعة الحال فلا وجه للمقارنة بين ما في الإسلام من ذلك، وبين إعلانهم الذي يتشدقون ويتفاخرون به.

وإنه مما لاشك فيه، أنَّ الإسلام كان له فضل السبق على كافة المواثيق والإعلانات، والاتفاقيات الدولية، في تناوله لحقوق الإنسان، وتأصيله، وتحديده لتلك الحقوق منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان، وما جاء في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والاتفاقيات والوثائق الدولية مما فيه مصلحة مُحقّقة للإنسان، وللمجتمع الإنساني ما هو في حقيقته إلا ترديد لبعض ما تضمنه الإسلام في هذا الخصوص، الذي تميّز عنها بكفالته لكافة حقوق الإنسان وحمايته لها؛ فجاءت تشريعاته في هذا الخصوص جامعةً مانعةً؛ فاقت بذلك كل ما عرفته، وتعرفه المدنية بكل هيئاتها ومنظماتها وفروعها.

وليس أدلُّ على ذلك من عهد سيد البلغاء والمتكلمين أمير المؤمنين الإمام

علي بن أبي طالب عليه السلام إلى مالك الأشتر النخعي لما ولاّه على مصر، فقد جمعت هذه الوثيقة أمهات السياسة وأصول الإدارة في قواعد حوت من فصاحة الكلم وبلاغة الكلام وحسن الأسلوب ما لا يمكن وصفه، ولكن قد يُدهش المرء إذا ما علم أنه ليس لهذه الوثيقة تداولٌ على ألسن المتكلمين بالعربية، مع أنه كان من الواجب أن مثل هذه الوثيقة تحفظ في الصدور لا في السطور، ونحن نتناول في لمحة موجزة لأهم الحقوق الواردة في هذه الوثيقة العظيمة، وعلى النحو الآتي:

أولاً. الحق في أن يحكم الإنسان بشريعة الله:

وهو من الحقوق التي لا تقرها المواثيق الحديثة لحقوق الإنسان لأنها جميعاً تستبعد أحكام السماء وتجعل مرجعيتها في ما تراه نافعاً للبشر، وصالحاً لهم. وبما أن المنهج الإسلامي مختلف، والمرجعية الأساسية في الحكم هي لله تعالى ولأحكام الشريعة، فإن هذا الحق يعدّ أحد الحقوق الرئيسة للإنسان الذي يجب عدم التفريط فيه على الإطلاق، وهو يحقق الآتي:

أ- عدم تسلط الحاكم فرداً أو هيئةً أو جماعةً، يُضاف إلى ذلك أنه لا يسمح للسلطة التشريعية بإصدار تشريعات تحقق مصالح فئة على فئة أو تغلب إرادة جماعة على جماعة.

ب- وكنتيجة لذلك تقوم بضبط مقررات الحكّام والهيئات وإخضاعها للمعايير التي نزلت من السماء لحكم الأرض.

ج- ولكي يُجبر الحاكم على التراجع عن كل ما يخالف أحكام الله، فإن هيئة قضائية عليا كالمحكمة الاتحادية العليا في العراق – على سبيل المثال – يمكنها أن تلغي كل قانون أو نظام نافذ يثبت لها عدم دستوريته[1]، وبما أن دستور جمهورية العراق لسنة ٢٠٠٥ – كما هو الحال في بعض دساتير الدول الإسلامية- يعدّ الإسلام دين الدولة الرسمي، ومصدرًا أساس للتشريع، وبالتالي فإن لهذه المحكمة أن تلغي أي قانون يخالف أحكام الشريعة، بل إن هذا الدستور قرّر في المادة (٢/أولاً/أ) منه على عدم جواز سن قانونٍ يتعارض مع ثوابت أحكام الإسلام. ولنرجع لوصايا الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام للأشتر النخعي بهذا الخصوص:

١- أمره بتقوى الله وإيثار طاعته، واتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد إلاّ باتباعها ولا يشقى إلاّ مع جحودها وإضاعتها.

٢- وأمره بأن يرد إلى الله ورسوله ما يضلعه من الخطوب، مما يشتبه عليه من الأمور اتباعاً لقوله تعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**) (سورة النساء/٥٩)، فالآية تدل على وجوب الرد في نفس الأحكام الدينية التي ليس لأحد أن يحكم فيها بإنفاذ أو نسخ إلاّ الله ورسوله، والآية، كالصريح في أنه ليس لأحد أن يتصرف في حكم ديني شرّعه الله ورسوله وأولو الأمر ومن دونهم في ذلك سواء[2].

٣- وبالنسبة لضمانة تطبيق العدل والحكم بما أنزل الله أمره باختيار (أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ - مِمَّنْ لَا تَضِيقُ بِهِ الْأُمُورُ وَلَا تُمَحِّكُهُ الْخُصُومُ - وَلَا يَتَمَادَى فِي الزَّلَّةِ

- ولَا يَحْصَرُ مِنَ الْفَيْءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَه).

ثانيـاً. حق الإنسـان فـي أن يُحكم بالعدل:

تعدّ العدالة إحدى القيم الرئيسة التي يجب أن تحققها للناس أي حكومة ناجحة، ولا يمكن أن يكون هناك حكم ناجح إلاّ إذا كان عـادلاً ، والعدل – كما قيل –أسـاس الملـك، وتشـيع في عهد الإمـام علي عليه السلام أفكار العدالة وضرورة تحقيقها في أكثر من موضـع، لذا يمكن القول إن حق الإنسـان فـي أن يُحكـم بعدالة أو حق الإنسـان في العـدل يعدّ أحد أهم الحقـوق التي وردت في هذه الوثيقة.

ونجد أمير المؤمنين عليه السلام ينبه الأشتر في بداية الوثيقة إلى أنه سـيحكم مصر، وهي بلد كبير سبق أن حكمها قبله حضارات وأمم سـابقة يجب التنبه إلى كيف ساسـوا هذه البـلاد ليتعظ بتجربتهـم ويحكم بخبرتهم وبالذات في مسـائل العـدل والإنصاف، وتقـول الوثيقـة: (اعْلَمْ يَا مَالـكُ - أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ - مِنْ عَدْلٍ وَجَوْرٍ - وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُـورِكَ - فِـي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُـرُ فِيه مِنْ أُمُورِ الْـوُلَاةِ قَبْلَكَ - وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ - وَإِنَّمَا يُسْـتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ - بِمَـا يُجْـرِي اللَّه لَهُمْ عَلَى أَلْسُـنِ عِبَادِه - فَلْيَكُنْ أَحَـبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْـكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ - فَامْلِكْ هَوَاكَ وَشُـحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ - فَإِنَّ الشُّـحَّ بِالنَّفْسِ الْإِنْصَافُ مِنْهَـا فِيمَا أَحْبَبْـتَ أَوْ كَرِهْتَ...) وهنا يأمر الإمام عليه السلام الأشـتر أن يشـح بنفسه، وهذا الكلام لعله قرينة على ان المراد هو العمل الصالح لأن الشريعة الالهية غنية بالقوانين الالهية . وفسّـر له الشحّ ما هو؟ فقال عليه السلام: أن تنتصف منها فيمـا أحبّت وكرهت، أي لا تمكنها من الاسترسـال في الشـهوات، وكُنْ أميراً عليها، ومسيطراً وقامعاً لها من التهوّر والانهماك[٣].

ومـن أسـس العدالـة، المسـاواة بين الناس، والإحسان إلى المحسن، والإساءة إلى المسـيء وأخـذه بذنبه لذا ينبّه سـيد البلغاء والمتكلمين عليه السلام الأشـتر إلى أنه (وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِـنُ وَالْمُسِـيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ - فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَزْهِيدًا لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَـانِ - وَتَدْرِيبًا لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَـاءَةِ - وَأَلْزِمْ كُلاًّ مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَه)، ويقـول ابـن أبـي الحديـد المعتزلي في شـرح هذه الفقرة وإذا لم يكن للمحسن ما يَرفعه، وللمسيء ما يضعه، زَهِد المحسن فـي الإحسـان، واسـتمرّ المسـيء على الطغيان[٤].

ثالثاً. حق الإنسان في اختيار عناصر صالحة لحكمه:

يضع الإمام سيد البلغاء والمتكلمين عليه السلام خبرتـه فـي النـاس لوليـه على بلـد هام كمصـر، ويعطيـه خصائـص مـن يتولى مشورته فيستبعد هؤلاء من المشورة: (وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُـورَتِكَ بَخِيلًا يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ - وَيَعِدُكَ الْفَقْرَ - وَلَا جَبَانًا يُضْعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ - وَلَا حَرِيصًا يُزَيِّنُ لَكَ الشَّـرَه بِالْجَـوْرِ - فَـإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْـنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى - يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ).

وممن يجب اسـتبعادهم كذلك (إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَـنْ كَانَ لِلْأَشْـرَارِ قَبْلَكَ وَزِيرًا - وَمَنْ شَرِكَهُمْ فِي الْآثَامِ فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً - فَإِنَّهُـمْ أَعْـوَانُ الْأَثَمَةِ وَإِخْـوَانُ الظَّلَمَةِ - وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلَفِ - مِمَّنْ لَه مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَاذِهِمْ - وَلَيْسَ عَلَيْه مِثْلُ آصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِـمْ وَآثَامِهِمْ - مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنْ ظَالِمًا عَلَى ظُلْمِه وَلَا آثِمًا عَلَى إِثْمِه - أُولَئِكَ أَخَفُّ

عَلَيْكَ مَئُونَةً وأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً - وأَحْنَى عَلَيْكَ عَطْفاً وأَقَلُّ لِغَيْرِكَ إِلْفاً -).

أما الصفات التي يجب أن يتحلى بها خاصةً الإمام وأهل مشورته فهي:

١- الذي يقول لك الحق ولو كان مراً، (لِيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلَهُمْ بِمُرِّ الْحَقِّ لَكَ).

٢- من لا يساعدك على ما تهوى مما يكره الله، (وأَقَلَّهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللَّهُ لأَوْلِيَائِهِ - وَاقِعاً ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ).

٣- أن يكون من أهل الورع والصدق، (والْصَقْ بِأَهْلِ الْوَرَعِ والصِّدْقِ).

رابعاً. الحق في الحياة:

شدّدت الوثيقة على احترام الحق في الحياة، وحذّر الوالي من أن يعتدي على هذا الحق، أو يتهاون في معاقبة من يسلبه من أحد من الناس يقول: (إِيَّاكَ والدِّمَاءَ وسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا - فَإِنَّه لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى لِنقْمَةٍ ولَا أَعْظَمَ لِتبِعَةٍ - ولَا أَحْرَى بِزَوَالِ نِعْمَةٍ وانْقِطَاعِ مُدَّةٍ - مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا - واللَّه سُبْحَانَه مُبْتَدِئٌ بِالْحُكْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ - فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ الدِّمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - فَلَا تُقَوِّيَنَّ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ).

ويُعدّ هذا الحق هبة من الله تعالى إلى الإنسان، وقد أجمعت عليه الشرائع والأديان، وهو مأخوذ من الحديث النبوي الشريف (كلُّ المُسْلِم على المسلِم حَرام دَمُه وماله وعِرْضُه) وهو ما جاء في خطبة الوداع (إنَّ دمائكم وأعراضكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا) وينبني على هذا الحق مجموعة من الأحكام الشرعية المهمة، منها تحريم قتل الإنسان، لقولهِ تعالى: (... وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّه إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (سورة الأنعام/١٥١)، وأن هذا الحق يتساوى فيه الناس جميعاً بمجرد الحياة لا فرق بين شريف ووضيع وبين عالم وجاهل وبين عاقل ومجنون وبين بالغ وصبي وبين ذكر أو أنثى وبين مسلم وذمي.

خامساً. الحق في الخصوصية:

نصت المواثيق الحديثة لحقوق الإنسان على حق الإنسان في الخصوصية من ذلك ما ورد في المادة (١٧) من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية لعام ١٩٦٦ إذ نصت على أنه «لايجوز تعريض أي شخص على نحو تعسفي أو غير قانوني للتدخل في خصوصياته أو شؤون أسرته أو بيته أو مراسلاته ولا لأي حملات غير قانونية تمس شرفه أو سمعته». أما عبارة سيد الوصيين عليه السلام فقد وردت على النحو الآتي: (لْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ وأَشْنَأَهُمْ عِنْدَكَ - أَطْلَبُهُمْ لِمَعَايِبِ النَّاسِ - فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوبًا الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا - فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا - فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ - واللَّه يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ - فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ - يَسْتُرِ اللَّه مِنْكَ مَا تُحِبُّ سَتْرَه مِنْ رَعِيَّتِكَ -).

سادساً. حق العامل في أجر يكفيه:

وهو من حقوق الإنسان الآن، ويرتبط تماماً بالحق في العمل، والحق في أجر يكفي الحاجة، وخطاب الإمام علي عليه السلام ينبه إلى أهمية هذا الحق، وإلى ضرورة أن يعطي للوالي لمن يقومون على أمر الناس حقهم من بيت المال، تقول الوثيقة: (واعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ - لَا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ - ولَا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ - فَمِنْهَا جُنُودُ اللَّه ومِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ والْخَاصَّةِ -

ومنْهَا قُضَاةُ الْعَـدْل ومنْهَا عُمَّالُ الإنْصَاف والرِّفْق - ومنْهَا أَهْـلُ الْجزْيَة والْخَرَاج منْ أَهْل الذِّمَّة ومُسْـلمَة النَّاس - ومنْهَا التُّجَّارُ وأَهْـلُ الصِّنَاعَات - ومنْهَا الطَّبَقَةُ السُّـفْلَى منْ ذَوي الْحَاجَة والْمَسْكَنَة - وكُلٌّ قَدْ سَمَّى اللّه لَهُ سَـهْمَه - ووَضَعَ عَلَى حَـدِّه فَريضَةً في كتَابه أَوْ سُـنَّة نَبيِّه ﷺ عَهْداً - منْه عنْدَنَا مَحْفُوظاً -).

ومهما يكن مـن أمر فهنالك العديد من الأحاديث النبوية الشـريفة التي تؤكد هذا الحق، ومنها قول رسـول الله ﷺ: (أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه).

سابعاً. الحق في الضمان الاجتماعي:

كذلك تولي هذه الوثيقة الطبقة الضعيفة عناية خاصة ويوجـب أن يعطوا ما يكفيهم من بيت المال، إذ لكل فئة حقوق فيه وهذه عبارة الوثيقة: «ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى منْ أَهْل الْحَاجَـة والْمَسْـكَنَة - الَّذينَ يَحِـقُّ رِفْدُهُمْ ومَعُونَتُهُمْ - وفي اللّه لكُلٍّ سَعَةٌ - ولكُلٍّ عَلَى الْوَالـي حَقٌّ بقَدْر مَا يُصْلحُه - ولَيْسَ يَخْرُجُ الْوَالي - مـنْ حَقيقَة مَا أَلْزَمَه اللّه منْ ذَلكَ - إلَّا بالاهْتمَام والاسْـتعَانَة باللّه - وتَوْطين نَفْسـه عَلَى لُزُوم الْحَقِّ - والصَّبْر عَلَيْه فيمَا خَـفَّ عَلَيْه أَوْ ثَقُـلَ». فهذا هـو الحق في الضمان الاجتماعي يجـب على الوالي أن يعطيه للفقراء والمحتاجين، فهو إذن ليس حقاً مسـتحدثاً وإنما له أصل في الإسـلام منـذ وقـت طويل. ومـن الجديـر بالذكر أنَّ هـذا الحق عُرف في الفكر الإسـلامي المعاصر تحت عنوان (العدالة الاجتماعية في الإسـلام) أو (التكافـل الاجتماعي في الإسـلام)، ويُذكر أن رسول الله ﷺ أعلن حق التكافـل الاجتماعي فقال: (ما آمن بيّ من بات شبعاناً وجاره جائع).

وهكـذا حاولنـا أن نسـتخلص ما ورد في الوثيقة من الحقـوق ولكن الوثيقة في الواقع من أبلغ الوثائق معنى ولفظاً ويجب أن تـدرس هـي وغيرهـا ويركـز على ما فيهـا من قواعد ومبـادئ أخرى، لا تتصل بالضـرورة بحقـوق الإنسـان وحرياتـه، وإنما تتصل بدسـتور العلاقـة بين الحاكم والمحكوم بشـكل عام، وهي تتناول فنوناً واضحـة للتعامل تنبع من تعاليم الإسـلام وأسسـه ويدخل غالبها في باب السياسـة الشرعية.

ونـود التركيـز علـى أن أهـم ضمان للحقـوق هو تقـوى الله سـبحانه وتعالى والإحسـاس بأنه يراقبنا في السر والعلن، وتقوية المحكوميـن بالثقة فيهم والبِّر بهم وتعويدهم على مجاهـرة الحاكم بالخطأ، وأهم من كل ذلك الحكم فيهم بشريعة الله سبحانه وتعالى.

إننـا نحتـاج إلى الكشـف عـن كنوزنا واسـتخدام بضاعتنا بدلاً من الجري وراء غيرنا، واسـتخدام معايير لحياتنا تختلف عـن الأصالة التـي نجدهـا فـي تاريخنا وتراثنا.

---

(١) تنص المادة (٩٣) من دسـتور جمهورية العراق لسـنة ٢٠٠٥ على (تختص المحكمـة الاتحادية العليـا بما يأتـي: أولاً- الرقابة على دسـتورية القوانين والأنظمة النافذة).

(٢) العلامـة السـيد محمـد حسـين الطباطبائي، الميزان في تفسـير القـرآن، ج٤، دار إحياء التـراث العربـي، بيـروت، ط١، ١٤٢٧هـ، ص٣٤١.

(٣) ابن أبي الحديد المعتزلي، شـرح نهج البلاغة، ج١٧، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٢، ١٤٢٥هـ، ص٢٣.

(٤) ابـن أبـي الحديـد المعتزلي، مصدر سـابق، ص٣٣.

مفهوم الإدارة
في المنظور الإسلامي

حامد عادل النصراوي •
كلية التربية/ جامعة الكوفة

ينابيع: تعد الإدارة من العلوم الإنسانية التي تحظى باهتمام كبير لدى العديد من المجتمعات التي تسعى للرُقي والتقدم في توجيه وتنظيم شؤونها، ذلك لما لها من دور بارز ومؤثر في رسم وتنظيم الحياة على مختلف الصُعد الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية.. إلخ، لذا دأبت البشرية ومنذُ بدأ الخليقة على استعمال هذا المفهوم ولو بشكل جزئي، سواء في قيادة الجيوش وإعداد الخطط العسكرية أم في جانب الاختيار الوظيفي، وعليه فقد استمر هذا التطور عبر العصور بدءًا من العصور القديمة، مرورًا بالعصر الإسلامي، وانتهاءً بالعصر الحديث والمعاصر، بالتقدم بهذا الفكر وإغنائه بالعديد من النظريات والأفكار التي بقيت محط أنظار الباحثين واهتمامهم، وعملية نجاح الإدارة ما هي إلا دليل على التوظيف السليم للأدوات الإدارية المستعملة من حيث التخطيط واتخاذ القرار والتنظيم والقيادة والتحفيز والرقابة على الأداء بغض النظر عن النوايا والأهداف.

مفهوم الإدارة:

الإدارة في اللغة: جاء تعريفها في (لسان العرب) في مادة (دور): (وأَدارَهُ عن الأمر، ويقال: أَدرْتُ فلاناً عن الأمر إذا حاولت إلزامَه إياه، وأَدْرتُهُ عن الأمر إذا طلبت منه تركه)[1].

الإدارة في الاصطلاح:

قبل بيان معناها الفني نود أن نبين أن أصل كلمة إدارة (Administration) لاتيني بمعنى (To Serve) أي (لكي يخدم)

والإدارة بذلك تعني (الخدمة) على أساس أن من يعمل بالإدارة يقوم على خدمة الآخرين[٢]، لذا يمكن تعريف الإدارة من المنظور المعاصر بأنها (عملية توجيه الجهود البشرية بشكل منظم لتحقيق أهداف معينة)[٣] وعُرّفت أيضًا بأنها مجموعة متشابكة من الوظائف والعمليات (التخطيط، التنظيم، التوجيه، القيادة، المتابعة، الرقابة...) تسعى إلى تحقيق أهداف معينة عن طريق الاستخدام الأمثل للموارد[٤]، أما تعريفها وفق المنظور الإسلامي فإنها: (مجموعة الأحكام والتشريعات التي شرعها الإسلام لتنظيم جهود البشر جماعيًا وفرديًا، وتوجيههم وجهةً هادفةً لتحقيق مصالحهم وسد حاجاتهم الدنيوية والأخروية وحفزهم بها إلى فعل الخير والبعد عن الشر ومنع الإفساد في الأرض)[٥].

لمحة تأريخية عن تطور الإدارة:

(الإدارة ظاهرة ترافق وجود المجتمعات السياسية، فحيث يوجد مجتمع سياسي منظم توجد الإدارة، إذ إن هناك من يذهب إلى أن الإدارة قد بدأت في الصين، وأنّ الصينيين أول من اشترط اختبارات معينة بالنسبة للمرشحين للدخول في الوظائف الحكومية حتى يتم تعيينهم، أي إنهم أول من أخذ بنظام الجدارة للتوظيف في الوظائف العامة، وهناك من يذهب إلى أن مصر القديمة قد بلغت درجة كبيرة من التقدم في التنظيم والكفاءة، وكذلك يوجد من يذهب إلى أن الإغريق كانت لهم إدارة متقدمة، وهناك أيضًا من يرى أن الرومان طبقوا العديد من

مبادئ الإدارة في تنظيم وإدارة الجيوش والإدارات المدنية المختلفة المنتشرة في كافة أرجاء الإمبراطورية الواسعة، كذلك عُرف الجهاز الإداري للدولة الرومانية بأنه أضخم جهاز إداري بيروقراطي في التاريخ)[٦].

مفهوم الإدارة في المنظور الإسلامي:

بدأ مفهوم الإدارة بالتطور حتى وصل إلى العصر الإسلامي فبلغ التطور في حينها أُطرًا وأشكالًا مختلفة مستمدة أسسها وجذورها من القرآن والسنة النبوية اللذين يعدان مصدرًا أساسًا في التشريع فمنها ما كان يتمثل في تعيين الولاة واختيار المخلصين منهم وإعداد وتنظيم الجيوش الإسلامية لمواجهة الاعتداءات الخارجية، فضلاً عن إنشاء دواوين عديدة تخص الشؤون الإدارية والمالية وديوان للمظالم الذي كان يمثل نوعاً من أنواع الرقابة على أداء الرعية في حينها ورد الظلم عنهم ومعاقبة المتجاوزين منهم، وهذا بمجمله يمثل حالة مثالية في التنظيم والعمل الإداري الإسلامي.

لذا أولاها الدين الإسلامي اهتمامًا بالغًا وكبيرًا وأول ما تجلى ذلك في الكتاب العزيز في قوله تعالى: (**إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ**...) (البقرة:٢٨٢)، إذ جاء في الآية المباركة إشارة واضحة إلى إدارة الشؤون ذات العلاقة بالتجارة وكيفية التخطيط والتنظيم لإدارتها، وقوله تعالى: (**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى**...) (ص:٢٦). وفي الشاهدين الآخرين إشارة واضحة إلى إدارة شؤون الرعية وقيادتهم والعدالة بالتعامل مع الجميع، إذ إن في ذلك دلالات على استعمال العمليات الإدارية البارزة المتمثلة بالتخطيط والتنظيم والعدالة والمساواة.

وفي هذا الإطار نود أن نستعرض بعض الوظائف الإدارية المعاصرة التي كان معمولًا بها إبان الدولة الإسلامية وهي أمثلة توضح المستوى الإداري الذي كان سائدًا، نوجزها بما يأتي:

أولاً: وظيفة التخطيط:

وهي عبارة عن عملية فكرية منطقية تنطوي على التحديد المسبق لما يجب عمله من خلال إعداد الخطط والموازنات اللازمة، لذا فهي مهمة وذات أثر بالغ أكد عليها الدين الإسلامي ومنها ما أورده القرآن على لسان نبيه يوسف عليه السلام في قوله تعالى: (**قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ. ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ. ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ**) (يوسف: ٤٧-٤٩)، ومن صميم هذه الآية المباركة دعوة حقيقية إلى اعتماد مبدأ التخطيط المستقبلي لمواجهة الأزمات والكوارث غير المتوقعة التي قد يُمنى بها الناس بالخسائر الفادحة.

وفي قوله تعالى: (**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ**) (الأنفال: ٦٠)، ومن وحي هذه الآية نستدل أن التخطيط لا يقوم على الظن بل على المعرفة والحقائق القائمة على المعلومات المستخرجة من تحليل البيانات التي تم

جمعها وفرزها وتشغيلها واستخلاص المؤشرات منها[٧]، وفي هذا يحذرنا الله سبحانه وتعالى بقوله: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**) (الحجرات: ١٢) وقوله سبحانه: (**وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ**) (يونس: ٣٦) فضلاً عن ذلك تخطيط النبي الأكرم ﷺ لغزوات المسلمين وإعداد الجيوش.

ثانياً: وظيفة التنظيم:

يعّد التنظيم من الوظائف المهمة التي كان يستعملها المسلمون في تنظيم شؤونهم الداخلية والخارجية ويُعنى التنظيم بعملية رسم الأدوار لكافة الأطراف عن طريق إنشاء هيكل تنظيمي تتوضح فيه الصلاحيات والمسؤوليات وتقسيمها بشكل يمتنع التداخل والتضارب فيما بينها، إذ ورد في قوله تعالى: (**أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**) (التوبة: ١٠٩) من هنا فإن الإسلام يؤكد على أن يكون العمل الإداري مستنداً إلى أسس تنظيمية رصينة وغير ضعيفة ذلك حتى نضمن ديمومته واستمراره بالشكل الصحيح، وجاء في قوله سبحانه: (**أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي**

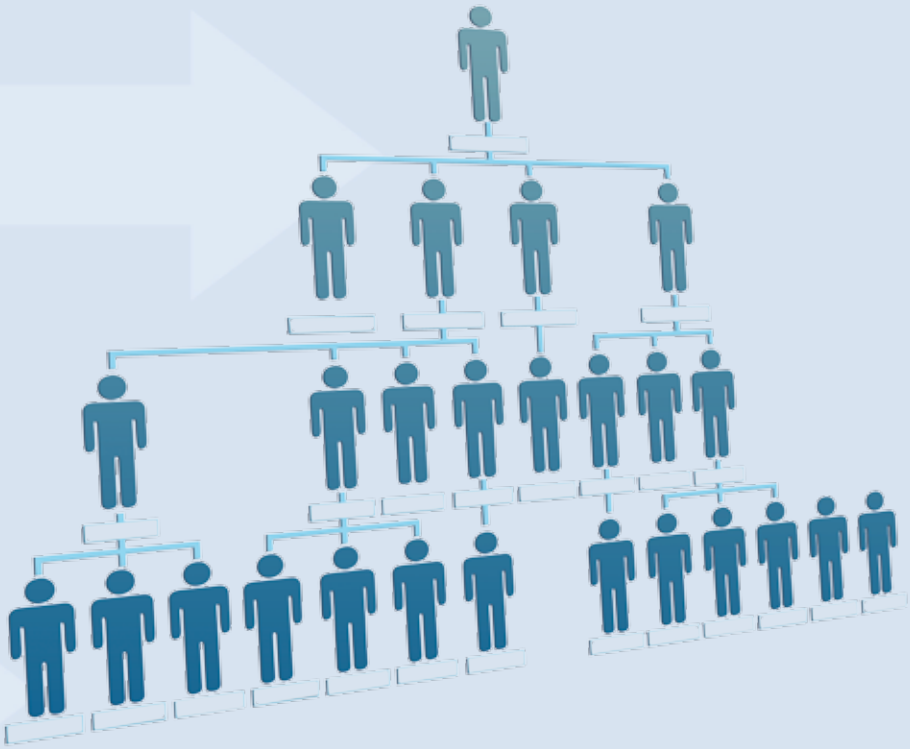

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ) (الزخرف: ٢٣)، ويستفاد من الآية المباركة كيفية تقسيم وتنظيم الناس بحسب الدرجات أو المقامات كلًا بحسب طاقاته وإمكاناته. (كذلك تُعد عملية تنظيم الدولة الإسلامية أروع ما يكون ويتمثل ذلك بإصدار الدستور الإسلامي الذي هو من أولى الخطوات التي أقرّها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله عن طريق إعلان قراره الإداري المتمثل بإصدار (وثيقة المدينة) التي نظمت العلاقة بين الأمة الجديدة داخليًا وخارجيًا، فقد كان دستورًا نظّم السياسة الداخلية وكل ما يهم الأمة الإسلامية داخل أرضها من علاقات أُسرية واجتماعية ومكانية، وكما نظم العلاقة بين الأمة المسلمة واليهود)[٨]، ويرى أحد الباحثين أن(إصدار الوثيقة يمثل تطورًا كبيرًا في مفاهيم الاجتماع السياسية، فهذه جماعة تقوم لأول مرة في الجزيرة العربية على غير نظام القبيلة وعلى غير أساس رابطة الدم)[٩]، وفي هجرة النبي محمد صلى الله عليه وآله إلى المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار وقال (تآخوا في الله أخوين أخوين) (الغدير/الشيخ الاميني ج٣ ص١١٦) وكانت هذه (المؤاخاة) بداية لتنظيم نواة المجتمع الإسلامي حتى يكونوا متحابين موحدين غير متشتتين.

ثالثًا: وظيفة التوجيه:

إن التوجيه لا شك ولا ريب مرتكز مهم في العمل الإداري لذا فهو فن المدير وقدرته على السير الصحيح بمن تحت إمرته وهدايتهم، وتوجيههم، مع إشاعة روح المودة والحب والرضا والتفاني والانتماء للعمل حتى يتحقق الهدف المطلوب تحقيقه، وعملية التوجيه تتم بوسائل عديدة منها القول المباشر بين المدير وأتباعه، أو بالكتابة حيث يصدر المدير توجيهاته بشكل أوامر وتعليمات ليسير عليها الجهاز الإداري، وكذلك يتم التوجيه بالأسلوب العملي عن طريق نزول المدير إلى الميدان.

يقول الله سبحانه وتعالى: **(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)** (الإسراء: ١٢٥) فالإداري المسلم يجعل هذه الآية وغيرها هداية وتوجيهًا له بكيفية التعامل وتسيير دفة الإدارة عن طريق الحكمة، التي تعني الإدراك الكامل لعواقب الأمور أو القرارات السلبية والإيجابية، بالإضافة إلى الوعظ والنصيحة في العمل وأن يتم ذلك كله بتفاهم وتشاور بالتي هي أحسن للعمل والعامل، حتى يتحقق الهدف للطرفين (الإدارة والموظف) قال تعالى: **(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)** (آل عمران: ١٥٩)، يستفاد من هذه الآية المباركة التوجيه والهداية (للمدير المسلم بأن يكون ليّنًا هيّنًا في تعامله مع الابتعاد عن القسوة، فيكون شديدًا بلا عنف وليّنًا من غير ضعف، وإذا تحقق ذلك استقرت أمور إدارته)[١٠]، وتجدر الإشارة إلى أنّ هنالك مجموعة من الأدوات التوجيهية التي دعا إليها الدين الإسلامي المتمثلة بـ(الحوافز المادية والحوافز المعنوية) التي يمكن توظيفها في التوجيه الإداري بغية الارتقاء بالأداء والسير به نحو تحقيق الأهداف، إذ جاء في

قولــه تعالى: (**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**) (الأعراف: ١٦٠) وفــي هذه الآية دلالة أكيــدة على أن الدين الإســلامي كان يعمــل بمبــدأ التحفيز في الأداء من خلال مضاعفــة الأجر بمختلف أنواعــه بغية الارتقاء والتشــجيع على بذل أقصى الجهود.

رابعاً: وظيفة الرقابة:

يمكن بيان مفهوم الرقابة بأنه المقارنة بيــن الأداء الفعلــي مع المخطــط لغرض تشــخيص الانحرافــات وتحديدها واتخاذ الإجراءات التصحيحية، لذلك لا يســتقيم العمــل الإداري من دون المتابعة والرقابة، والرقابــة فــي الإســلام تتجســد في عدة جوانب:

الرقابــة العلوية: وهــي رقابة الله على خلقه، أو هــي الرقابة التــي تحكم الكون بكافة أجزائه وهي أشدها تأثيرًا في سلوك المؤمــن وفي أفعاله، وقــد ورد بيانها في قولــه عز وجل: (**وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَــيْءٍ رَقِيبًا**) (الأحزاب: ٥٢)، (**إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**) (النساء: ١)، (**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**) (ق: ١٨).

الرقابــة الذاتية: وهــي رقابة الوجدان والضمير، رقابة الإنســان على ذاته وعلى تصرفاته وعلى سلوكه، وعلى أقواله وأفعاله وفي هــذا الإطار يقول النبــي محمد ﷺ: (الكيّــسُ مــن دان نفســه وعمل لمــا بعد الموت) (الأمالي/الطوسي ص٥٣٠).

الرقابــة الإدارية: وهــي رقابة مديري المشــروع وقــادة المنظمة علــى أفرادها وســلوكهم في العمل وهي رقابة تقوم على رباط المصلحة المشتركة وتقوي بالجميع روح الفريق والتعاون والتضامن والإخاء.

الرقابة الشــعبية: المنظمة الإدارية هي كائــن حي في مجتمع يضمها ويضم غيرها مــن المنظمــات والأفــراد، وهــي عضوٌ فعــال ومتفاعل فــي هذا المجتمع تســعى إلى تحقيــق خير الأمة، قال الله عز وجل: (**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَــاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْــرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَــرِ**) (التوبــة:٧١)، فارتبــاط مجتمع الإســلام بالأمــر بالمعــروف والنهي عن المنكــر يجعل كل فــرد فيه رقيبًــا ناصحًا واعيًا مــدركًا بأهمية الترابط بين المنظمة الإدارية وباقي أجزاء المجتمع[11].

---

(١) لسان العرب: ابن منظور، مادة (دور)، ٤٤١/٤.
(٢) الإدارة العامة. الأسس والوظائف: سعود النمر وآخرون، ص٤.
(٣) أصول الإدارة الحديثة، أحمد عبد الله الصباب ص ١٩.
(٤) الإدارة التربويــة مداخل جديــدة لعالم جديد، يوسف مصطفى، ص٧.
(٥) الإدارة والقضاء الإداري في الإســلام، إحسان عبد المنعم عبد الهادي سمارة ، ص٢٣.
(٦) الإدارة الإسلامية: فوزي كمال أدهم.
(٧) الفكــر الإداري في الإســلام، محســن احمد الخضيري، ص١٧٢.
(٨) الإدارة والحكم في الإســلام، عبد الرحمن بن إبراهيم الضحيان، ص١٠٠.
(٩) م. ن.
(١٠) الإدارة والحكم في الإســلام، عبد الرحمن بن إبراهيم الضحيان، ط٣، ١٩٩١: ص١١٩-١٢٠.
(١١) الفكــر الإداري في الإســلام، محســن احمد الخضيري، ص١٩١-١٩٨.

أجوبة مسابقة العدد (٥٣)
وأسماء الفائزين

الســؤال الأول: ب. مسجد الخيف

الســؤال الثاني: ب. الشيخ مرتضى الأنصاري

الســؤال الثالث: أ. الصاحب بن عباد

الســؤال الرابع: أ. شعبان ٣٢٦هـ

السؤال الخامس: أ. ٥ سنوات

السؤال السادس: ب. عند مرور الإمام على الدير الذي كان يسكنه

الســؤال السابع: أ. ٣٠

الســؤال الثامن: أ. ٢٢٠هـ

الســؤال التاسع: ب. الإمام الباقر عليه السلام

الفائزة بالجائزة الأولى: ذكرى هادي كاظم/ بابل ـ الحلة ـ الماشطة.

الفائز بالجائزة الثانية: جاسم عبود عباس/ كربلاء المقدسة ـ حي العسكري.

الفائز بالجائزة الثالثة: إبراهيم محيي إسماعيل/ بابل ـ الحلة ـ حي الإمام علي.

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم

ويسقط حق المطالبة بالجوائز بعد مرور ثلاثة أشهر من صدور العدد

مسابقة العدد (٥٥)

١ لما مرضت فاطمة الزهراء عليها السلام جاءت نساء المدينة لعيادتها، فقلن لها: كيف أصبحت، فقالت عليها السلام: «أصبحت والله عائفة لدنياكن، قالية لرجالكن، لفظتهم بعد إذ عجمتهم، وسئمتهم بعد أن سبرتهم...»، فكم راوٍ روى لنا هذه الخطبة عنها مباشرة؟

أ. رجل وامرأتان. ب. رجلان وامرأة.

ج. ثلاثة رجال.

٢ محمد بن يعقوب الكليني، ثقة الإسلام، ألّف كتابه الكافي فقال فيه الإمام المهدي عليه السلام: «الكافي كافٍ لشيعتنا»، عاصر عدداً من نواب الإمام المهدي عليه السلام، فكم كان عدد من عاصرهم؟

أ. اثنان. ب. ثلاثة. ج. أربعة.

٣ **لا عذب الله أمي إنها شربت**
حبّ الوصي وغذتنيه باللبن
وكان لي والدٌ يهوى أبا حسنٍ
وإنني مثله أهوى أبا حسن

أبيات طالما ترنم بها المحبون للإمام علي عليه السلام، فمن هو قائلها؟

أ. ابن العرندس الحلي. ب. ابن الأمير الصنعاني.

ج. ابن منير الدمشقي.

٤ إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي، من ذرية سعد بن مسعود عم المختار الثقفي، كان إمامياً عارفاً بأئمته حقاً، ألّف كتاب المعرفة، فيه مناقب الأولياء ومثالب الأعداء، وقال: «أي البلاد أبعد من الشيعة»، فأشاروا عليه بمدينة أخرى يكون فيها آمناً إن أذاع بما في كتابه، فما اسم تلك المدينة؟

أ. خراسان. ب. أصفهان. ج. قم.

كوبون المسابقة

ينابيع

٥٥

الاسم الثلاثي: .....

العنوان: .....

جواب السؤال الأول	أ	ب	ج

جواب السؤال الثاني	أ	ب	ج

جواب السؤال الثالث	أ	ب	ج

جواب السؤال الرابع	أ	ب	ج

كوبون المسابقة

جوائز المسابقة

الأولى: ١٠٠،٠٠٠ دينار. الثانية: ٧٥،٠٠٠ دينار.
الثالثة: ٥٠،٠٠٠ دينار. يتعين الفائز بإجراء القرعة.

شروط المسابقة

* الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط. * يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه(مسابقة مجلة ينابيع) مع الاسم الثلاثي الصريح والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة. وبخلافه تهمل الإجابات. * آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/ جمادى٢/ ١٤٣٥هـ.

جواب السؤال السابع	أ	ب	ج

جواب السؤال السادس	أ	ب	ج

جواب السؤال التاسع	أ	ب	ج

جواب السؤال الخامس	أ	ب	ج

جواب السؤال الثامن	أ	ب	ج

٥ لما خرج الإمام الحسن عليه السلام لملاقاة جيش الشام، استخلف على الكوفة رجلاً من آل عبد المطلب، فمن هو؟

أ. عبيد الله بن العباس. ب. المغيرة بن نوفل.
ج. عبد الله بن جعفر.

٦ من علامات آخر الزمان مجيء بني قنطوراء، وهم من الترك والصين إلى العراق ونزولهم البصرة، فيخرجون أهلها منها إلى ثلاث وجهات، فأي موضع من مواضع البصرة ينزلون؟

أ. المذار. ب. الأبلة. ج. البطحاء.

٧ من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله، كان عمره يوم قبض صلى الله عليه وآله ثمان سنين، قالوا عنه: «مات سنة عشر ومائة على الصحيح و به ختم الصحب»، فمن هو؟

أ. أبو الهياج الأسدي. ب. أبو الطفيل الليثي.
ج. أبو أيوب الأنصاري.

٨ مدينة من المدن، ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام عند حديثه عن أنصار المهدي عليه السلام، حيث قال عليه السلام: «بها كنوز ليست من ذهب ولا فضة، ولكن بها رجال مؤمنون»، فما اسم المدينة؟

أ. الكوفة. ب. طالقان. ج. قزوين.

٩ أول غزوة من غزوات الرسول عليه السلام بعدما ورد المدينة المنورة وسكنها، كان لواؤه فيها أبيضَ يحمله عمه الحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، فما اسمها؟

أ. غزوة بدر. ب. غزوة الأبواء.
ج. غزوة بواط.

دار الهلال

طباعة . نشر . توزيع

- كتب
- اقراص كومبيوترية
- اقراص DVD - VCD

النجف الأشرف ـ شارع الرسول ﷺ
Tel:332913-371797

www.Alhelal.org
INFO@ALHELAL.ORG

مرجع الطائفة السيد الحكيم (قدس سره) مع لفيف من العلماء الأعلام في مناسبة افتتاح مستشفى مرجان في الحلة سنة ١٣٧٦ هـ

مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية